

2 سلسله المحقق كونراد سير



جريمة جليسة الأطفال

جريمة جليسة الأطفال

تأليف: كارين فوسم

ترجمة عن الإنجليزية: هند عادل

تحرير: شروق طارق

مراجعة لغوية: أحمد مصطفى سلامة

طبعة 2023

الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 2022/11818

الترقيم الدولي: 9789773197681

© جميع الحقوق محفوظة على الناشر

60 شارع قصر العيني - 11451 - القاهرة - مصر

ت: 27921943 (+202) - 27954529 (+202)، ف: 27947566 (+202)

www.alarabipublishing.com.eg

تصميم الغلاف: سيد كامل



The original title: Se deg ikke tilbake!
Copyright © CAPPELEN DAMM AS 1996.
Special thanks for Felicity David for the English translation.

كارين فوسم

جريمة جليسة الأطفال

رواية من النرويج

ترجمة: هند عادل



تمت مراعاة المعايير البيئية في أثناء إعداد هذا الكتاب
We took into consideration the environment while doing this book

**“This translation has been published with the financial support of
NORLA”.**



بطاقة فهرسة

فوسم، كارين
جريمة رواية / كارين فوسم، ترجمة هند عادل.
- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2022.
ص؛ سم.

تدمك: 9789773197681

1- القصص النرويجية

أ- عادل، هند (مترجم)

ب- العنوان 839.823

دليلك إلى عالم "كارين فوسم" والمحقق "كونراد سيير"

من هي كارين فوسم؟

تُعرف بـ "ملكة الجريمة" النرويجية.. فهي أشهر من كتب في أدب الجريمة بالنرويج وأكثرهم استمرارية.

كانت سلسلة الجريمة التي بدأت كتابتها في منتصف التسعينيات هي سلسلة "المحقق كونراد سيير"، والتي تُرجمت إلى أكثر من 25 لغة ونالت العديد من الجوائز، منها؛ جائزة "ريفرتون" الأدبية لأفضل رواية جريمة نرويجية في العام نفسه، وجائزة "المفتاح الزجاجي" عام 1997 كأفضل رواية جريمة. وتحولت إلى فيلم سينمائي. وقد فازت روايتها هذه بجائزة "براجي" الأدبية عام 2000، وجائزة "لوس أنجلوس تايمز للغموض والإثارة" عام 2007، كما كانت ضمن القائمة القصيرة لجائزة "الخنجر الذهبي" لرابطة كُتّاب الجريمة" عام 2005.

إن المحقق "سيير" رجل من الطراز القديم، عيبه الوحيد هو السجائر التي يدخنها طوال الليل ويشرب معها وهو يفكر في القضية التي أمامه، وتحت قدمه كلبه المخلص. يقضي وقته مع ابنته وابنها التي تبنته من الصومال، لكن لا شيء يشغل عقله عن القضية التي يعمل عليها. يحمل "سيير" قضايا على محمل الجد، ولا يتهاون أبدًا في التحقيق فيها لمعرفة

الحقيقة. وسلاحه الوحيد في سعيه للبحث عن الحقيقة ليس مسدسه ولكن إيمانه القوي بالعدالة، والتعاطف العميق، ورغبته في معرفة كيف يفكر العقل الإجرامي. وهو ككلب الصيد، ما إن يلتقط رائحة المتشبه به حتى ينطلق في أثره ولا يتركه إلا بعد أن يعرف سره.

إن سلسلة المحقق "سير" تحمل الصفات الأساسية المؤسسة لروايات الجريمة الإسكندنافية، فهي تناقش مشاكل اجتماعية مختلفة؛ كما تلعب الطبيعة الإسكندنافية كذلك دورًا هامًا في هذه السلسلة؛ فالجرائم كلها تقع في قرى معزولة تحيط بها الجبال الصغيرة، والغابات، وكلها أماكن تشجع على ارتكاب الجرائم التي ربما لن يكتشفها أحد.

وما نجحت "فوسم" في تحقيقه في هذه السلسلة هي أنها جمعت كل ما هو مألوف للقارئ في عالم روايات الجريمة؛ مثل الخلافات التي تتطور فجأة إلى أفعال عنف تتحول إلى قتل، ثم التحقيقات التي تلي اكتشاف الجثة، أو ربما حتى اكتشاف شيء كان ينتمي لشخص اختفى فجأة، فتبدأ رحلة التحقيقات التي سنرافق فيها المحقق "كونراد سير".

الفصل الأول



فتحت "رانهيلد" الباب بحذر، ونظرت إلى الخارج. كان الطريق هادئًا، والرياح التي ضربت المباني طوال الليل قد هدأت أخيرًا. استدارت وسحبت عربة الدمية وعبرت بها عتبة الباب. تدمرت "مارثا" وهي تساعد في دفع العربة:

- لكننا لم نأكل بعد.

قالت "رانهيلد":

- عليّ العودة إلى البيت لأننا سنذهب للتسوق.

- هل آتي إليك لاحقًا؟

- تعالي إن أحببت، لكن بعد أن ننتهي من التسوق.

خرجت إلى ممر البيت وبدأت تدفع عربة الدمية نحو البوابة، كان دفعها صعبًا، لذلك أدارتها وصارت تسحبها خلفها.

- أراك لاحقًا يا "رانهيلد".

انغلق الباب خلفها بصوتٍ حاد من ارتطام الخشب والمعدن، عانت "رانهيلد" لتفتح البوابة، لكن عليها الحذر حتى لا يخرج كلب "مارثا"، كان يراقبها بتركيز من تحت طاولة الحديقة. عندما تأكدت من إغلاق البوابة بإحكام، بدأت تسير في الشارع مع اتجاه المرائب، كان يمكنها اتخاذ طريقٍ مختصر بين البيوت، لكنها

اكتشفت صعوبة الأمر وهي تجر عربة الدمية. رأت أحد الجيران يغلق باب مرأبها، ابتسم لها وأغلق أزرار معطفه بيد واحدة بطريقة غريبة قليلاً. في الممر كانت تقف سيارة "فولفو" سوداء، ومحركها يدور بسلاسة.

- أنت مبكرة جداً يا "رانهيلد"، أليس كذلك؟ ألم تستيقظ "مارثا" بعد؟

- كنت نائمة عندها ليلة أمس، على مرتبة على الأرض.

- فهمت.

أغلق المرأب بالقفل ونظر إلى ساعته، كانت الثامنة وست دقائق صباحاً، بعدها مباشرة ركب سيارته وانطلق.

دفعت "رانهيلد" العربة بيديها حتى وصلت إلى آخر الشارع المنحدر، فتشبثت بالعربة حتى لا تفلت منها. أسمت دميتهما "إليز" تيمناً بها، فهي اسمها "رانهيلد إليز". مالت الدمية إلى الأمام، هذا ليس جيداً، أفلتت إحدى يديها لتعيد الدمية إلى وضعها الطبيعي، وثبتت البطانية عليها ثم واصلت السير. كانت ترتدي حذاءً رياضياً، فردة حمراء برباط أخضر، والأخرى خضراء برباط أحمر، هذا ما رأيته مناسباً جداً، أما ملابسها فكانت بذلة رياضية حمراء عليها صورة الأسد "سيمبا"، وفوقها معطف مطر مشمع. كان شعرها خفيفاً جداً، وأشقر، وليس طويلاً، لكنها استطاعت أن تربطه وترفعه في شكل "كعكة"، تدلت حلقة على شكل فاكهة بلاستيكية لامعة من رباط الشعر، وتناثرت خصلة نافرة من المنتصف مثل نخلة صغيرة وحيدة. كانت في السادسة والنصف، لكنها أصغر من سنّها. فلا يمكنك أن تخمن أنها دخلت المدرسة بالفعل إلا عندما تتكلم.

لم تقابل أحداً على المنحدر، لكنها سمعت صوت شاحنة عندما اقتربت من تقاطع الطرق، فتوقفت والتصقت بجانب الطريق بانتظار الشاحنة ذات الطلاء المتقشر لكي تنتهدي على المطب الصناعي. أبطأت الشاحنة أكثر عندما ظهرت الفتاة ذات الرداء الأحمر في مجال الرؤية، أرادت "رانهيلد" عبور الشارع لأن هناك رصيفاً على الجانب

الآخر، فلطالما نصحت لها والدتها أن تسير على الرصيف. انتظرت أن تمر الشاحنة، لكنها توقفت وفتح السائق النافذة، وقال:

- يمكنكِ العبور أولاً، سأنتظر.

ترددت الفتاة قليلاً ثم عبرت الشارع واستدارت لترفع العربة إلى الرصيف، تقدمت الشاحنة قليلاً ثم توقفت مجدداً، كانت النافذة المقابلة لها مفتوحة، وبدأت عينا الرجل غريبتين، كبيرتين ومستديرتين كالكرة، والمسافة بينهما كبيرة، لونهما أزرق شاحب مثل طبقة من الجليد الرفيع، فمه صغير، وشفاه كبيرتان ومائلتان إلى الأسفل مثل فم السمكة. نظر إليها وقال:

- هل ستقطعين شارع "سكيفيرباكين" المنحدر بتلك العربة؟

أومأت وقالت:

- أعيش في "جرانيتفين".

- ستكون العربة ثقيلة عليكِ طيلة هذه المسافة، ماذا تضعين فيها؟

ردت وهي ترفع الدمية:

- "إليز".

قال بابتسامة واسعة جعلت فمه يبدو ألطف:

- ممتاز.

كان شعره أشعث، وينمو في خصلات سميكة تمتد من فروة رأسه إلى الأعلى مثل أوراق الأناناس، وشكله صار أسوأ عندما حكَّ رأسه.

- يمكنني توصيلكِ إلى هناك، هناك مكان للعربة في الخلف.

فكرت "رانهيلد" قليلاً ونظرت إلى شارع "سكيفيرباكين" الطويل والمنحدر، شد الرجل فرامل اليد وأشار برأسه إلى الخلف ليحثها.

قالت "رانهيلد":

- ماما تنتظرني.

انطلق تحذير خافت في عقلها لكنها لم تتذكر سببه.
- إذا ستصلين أسرع إن أوصلتك.
حُسم الأمر. كانت "رانهيلد" فتاة عملية، سحبت العربة إلى مؤخرة الشاحنة،
وخرج الرجل ففتح الباب الخلفي ورفع العربة بيد واحدة.
قال لها وهو يرفعها:
- سيكون عليك الجلوس في الخلف وإمساك العربة، وإلا ستنزلق مع كل حركة.
أغلق الباب الخلفي ثم صعد مكانه، وسألها وهو ينظر إليها في المرأة:
- هل تصعدين التلّ كل يوم؟
- فقط عندما أكون عند "مارثا"، لقد أمضيت الليل في بيتها.
أخرجت حقيبة صغيرة عليها زهور من تحت بطانية الدمية، وفتحتها لتتأكد
من أنها لم تنس شيئاً من أغراضها. هناك منامتها التي عليها صورة شخصية
"نالا" الكرتونية، وفرشاة أسنانها، وفرشاة شعرها. تخطت السيارة مطباً آخر،
وما زال الرجل ينظر إليها عبر المرأة، فسألته وهي ترفع الفرشاة التي تملك قدمين:
- هل رأيت فرشاة أسنان كهذه من قبل؟
- لا! من أين جئت بها؟
- اشتراها لي بابا. ألا تملك مثلها؟
- لا، لكنني سأطلب واحدة في الكريسماس.
عبر المطب الأخير وانتقل إلى السرعة الثانية، فأصدرت السيارة زمجرة
مزعجة، جلست الفتاة الصغيرة على أرضية الشاحنة تثبت العربة، قال لنفسه
إنها فتاة جميلة جداً، حمراء ولطيفة بملابسها الرياضية، مثل ثمرة توت صغيرة
ناضجة. أخذ يصفر بسعادة بينما يقود شاحنته الكبيرة التي تحمل الفتاة
الصغيرة في مؤخرتها، كان سعيداً حقاً.

تقع القرية في وادٍ على طرف المضيق عند سفح جبل، مثل بحيرة وسط نهر، حيث الماء راكدٌ جدًّا، ويعلم الجميع أن الماء العذب هنا لا ينقطع جريانه. تقع القرية على أطراف المقاطعة، لذلك كانت مهملة والطرق المؤدية إليها وعرة جدًّا، بين حين وآخر تتعطف حافلة وتتوقف في المحطة المعزولة لكي تأخذ الركاب إلى البلدة، ولا توجد حافلات مسائية تعود إلى القرية.

هناك جبل رمادي ذو قمة مستديرة، اسمه "كولين"، يتجاهله سكان المنطقة تمامًا، لكن الزوار يأتون إليه بلهفة من مناطق بعيدة، لأنه غني بالمعادن والنباتات النادرة. في الأيام الهادئة يمكنك سماع رنين خافت قادم من أعالي الجبال، قد تظن إنها مسكونة، لكنه صوت الأغنام التي ترعى. بدت التلال المحيطة بالجبل زرقاء ومشوشة من الضباب، وكأنك تنظر إليها عبر شجيرة تشبه حجابًا من الصوف.

مرر "كونراد سيير" إصبعه على الطريق الرئيسي على الخريطة، كانا يقتربان من طريقٍ دائري، تولى الضابط "كارلسين" القيادة، وكان منتبهًا إلى الحقول على جانبيه بينما يستمع إلى توجيهات الطريق. قال "سيير" بتركيز:

- الآن استدر يمينًا إلى "نيسفيين"، ثم اصعد إلى "سكيفيرباكين"، وبعدها استدر يسارًا إلى "فيلتسباتفيين"، ستجد "جرانيتفيين" إلى اليمين، إنه طريق مسدود آخره، عقار رقم خمسة، هو الثالث جهة اليسار.

كان متوترًا، ونبرته جافة أكثر من المعتاد.

انعطف "كارلسين" إلى المنطقة السكنية، وتخطى المطبات الصناعية. كالعادة في كثير من الأماكن، يقيم السكان الجدد في مجموعة مبانٍ بعيدة عن أهل المنطقة. لم يتبادل الضابطان أحاديث كثيرة، بخلاف اتجاهات الطريق. اقتربا من المنزل وهما يستعدان نفسيًا، وتمنيا لو يجدان الفتاة قد عادت إلى بيتها بالفعل، ربما هي تجلس الآن في حجر أمها وهي تشعر بالدهشة والحرص من كل الجلبة التي

حدثت. الساعة الواحدة، مما يعني أن الفتاة مفقودة منذ خمس ساعات. لو كانت ساعتين، لما كان هناك داع للقلق، لكن خمس ساعات تعتبر وقتاً طويلاً بالتأكيد. بدأ شعورهما بالقلق يتزايد، وكأن هناك بقعة ميتة في صدريهما لا تصل إليها الدماء، كلاهما لديه أطفال، "كارلسين" لديه طفلة في الثامنة، و"سير" لديه حفيد في الرابعة. لم يرحهما الصمت، بل أخذ يملأ عقليهما بصورة خيالية ربما تكون حقيقة، هذا ما صدم "سير" بينما يتوقفان أمام المنزل.

كان العقار رقم خمسة منزلاً منخفض الارتفاع، بلون أبيض وزخرفة باللون الأزرق الداكن، مبنى تقليدي من المنازل سريعة البناء التي ليس بها سمة مميزة، لكنها تشبه غرف لعب للأطفال: الشيش مزين، والسطح ينتهي بأطراف مستديرة، والعشب مقصوص بعناية، وهناك شرفة كبيرة تحيط بالمنزل ولها درابزين. يقع البيت على قمة التلّ تقريباً، ويطل على القرية كلها، قرية صغيرة لكنها جميلة، ومحاطة بالمزارع والحقول. لقد سبقتهما دورية شرطة إلى البيت بالفعل، وسيارتهم مركونة بجانب صندوق البريد.

دخل "سير" أولاً، مسح حذاءه بحرص على العتبة، وأحنى رأسه وهو يدخل غرفة المعيشة، منذ أول ثانية أدركا أنها ما زالت مفقودة، والفزع واضح على الجميع. جلست الأم على الأريكة، كانت سيدة بدينة ترتدي فستاناً واسعاً، وبجانبيها جلست ضابطة تضع يدها على يدها بمواساة، كاد "سير" أن يشم رائحة الفزع المسيطر على الغرفة. استجمعت الأم آخر ما بقي من قوتها لكي تكتم دموعها، أو ربما ل تمنع صرخة فزع مدوية، كانت تتنفس بصعوبة مع أقل مجهود، وهذا ما ظهر بوضوح عندما وقفت لتصافح "سير"، قال:

- سيدة "ألجوم"، هناك من خرج للبحث عنها، صحيح؟

- نعم، بعض الجيران، ومعهم كلب.

عادت تجلس على الأريكة بضعفٍ وهي تقول:

- علينا أن نساعد بعضنا.
- جلس على كرسي بذراعين أمامها، ومال إلى الأمام وهو ينظر إليها مباشرة.
- سنرسل دورية كلاب للبحث، الآن عليك إخباري بكل شيء عن "رانهيلد":
من هي؟ ما شكلها؟ ماذا ترتدي؟
- لم تجب، بل أومأت برأسها مع كل جملة، بدا فمها متيبسًا وجامدًا.
- هل هاتفتكم كل الأماكن التي يحتمل أن تكون قد ذهبت إليها؟
تمتعت:
- إنها ليست كثيرة، لقد هاتفتها كلها.
- هل لديكم أقارب آخرون في القرية؟
- لا، أبدًا. نحن لسنا من هنا.
- هل تذهب "رانهيلد" إلى الحضانة أو الروضة؟
- لم تسمح الفرصة.
- هل لديها إخوة أو أخوات؟
- إنها طفلتنا الوحيدة.
- حاول أن يتنفس بصمت وهو يقول:
- أولًا، ماذا كانت ترتدي؟ كوني دقيقة بقدر الإمكان.
- بذلة رياضية حمراء عليها صورة أسد، وفوقها معطف مطر مشمع بقلنسوة، وحذاء إحدى فردتيه حمراء والأخرى خضراء.
- كان صوتها متقطعًا وعلى وشك الارتجاف.
- و"رانهيلد" نفسها؟ صفيها لي.
- طولها حوالي 120 سم، شعرها جميل جدًا، لقد أخذناها للفحص الطبي السنوي لعامها السادس.

ذهبت إلى الجدار بجانب التلفزيون، حيث عدد من الصور المعلقة، معظمها لـ"رانهيلد"، واحدة للسيدة "ألبوم" بالزي الوطني، وواحدة لرجل بالزي الرسمي للحرس الوطني، على الأرجح والد الطفلة. اختارت صورة تبتسم فيها الفتاة وأعطتها له، كان شعرها شديد الشقرة حتى كاد يكون أبيض، كان شعر الأم أسود، أما الأب فأشقر، بعض الخصلات كانت ظاهرة من تحت القبعة الرسمية.

- أي نوع من الفتيات هي؟

اندفعت فجأة:

- شديدة الثقة، تتحدث مع أي شخص.

جعلها هذا الاعتراف ترتجف، قال بتأكيد:

- إنها من النوع الذي ينسجم مع العالم جيدًا، سنحتاج إلى أن نأخذ الصورة معنا.

- أفهم هذا.

قال وهو يعود للجلوس:

- أخبريني، أين يذهب أطفال القرية للتمشية في العادة؟

- إلى المضيق، وإلى "بريستيجاردز" أو "هورجين"، أو إلى قمة جبل "كولين"،

وبعضهم يذهب إلى خزان الماء، أو يتمشى في الغابة.

نظر عبر النافذة ورأى الغابة.

- هل رأى أحد "رانهيلد" منذ أن غادرت؟

- قابلها جار "مارثا" عند المرأب أثناء ذهابه إلى العمل، عرفت ذلك لأنني

هاتفته زوجته.

- أين تعيش "مارثا"؟

- في "كريستالين"، على بعد دقائق من هنا.

- وكان معها عربة الدمية؟

- نعم، عربة وردية.

- ما اسم الجار؟
- ردت بدهشة:
- "والتر". "والتر إيزاكسين".
- أين يمكن أن أجده؟
- إنه يعمل في شركة "داينو للصناعات"، في قسم شؤون العاملين.
- وقف "سير" وذهب إلى التليفون، وهاتفَ بالدليل. ثم هاتف الرقم وانتظر، نظرت إليه السيدة "ألبوم" بقلق من على الأريكة. كان "كارلسين" ينظر عبر النافذة إلى التلال الزرقاء، والحقول، وبرج الكنيسة الأبيض البعيد. قال "سير" باختصار:
- "كونراد سير" من الشرطة، أهاثك من عقار رقم خمسة في "جرانيتفين"، على الأرجح تعرف سبب مكالمتي.
- هل ما زالت "رانهيلد" مفقودة؟
- نعم، لكنني عرفت أنك رأيتها بينما تغادر منزل "مارثا" هذا الصباح.
- كنت أغلق باب المرأب.
- هل لاحظت الساعة؟
- الثامنة ست دقائق، كنت متأخرًا قليلًا.
- هل أنت متأكد؟
- لدي ساعة رقمية.
- صمت "سير" محاولاً تذكر الطريق وهما قادمان، ثم قال:
- إذا تركتها عند المرأب في الثامنة وست دقائق وقدت إلى العمل مباشرة؟
- نعم.
- عبر شارع "نيسففين" ثم إلى الطريق السريع الرئيسي؟
- هذا صحيح.

- حسب ظني، في هذا الوقت معظم الناس يقودون نحو البلدة، والقليل جدًّا يقودون في الاتجاه المعاكس.
- نعم، هذا صحيح، فلا توجد طرق رئيسية في القرية، ولا وظائف.
- هل مررت بأي سيارات تقود نحو القرية؟
- صمت الرجل قليلاً، وانتظره "سير"، فأصبحت الغرفة صامتة كالقبور.
- نعم، واحدة في الواقع، عند مجمع الشقق على الطريق الدائري، كانت شاحنة على ما أظن، قبيحة وطلاؤها متقشر، وكانت تسير ببطء.
- من كان يقودها؟
- أجاب بتردد:
- رجل، رجل واحد.

- ابتسم وقال:
- اسمي "رايموند".
- رفعت "رانهيلد" نظرها، فرأت وجهه المبتسم في المرأة، وجبل "كولين" الغارق في ضوء الصباح.
- هل تودين الذهاب في رحلة بالسيارة؟
- ردت بصوتٍ مختنقٍ قليلاً:
- ماما تنتظرني.
- هل نذهب إلى قمة جبل "كولين"؟
- ذات مرة مع أبي، كنا في نزهة.
- شرح لها:
- القيادة إلى هناك مستحيلة، ربما من الجانب الخلفي، ما رأيك في القيادة إلى القمة؟
- قالت بشكٍّ:

- أريد العودة إلى المنزل.
- خفف السرعة وتوقف ثم سألها:
- رحلة قصيرة وحسب؟
- كان صوته ناعماً، وشعرت "رانهيلد" أنه حزين جداً، وليس من عادتها أن تُحيط الكبار، لذلك نهضت وانتقلت إلى المقعد الأمامي ومالت قائلة:
- رحلة قصيرة وحسب، إلى القمة ثم نعود إلى البيت على الفور.
- رجع إلى "فيلدسباتفين" ثم نزل التلّ.
- سألها:
- ما اسمك؟
- "رانهيلد إليز".
- تحرك قليلاً في مقعده وتنحنح وكأنه ينبهها:
- لا يمكنك الذهاب للتسوق في الصباح الباكر، إنها الثامنة والربع وحسب، والمحلات مغلقة.
- لم تجب عليه، إنما أخرجت "إليز" من العربة ووضعتها على حجرها وفردت ثوبها، ثم نزعَت "اللاهية" من فم الدمية، فصرخت فوراً بصوتٍ معدني رفيع مثل بكاء الأطفال، توقّف بعنف ونظر إلى المرأة وهو يسألها:
- ما هذا؟
- إنها "إليز"، تبكي حين أنزع "اللاهية".
- لا أحب هذه الضوضاء، أوقفها.
- ظل يتململ في المقعد بشدة فأخذت الشاحنة تهتز، قالت:
- أبي يقود أفضل منك.
- قال عابساً:
- لأنني اضطررت إلى تعليم نفسي، لم يرغب أحد في تعليمي.

- لِمَ لَا؟

لم يجبها، بل مال برأسه فقط، خرجت الشاحنة إلى الطريق الرئيسي، وقاد على السرعة الثانية إلى الطريق الدائري، وعبر التقاطع بزمجرة متحشجة من السيارة، قالت بسعادة:

- الآن نحن نقترّب من "هورجين".

لم يجبها، بعد عشر دقائق انعطف يسارًا إلى جانب الجبل المغطى بالغابات، مر في الطريق بمزارع ذات حظائر حمراء، وجرارات مركونة هنا وهناك، لم يريا مخلوقًا، وأصبح الطريق أضيق وأكثر وعورة. تعبت ذراعا "رانهيلد" من إمساك العربة، فوضعت الدمية على الأرضية ووضعت قدمها بين العجلات لتثبت العربة، قال الرجل فجأة وهو يتوقف بالسيارة:

- أنا أعيش هنا.

- مع زوجتك؟

- بل مع أبي، لكنه في السرير.

- ألم يستيقظ بعد؟

- إنه دائمًا في السرير.

نظرت عبر النافذة بفضول، ورأت منزلًا غريبًا. كان كوخًا في الماضي وقام شخص ما بتوسعته مرتين، كل جزء بلون مختلف، بجانب البيت يوجد مرأب سقفه مصنوع من صفائح الحديد المتعرج، العشب كان طويلًا جدًا، وهناك مجرفة صدئة قديمة ملقاة بإهمال بين بعض الزهور والنباتات الشائكة. لم تهتم "رانهيلد" بالبيت، بل بشيء آخر، قالت:

- أرانب!

قال بسرور:

- نعم، هل تريدان إلقاء نظرة عليها؟

خرج من السيارة وفتح الباب الخلفي وأنزلها، لديه طريقة غريبة في السير، كانت ساقاه قصيرتين بشكل غير طبيعي، وفيهما تقوس، قدماه صغيرتان، أنفه الكبير يكاد يلمس شفته السفلية البارزة، وكان يسيل. فكرت "رانهيلد" أنه لا يبدو كبير السن، لكنه كان يترنح في السير كرجل عجوز، بدا مضحكًا، وجه شاب على جسد عجوز. سار وهو يعرج إلى أقفاص الأرانب، وفتحها، وقفت "رانهيلد" مسحورة.

- هل يمكنني حمل واحد؟

- نعم، اختاري ما يعجبك.

قالت بإعجاب:

- الأرنب البني الصغير.

- اسمه "باشان"، إنه ألطفهم.

فتح قفص الأرنب وأخرجه، كان سمينًا وأذناه متدليتين، لونه يشبه القهوة مع الكثير من الكريمة، ظل يركل بعنف لكنه هدأ عندما حملته "رانهيلد" بين ذراعيها، لوهلة ظلت ساكنة بينما تشعر بضربات قلبه تحت يدها وتربت على أذنيه بيدها الأخرى، كان ملمسه ناعمًا كقطعة من القطيفة بين أصابعها، بدا أنفه الأسود لامعًا ورطبًا وكأنه قطعة من حلوى عرق السوس. وقف "رايموند" بجانبها يراقبها، أصبح لديه فتاة صغيرة تحت تصرفه، ولا يوجد أي شهود.

قال "سير":

- سنرسل الصورة والوصف إلى الصحف، سوف يطبعونها الليلة ما لم يحدث أمر جديد.

انهارت "إيرين ألجوم" باكية، نظر الآخرون بعجز إلى أيديهم وإلى ظهرها المرتجف، لا يجدون ما يقال. أخرجت الضابطة منديلًا لتعطيها إياه إن احتاجته،

وحرك "كارلسين" كرسيه قليلاً ونظر إلى ساعته، قال "سيير":
- هل تخاف "رانهيلد" من الكلاب؟
قالت والدتها بدهشة:
- لماذا تسأل؟
- أحياناً عندما نبحث عن الأطفال بدورية كلاب، يختبئون لدى سماعهم
كلاب الشرطة.
- لا، إنها لا تخاف من الكلاب.
ترددت الكلمات في عقله، "إنها لا تخاف من الكلاب".
- هل استطعتِ مهاجمة زوجكِ؟
- إنه في "نارفيك"، يقوم بمناورات تدريبية في مكانٍ ما في التلال.
- ألا يستخدمون تليفونات محمولة؟
- خارج مجال التغطية.
- من يبحث عنها الآن؟
- أولاد من الحي كانوا في بيوتهم في النهار، أحدهم معه تليفون.
- منذ متى يبحثون؟
نظرت إلى الساعة المعلقة على الجدار وقالت:
- أكثر من ساعتين.
لم يعد صوتها مرتجفاً، أصبحت مخدرة، تقريباً تشعر بخمول تام وكأنها
ناعسة. مال "سيير" إلى الأمام، وتحدث معها برفقٍ ووضوح بقدر المستطاع.
- على الأرجح لم يحدث أسوأ مخاوفك بعد، هل تدركين هذا؟ عادةً يختفي
الأطفال لكثير من الأسباب التافهة، كما أنهم يتوهون طوال الوقت لمجرد أنهم
أطفال، فهم لا يشعرون بالوقت أو المسؤولية، كما أنهم فضوليون جداً ويتبعون

أهواءهم مباشرةً، هذه هي طبيعة الطفل، لهذا يتوهون، لكنهم يظهرون فجأة كما يختفون، عادةً لا يملكون سبباً منطقيًا حول أين كانوا أو ماذا كانوا يفعلون، لكن على العموم..

سحب نفسًا عميقًا وأضاف:

- إنهم على ما يرام.

قالت وهي تنظر إليه:

- أعلم ذلك! لكنها لم تختف هكذا من قبل!

رد محاولاً إقناعها:

- إنها تنمو وتكبر، ويزداد حبها للمغامرة.

قال لنفسه: "فليساعدي الرب في الحصول على إجابات". نهض وهاتف رقمًا آخر، كبح رغبته في النظر إلى الساعة لأنها ستذكره بمرور الوقت فقط، وهذا ليس في صالحهم. هاتف ضابط المناوبة وأعطاه ملخص الأحداث، وطلب منه مهاتفة إحدى فرق الإنقاذ التطوعية، أعطاه العنوان في "جرانيتفين" ووصفًا سريعًا للفتاة، ملابسه حمراء، شعرها أشقر فاتح، معها عربة دمية وردية. سأله إن كان قد وردته أي رسائل، فلم يجد. بعدها عاد يجلس.

- هل ذكرت "رانهيلد" مؤخرًا اسم أي شخص لا تعرفونه؟

- لا.

- هل كان معها أي نقود؟ هل يمكن أن تكون ذهبت لشراء شيء؟

- لم يكن معها نقود.

- هذه قرية صغيرة، هل سبق أن سارت في الشارع وعرض عليها أحد

الجيران أن يوصلها؟

- نعم، هذا يحدث أحياناً، هناك حوالي مائة بيت على هذه التلة، وهي تعرف الجميع وسياراتهم تقريباً، أحياناً هي و"مارثا" يسيران حتى الكنيسة بعربات الدمى، ويعرض عليهما أحد الجيران أن يوصلهما.

- هل يذهبان إلى الكنيسة لسبب معين؟

- هناك ولد يعرفانه مدفون هناك، يقطفان الأزهار ليضعاهما على قبره، ثم يعودان، أظن الأمر مثيراً لهما.

- هل بحثتم في الكنيسة؟

- هاتفْتُ منزل صديقتها للسؤال عن "رانهيلد" في الساعة العاشرة، وعندما أخبروني أنها غادرت في الثامنة، ركبت السيارة فوراً، تركت باب البيت مفتوحاً في حال عادت بينما أبحث عنها، قدت إلى الكنيسة وإلى محطة البنزين، بحثت في ورشة السيارات وخلف مصنع الألبان، ثم قدت إلى المدرسة لأبحث عنها في الملعب لأنه مليء بالألعاب التسلق وما إلى ذلك، ثم بحثت في الحضانة، لقد كانت متحمسة جداً لبدء المدرسة، فهي..

قاطعتها دفعة أخرى من البكاء، انتظر الآخرون بصمت وهي تبكي، أصبحت عيناها منتفختين، وأخذت تجعد تنورتها بأصابعها من اليأس، بعد وهلة ذهب البكاء وعاد الخمول، إنه درع يحميها من التفكير في الاحتمالات المخيفة.

رن التليفون كنذير شؤم مفاجئ، نهضت لتجيب، لكنها لمحت "سير" يشير لها بيده ليووقفها ويرد هو:

- مرحباً؟ هل "إيرين" موجودة؟

بدا كصوت صبي.

- من المتصل؟

- "ثوربيورن هوجان"، نحن نبحت عن "رانهيلد".

- أنا من الشرطة، هل لديكم أي أخبار؟

- لقد ذهبنا إلى كل البيوت في التلّ، سألنا في جميعهم، كثير من الناس لم يكونوا في بيوتهم، لكننا قابلنا سيدة في "فيلتسباتفين"، قالت إن لوريًا رجع بظهره إلى حقلها لكي يستدير عائداً من حيث جاء، إنها تعيش في عقار رقم واحد. قالت إنها شاحنة، ولحت فيها فتاة صغيرة ترتدي سترة خضراء، وشعرها أشقر فاتح مربوط على شكل "كعكة". إنها الطريقة نفسها التي تربط بها "رانهيلد" شعرها عادةً.

- هيا.

- لقد صعدت الشاحنة التلّ ثم استدارت وعادت، وبعدها دخلت في منعطف واختفت.

- هل تعرف متى كان هذا؟

- في الثامنة والرّبع صباحاً.

- هل يمكنك أن تأتي إلى "جرانيتفين"؟

- سنصل حالاً، نحن عند الطريق الدائري الآن.

أغلق الخط، وما زالت "إيرين" واقفة.

سألته بهمس:

- ما الأمر؟ ماذا قالوا؟

قال ببطء:

- أحدهم رآها، لقد ركبت شاحنة.

أخيراً انطلقت صرخة "إيرين" التي كتمتها طويلاً، بدا أن صداها قد تردد عبر الغابة حتى وصل إلى عقل "رانهيلد" التي قالت:

- أنا جائعة، يجب أن أعود إلى البيت.

نظر "رايموند" إليها، كان "باشان" يتحرك على طاولة المطبخ، ويلتقط الحبوب التي نثرها له، لقد نسيا المكان والزمان، وانشغلا بإطعام كل الأرناب، أراها

"رايموند" الصور التي قصها بعناية من المجلات ولصقها في ألبوم كبير، ظلت "رانهيلد" تضحك بشدة على وجهه المضحك، لكنها أدركت الآن أن الوقت قد تأخر.

- يمكنك أن تأكلي بعض الخبز.

- عليّ الذهاب، سنذهب للتسوق.

- سنصعد جبل "كولين" أولاً، ثم سأوصلك إلى البيت بعدها.

قالت بإصرار:

- بل الآن! أريد العودة إلى البيت الآن.

فكر "رايموند" بياس في أي طريقة للمماطلة.

- حسناً، لكن أولاً عليّ أن أذهب لشراء الحليب لأبي من محل "هورجين"،

يمكنك أن تنتظريني هنا، لن أتأخر.

وقف ونظر إليها، إلى وجهها المشرق، وفمها الصغير المرسوم بهيئة قلب، والذي ذكره بشكل حلوى القرفة التي لها هيئة القلب أيضاً، كانت عيناها زرقاوين صافيتين، وحاجباها داكنين ومقوسين تحت شعر جبهتها الأشقر لدرجة البياض، تنهد بشدة ثم سار إلى الباب الخلفي وفتحه.

أرادت "رانهيلد" المغادرة بشدة، لكنها لم تعرف الطريق إلى المنزل، لذلك اضطرت إلى الانتظار، دخلت غرفة المعيشة الصغيرة وهي تحمل الأرنب بين ذراعيها، وجلست على طرف الأريكة، لم تنل هي و"مارثا" نومًا كافيًا ليلة أمس، لذلك عندما تكوّرت على الأريكة والأرنب في حضنها، شعرت بالنعاس بسرعة وأغمضت عينيها.

مرت فترة قبل عودته، ظل يتأملها فترة طويلة وهو دهش من نومها الهادئ، لا حركة ولا تنهيدة، شعر أنها كبرت قليلاً، أصبحت أكبر حجمًا وأكثر دفئًا، مثل رغيف خبز في الفرن، بعد وهلة بدأ يتململ ويفقد السيطرة على يديه، فوضعهما في جيبه وأخذ يتأرجح بالكروسي الهزاز، أخذ يفرك بيديه في نسيج البنطلون بين

ساقيه بينما يهتز أسرع فأسرع، نظر بتوترٍ عبر النوافذ ونحو غرفة والده، ظلت يدها تفركان بشد، طوال الوقت كان ينظر إلى شعرها الناعم كالحرير، بل مثل فراء الأرانب تقريباً، ثم أطلق أنيناً خافتاً أوقف نفسه، نهض ولكز كتفها برفق.

- يمكننا الذهاب الآن، أعطيني "باشان".

لوهلةٍ شعرت "رانهيد" بالارتباك، ثم نهضت ببطء ونظرت إلى "رايموند"، بعدها تبعته إلى المطبخ وارتدت معطف المطر، ثم خرجت من المنزل بينما عاد الأرنب البني الصغير إلى قفصه، وكانت عربة الدمية ما زالت في الشاحنة، بدا "رايموند" حزيناً، لكنه ساعدها على الركوب قبل أن يجلس في مقعد السائق ويدير المفتاح، لكن لم يحدث شيء، قال بانزعاج:

- الشاحنة لا تدور، لا أفهم، لقد دارت منذ قليل، يا لها من خردة!

صاحت "رانهيد" وكأن هذا سيفيد:

- يجب أن أعود إلى المنزل!

ظل يحاول تشغيل المحرك وهو يضغط على دواسة البنزين، استطاع أن يسمع صوت المحرك لكنه كان يزمجر ورفض أن يدور.

- سنضطر إلى السير.

تذمرت قائلة:

- المسافة بعيدة جداً!

- لا، ليس من هنا، نحن على الجانب الخلفي من الجبل، بالقرب من القمة، يمكنك أن ترى بيتك من هناك، سأجر العربة بدلاً منك.

ارتدى سترته التي وضعها على المقعد بجانبه ثم فتح لها الباب، حملت "رانهيد" دميته، وجرّ هو العربة خلفه، اهتزت قليلاً على الطريق الوعر، استطاعت "رانهيد" أن ترى قمة "كولين" عن بعد، وتحيط بها الغابات المظلمة. لوهلةٍ اضطررا إلى التوقف على جانب الطريق، لتمر سيارة بجانبهما بسرعةٍ

وصخب تاركة سحابة من الغبار مثل شبورة كثيفة. كان "رايموند" يعرف الطريق، لكنه ليس رشيقيًا، لذلك كان سهلًا على "رانهيلد" أن تجاري خطوته. بعد قليل صار الطريق أكثر انحدارًا، وفي آخره منعطف وطريق مستو وترابي يقود إلى يمين "كولين"، ملأت الأغنام الطريق بفضلاتها الكثيفة، تسَلَّت "رانهيلد" بالسير عليها، فلقد كانت جافة ومفتتة، بعد بضع دقائق، لحا لمعانًا جميلًا عبر الأشجار، قال "رايموند":

- إنها بحيرة "سيربنت تارن".

توقفت بجانبه ونظرت عبر البحيرة، فرأت أزهارًا مائية وقاربًا صغيرًا مقلوبًا على الشاطئ.

قال "رايموند":

- لا تذهبي إلى البحيرة، فهي خطيرة.

وأضاف بجدية:

- لا يمكنك السباحة هنا وإلا غرقت في الرمال واختفيت، إنها رمالٌ متحركة. ارتجفت "رانهيلد" خوفًا وتابعت الضفة بعينيها، حافة صفراء تحيط بالبحيرة، لا يقطعها إلا مكان واحد يمكن تسميته بالشاطئ يشبه فجوة داكنة، هذا ما كان ينظران إليه، ترك "رايموند" العربية، ووضعت "رانهيلد" إصبعها في فمها.

وقف "ثوربيورن" يعبث بتليفونه المحمول، كان في السادسة عشرة تقريبًا، شعره داكن يصل إلى كتفيه، وفيه القليل من القشرة، ويضع رباطًا مخططًا حول رأسه لتثبيت شعره، بيد أن الشعيرات أفلتت من الرباط على جانبي وجهه، فبدت مثل الريش، مما جعله أشبه بأحد الهنود الحمر لكن ببشرة شاحبة. تجنب الفتى

النظر إلى والدته "رانهيلد" طوال الوقت، بل ظل ينظر إلى "سيير" وهو يبذل شفثيه باستمرار، سأله "سيير":

- ما اكتشفتموه مهمٌ جدًّا، من فضلك، اكتب لي عنوان السيدة، هل تذكر اسمها؟
- "هيلجا موين"، العقار رقم واحد إنه بيت رمادي في حديقته بيت للكلب.
كان يتكلم بصوتٍ خافت كالهمس، بينما يكتب التفاصيل بحروفٍ كبيرة في المفكرة التي أعطاه إياها "سيير"، سأله "سيير":

- هل بحثتم في معظم المنطقة؟
- صعدنا إلى قمة "كولين" أولاً، ثم نزلنا إلى البحيرة وبحثنا في الطرقات هناك، ذهبنا إلى البرج، ومحل "هورجين"، وشارع "بريستيجاردز"، والكنيسة أيضاً، وأخيراً بحثنا في بعض المزارع في "بيركروود"، وفي نادي الفروسية، لقد كانت "رانهيلد" .. أعني ما زالت.. تحب الحيوانات.

شعر بالحرّج من زلة لسانه، فربت "سيير" على كتفه برفق وقال:
- اجلس يا "ثوربيورن".

وأشار إليه بالجلوس على الأريكة بجوار السيدة "ألجوم"، لقد تغيّرت حالتها وصارت تفكر في الاحتمال المخيف، بأن "رانهيلد" قد لا تعود إلى البيت أبداً، وأنها قد تضطر إلى قضاء ما بقي من حياتها دون ابنتها الصغيرة ذات العينين الزرقاوين الواسعتين، طعنها هذا الإدراك شيئاً فشيئاً كالسكين، تخشّب جسدها وكأن قضييًّا ساخناً يخترق ظهرها. لم تنطق الضابطة بكلمة طوال الوقت، فجأة وقفت ببطء لتقترح شيئاً، سألتها بخفوت:

- سيدة "ألجوم"، ما رأيك أن نحضر بعض القهوة للجميع؟
أومأت المرأة بضعف ثم نهضت وتبعّت الضابطة إلى المطبخ، سمعوا في الخارج صوت صنبور وتصادم أكواب، أشار "سيير" لـ "كارلسين" ليكلّمه على باب الغرفة من الخارج، وهناك وقفا يتحدثان بصوتٍ خافت، استطاع "ثوربيورن" أن

يرى فقط رأس "سيير" وطرف حذاء "كارلسين"، الأسود اللامع، استطاعا أن ينظرا إلى ساعتيهما في الضوء الخافت دون أن يلاحظ أحد، فعلا ذلك وأوماً إلى بعضهما باتفاق، لقد أصبح اختفاء "رانهيلد" مسألة خطيرة، وعليهما استغلال كل صلاحيات المركز، حكَّ "سيير" مرفقه من فوق القميص، وقال:

- لا أحتمل فكرة أن نجد جثتها ملقاة في مصرف مياه.

فتح الباب ليستنشق بعض الهواء الطلق، فوجدها! ببذلتها الرياضية الحمراء، تقف على أول السلم وتضع يدها البيضاء الصغيرة على الدرابزين.

قال بدهشة:

- "رانهيلد"؟

مرت نصف ساعة من السعادة بينما تسير سيارتهما في "سكيفيرباكين"، مرر "سيير" يده في شعره بارتياح، فكر "كارلسين" في أن شعره يبدو مثل فرشاة من الصلب بعدما جعله قصيراً جداً، أصبح مثل الفرشاة المستخدمة في إزالة بقايا الطلاء، بدا وجه "سيير" الحاد مرتاحاً، ليس غامضاً وجاداً كالمعتاد. نزلا نصف المسافة أسفل التلّ ومرا بالبيت الرمادي، رأيا بيت الكلب ووجه شخص في المرأة، لو أن "هيلجا" كانت تأمل في زيارة من الشرطة، سيخيب أملها، فـ"رانهيلد" تجلس بأمان في حجر أمها وتأكل شطيرة.

سيظل مشهد البنت وهي تدخل غرفة المعيشة محفوراً في ذاكرة الضابطين، سمعت الأم صوت ابنتها الرفيع، فجاءت بسرعة من المطبخ ورمت نفسها على "رانهيلد" بسرعة البرق، مثل وحشٍ انقض على فريسته ويرفض أن يتركها، واختفت "رانهيلد" في عناق والدتها، ولم يظهر منها إلا أطرافها النحيلة وخصلات من شعرها. وقفتا بصمتٍ تام دون بكاء، كان "ثوربيورن" يمسك التليفون بقوة حتى كاد يحطمه، والضابطة تصدر صوتاً بالأكواب، و"كارلسين"

يلفُ شاربه مبتسمًا. أشرقَت الغرفة بسعادة وكأن الشمس أَلقت بأشعتها عليها فجأة. أخيرًا قالت الأم بضحكةٍ باكية:

- يا لك من طفلةٍ فظيعة!

تنحَنح "سير" وقال:

- أفكر في قضاء أسبوع إجازة، ما زال لديّ رصيد في إجازاتي.

عبر "كارلسين" مطبًا صناعيًا وقال:

- وماذا ستفعل بها؟ ستذهب للقفز بالمظلات في "فلوريدا"؟

- فكرت في الذهاب إلى كوشي.

- ذلك القريب من "بريفيك"، أليس كذلك؟

- في جزيرة "ساند آيلاند".

خرجاً إلى الطريق الرئيسي وزاداً السرعة.

تمتم "كارلسين":

- عليّ الذهاب إلى مدينة ملاهي "ليجولاند" للمكعبات هذا العام، لم يعد

يمكنني تجنب الأمر، فابنتي مصرة بشدة.

قال "سير":

- نتحدث كما لو أنه عقاب، "ليجولاند" جميلة، أنا واثق أنك ستغادر محملاً

بصناديق المكعبات وستستمتع كثيرًا، اذهب ولن تندم.

- لقد ذهبت إلى هناك إذًا، أليس كذلك؟

ذهبت مع "ماتيوس". هل تعلم أنهم بنوا تمثالاً من المكعبات لمحارب الهنود

الحمير الشهير باسم "الثور الجالس"، احتاجوا إلى 1.4 مليون قطعة مكعبات

بألوان خاصة، هذا مذهل.

صمت عندما لمح الكنيسة التي على اليسار، إنها كنيسة خشبية بيضاء، تقع

بعيدة عن الطريق وسط الحقول الخضراء والصفراء. قال لنفسه إنه كان عليه

دفن زوجته في مكانٍ كهذا على الرغم من بعد المسافة، لكن فات الأوان الآن، لقد توفيت منذ ثماني سنوات، ودُفنت في مقبرة في وسط المدينة، بجانب الطريق السريع، محاطة بعوادم السيارات وصخب المرور.

- هل تظن أن الفتاة بخير؟

- بدت كذلك، لقد طلبت من والدتها أن تتصل بنا حين تهدأ الأمور قليلاً، على الأرجح ستريد التحدث عما حدث في النهاية.

ثم أضاف مفكراً:

- ست ساعات، يا لها من مدةٍ طويلة، لا بدّ أن من أخذها كان وحيداً ومعسول اللسان.

- على الأقل نعرف أن معه رخصة قيادة، أنه ليس معزولاً تماماً عن العالم إذاً.

قال "سيير":

- نحن لسنا واثقين من أنه يملك رخصة قيادة، أليس كذلك؟

قال "كارلسين":

- لا. تَبّاً، أنت محق.

ضغط على الفرامل وانعطف إلى محطة بنزين في وسط البلدة، حيث يوجد مكتب بريد، وبنك، ومصفف شعر، ومحطة بنزين بخدمات إضافية. هناك ملصق مكتوب عليه "تخفيض على سعر الأدوية"، معلق على نافذة محل "كيوي" ذي الأسعار الرخيصة، ومصفف الشعر لديه إعلان مغرٍ عن جهاز جديد للسُمرة.

- أريد شيئاً آكله، هل ستأتي معي؟

دخلا محل المحطة واشترى "سيير" صحيفة وشوكولاتة، نظر عبر النافذة إلى الخليج.

قالت الفتاة خلف طاولة الدفع وهي تنتظر بتوتر إلى "كارلسين":

- عذراً لسؤالي، لم يحدث مكروهٌ لـ"رانهيلد"، أليس كذلك؟
- قال "سير" وهو يضع النقود على الطاولة:
- هل تعرفينها؟
- لا، لا أعرفها، لكن أعرف بشأنها، لقد جاءت والدتها صباحاً للسؤال عنها.
- "رانهيلد" بخير، إنها في البيت.
- ابتسمت بارتياح وأعادت إليه الباقي. سألتها:
- هل أنت من هنا؟ هل تعرفين معظم السكان؟
- بالتأكيد، نحن لسنا كثر هنا.
- هل تعرفين رجلاً، قد يكون غريب الأطوار قليلاً، يقود شاحنة قديمة وقبيحة وطلاؤها متقشر؟
- قالت وهي تومئ:
- المواصفات تطابق "رايموند"، "رايموند ليك".
- ماذا تعرفين عنه؟
- إنه يعمل في هيئة التوظيف، يعيش مع والده في بيتٍ صغير على الجانب البعيد من جبل "كولين". "رايموند" مصاب بمتلازمة "داون"، إنه في الثلاثين من عمره، وهو لطيفٌ جداً، كان والده يدير هذه المحطة قبل تقاعده.
- هل يملك "رايموند" رخصة قيادة؟
- لا، لكنه يقود بأي حال، الشاحنة ملك والده، إنه مُقعد، لذلك لا يمكنه التحكم في تصرفات "رايموند"، المأمور يعرف بالأمر ويوقفه بين حين وآخر لكن بلا فائدة، عموماً إنه لا يقود أعلى من السرعة الثانية أبداً، هل هو من عرض على "رانهيلد" توصيلها؟
- نعم.

ابتسمت وقالت:

- هذا يعني أنها كانت بأمان تامٍ إذًا، "رايموند" قد يتوقف ليسمح لخنفساء بعبور الشارع.

ابتسم الضابطان وخرجا، قضم "كارلسين" من الشوكولاتة الخاصة به ونظر حوله وقال وهو يمضغ:

- بلدة لطيفة.

كان "سيير" قد اشترى أيضًا كيكًا باللوز والسكر، نظر إلى حيث ينظر وقال:

- هذا الخليج شديد العمق، أكثر من ثلاثمائة متر، ولا تزيد حرارته عن 17 درجة مئوية.

- هل تعرف أي شخص هنا؟

- لا، بل ابنتي "إنجريد"، جاءت إلى هنا في موكب فلكلوري، إنه مهرجان ينظمونه في الخريف، تقول دائمًا: "يجب أن تعرف منطقتك".

لف ورقة الحلوى على شكل عصا رفيع ووضعها في جيب قميصه.

- هل تظن أن شخصًا يعاني من متلازمة "داون" قد يجيد القيادة؟

قال "كارلسين":

- لا فكرة لدي، لكنهم لا يعانون من أي مشكلة غير أن لديهم كروموزوم معين عدده أكثر من اللازم، أظن أن مشكلتهم الكبرى هي أنهم يأخذون وقتًا أطول من غيرهم لتعلم شيء ما، كما أنهم يعانون من مشاكل في القلب، لذلك لا يعيشون طويلًا، وهناك شيء في يدهم.

- وما هو؟

- ينقصهم أحد خطوط الكف أو ما شابه.

نظر له "سيير" بدهشة وقال:

- بأي حال، لقد استسلمت "رانهيلد" للخداع.

- لقد ساعدت الأرناب على سحرها بالتأكد.

وجد "كارلسين" منديلاً في جيبه ومسح الشوكولاتة من على جانبي فمه.

- لقد ترعرعت مع صبي مصاب بمتلازمة "داون"، أسميناه "جانر المجنون"، حين أتذكر الأمر أجد أننا كنا نظنه قادمًا من كوكب آخر بالفعل، إنه متوفى الآن، مات في سن الخامسة والثلاثين.

ركبا السيارة وقادا، حضّر "سير" ما سيقوله لرئيس القسم لدى عودتهما إلى المركز، شعر فجأة أنه بحاجة إلى بضعة أيام إجازة في كوخ العطلات، التوقيت مناسب، فالأوضاع تبدو جيدة، والبنت عادت إلى بيتها بأمان، مما جعل مزاجه معتدلاً. تأمل الحقول والمراعي، ثم شعر أنهما أبطأ، رأى جرارًا يسد الطريق عليهما، جرارًا أخضر ماركة "جون دير"، وحواف إطاراته صفراء، كان يسير ببطء كالحزون، ولا فرصة لديهما لتجاوزه، كلما حاولا العبور من أي مساحة، وجداها ضيقة. كان المزارع يرتدي قبعة من القش ويضع سداة أذن، ويجلس على مقعد السائق وكأنه نبت منه كالشجرة. غيّر "كارلسين" السرعة وهو يزفر.

- إنه يحمل كرنبًا. ألا تستطيع أن تمد يدك وتأخذ صندوقًا؟ يمكننا أن نطهوه في مطبخ الكافيتريا.

تمتم "سير":

- نحن الآن نقود بالسرعة نفسها التي يقود بها "رايموند"، الحياة على السرعة الثانية يبدو شيئًا مثيرًا، ألا تظن؟

أرعى رأسه الأشيب على مسند الرأس وأغمض عينيه.



الفصل الثاني



بعد تجربة هدوء الريف بدت المدينة مكاناً قذراً مزدحماً بفوضى من الناس والسيارات، ما زال الطريق الرئيسي يمر بوسط المدينة، ومجلس المدينة يكافح لكي ينشئ نفقاً. لقد جهزوا التصاميم بالفعل، لكن بين كل حين وآخر تظهر مجموعة ما وتعترض بجدال عنيف، مثل أن فتحات تهوية النفق ستشوه المنظر الجميل بجانب النهر، والضوضاء والتلوث الناتجين عن عملية الإنشاء، وأخيراً وليس آخراً، التكلفة.

نظر "سيير" إلى الشارع من مكتب الرئيس، لقد قدّم طلبه وهو الآن في انتظار الرد، إنه إجراء شكلي، فـ"هولتهيمان" لن يفكر في رفض طلب "كونراد سيير"، لكن الرئيس يحب الالتزام بالإجراءات الرسمية. سأله:

- هل تفقدت سجلات المناوبة وتحديثت مع باقي الزملاء؟

أوماً "سيير" وقال:

- سأأخذ "سوت" مناوبتين مع "سيفين"، أظنّها ستجعله يحسن التصرف.

- حسناً إذاً، لا يوجد ما يمنعك من..

رن التليفون فجأة، رنّتين قصيرتين مثل زقزقة عصفور جائع، لم يكن "سيير" متديناً، لكنه تلا صلاة سريعة بأي حال، على الأرجح كان يتمنى ألا يحدث شيء يمنع إجازته الوشيكة.

قال "هولتهيمان" على التليفون:

- تريد أن تعرف إن كان "كونراد سيير" في مكتبي أم لا؟ نعم، إنه هنا. سأجعله يتحدث إليك.
- سحب السلك وناول "سيير" السماعة، أخذها ظناً منه أنها ابنته "إنجريد" وتريده في أمر ما، تمنى ألا يكون قد حدث مكروه، لكنها كانت السيدة "ألبوم"، سألها:
- هل "رانهيلد" بخير؟
- نعم، إنها بخير تمامًا، لكنها أخبرتني شيئاً غريباً جداً حين أصبحنا بمفردنا أخيراً، اضطررت إلى مهاذفتك، فالأمر بدا عجباً وهي ليس من عاداتها تأليف القصص، لذلك هاتفتك لإخبارك من باب الاحتياط، بأي حال كنت سأخبر أي شخص.
- ما الأمر؟
- ذلك الرجل الذي كانت معه وأوصلها إلى البيت، اسمه "رايموند"، لقد تذكرت ذلك لاحقاً، قادا أعلى الجبل حتى بحيرة "سيربنت تارن"، وتوقفا هناك لبعض الوقت.
- ثم؟
- قالت "رانهيلد" إنها رأت امرأة ترقد هناك.
- طرف بعينه بدهشة وقال:
- ماذا قلت؟
- قالت إن هناك امرأة ترقد عند البحيرة، بدون ملابس، ولا تتحرك.
- بدا صوتها مضطرباً ومحرجاً في الوقت ذاته.
- وهل تصدقونها؟
- نعم. هل يعقل أن تؤلف طفلة هذا الكلام؟ لكنني لا أجرؤ على الذهاب إلى هناك وحدي، ولا أريد أن أخذها معي.
- سأبحث في الأمر، لا تخبري أحداً، وسأتواصل معك.

أغلق الخط ونسي أمر الإجازة، اختفت من عقله فكرة الكوخ ورائحة البحر
والسمك، ابتسم لـ"هولتهيمان" وقال:
- هناك أمر عليّ الاهتمام به أولاً.

خرج "كارلسين" في دورية بالسيارة الوحيدة التي استطاعوا توفيرها ذلك
اليوم، وكان عليه تمشيّط وسط المدينة كله بها، لذلك أخذ "سيير" "سكاري"
معه، إنه شاب بشعرٍ مموج في منتصف عمره، كما أنه مرح ولطيف ومتفائل،
تغلب على لهجته لكنة جنوبية، ركنا السيارة مجددًا بجانب صندوق البريد في
"جرانيتفين"، وتحدثا بإيجاز مع "إيرين ألبوم". تشبّثت "رانهيلد" بثوب أمها
مثل النباتات الشائكة، يبدو أن الطفلة الشقراء تعرضت لكمّ كبير من التوبيخ،
أوضحت والدتها أن عليهما اتباع طريق عليه لافتة، يقع على حافة الغابة ويواجه
المنزل، ثم صعود التلّ والانعطاف يسارًا مرورًا بقمة "كولين"، قالت إن الأمر قد
يستغرق عشرين دقيقة وحسب من رجال نشيطين مثلهم.

كانت جذوع الأشجار معلّمة بأسهم زرقاء كإرشادات للطريق، نظرا إلى روث
الأغنام ببؤس وهما يسيران بين العشب بين حينٍ وآخر، لكنهما يواصلان التقدم.
أصبح الطريق أكثر انحدارًا، كان "سكاري" يلهث قليلًا بينما يسير "سيير"
بسهولة، توقف مرة لينظر إلى الأسفل نحو البيوت، فلم يرَ إلا الأسقف عن بعد،
بلونيهما الأسود والبني الوردي، ثم واصلوا السير بصمت تام، ربما لأنهما كانا
خائفين مما سيجدانه، كانت الغابة كثيفة جدًا لدرجة أنهما كانا يسيران في
الظلام تقريبًا، أبقى "سيير" عينيه على الطريق غريزيًا، ليس لأنه كان يخشى
التعثر، بل لأنه في حال حدث شيء هنا بالفعل فمن الأفضل الانتباه لكل
التفاصيل. ساروا لسبع عشرة دقيقة إلى أن انتهت الغابة وأطل عليهم نور
الشمس، استطاعا أن يريا الماء أخيرًا، إنها بحيرة بسطحٍ عاكس، في حجم بركةٍ

كبيرة، تقع وسط الأشجار مثل بقعة سرية. مشطا الأرض بنظرهما، وتابعا الحشائش الصفراء المحيطة بالبحيرة إلى أن لحا ما يشبه الشاطئ، فانطلقا نحوه بينما تفصلهما مسافة لا بأس بها عن الماء، كانت الحشائش كثيفة وهما يرتديان الأحذية العادية.

بالكاد يمكن تسمية ذلك المكان بالشاطئ، فهو أشبه ببقعة موحلة تضم أربعة أحجار كبيرة أو خمسة، فقط ما يكفي لإبعاد الحشائش، إنه المكان الوحيد الذي يمنع ثغرة للوصول إلى الماء. وهناك لحا امرأة راقدة بين الوحل والطين، كانت ملقاة على جانبها وظهرها إليهم، وهناك معطف مطر يغطي نصفها العلوي، فضلاً عن ذلك كانت عارية، وبجانبها ملابس زرقاء وبيضاء ملقاة في كومة. توقف "سير" للحظة ثم مد يده تلقائياً إلى تليفونه المعلق في حزامه، ثم غير رأيه فجأة واقترّب بحذر وهو يسمع خطوات قدميه. قال بصوت خافت: - لا تتحرك.

أطاعه "سكاري". وقف "سير" على حافة الماء ووازن نفسه على صخرة داخل الماء قليلاً لكي يرى المرأة من الأمام، لم يرد أن يلمس شيئاً، ليس بعد. وجد عينيها غائرتين قليلاً وشبه مغمضتين وتنظران بثبات إلى نقطة في البحيرة، كان غشاء العين باهتاً ومجعداً، أما القزحيتان فكانتا واسعتين، ولم تعودا مستديرتين، وفمها مفتوح وهناك رغبة صفراء تسيل وتلطخ أنفها، وكأنها تقيأت. انحنى ونفخ فيه، فلم يتحرك، كان وجهها على بعد سنتيمترات قليلة من الماء، وضع إصبعيه على الشريان السباتي، لقد فقد الجلد مرونته وأصبح بارداً كما توقع. قال مؤكداً:

- إنها ميتة.

وجد علامات حمراء خفيفة على حلمتي أذنيها وجانب رقبتها، وجلد ساقها كان مجعدًا لكنه سليم. عاد من الطريق نفسه الذي سار عليه بينما "سكاري" يقف بانتظاره، واضعًا يديه في جيبه والحيرة بادية عليه، كان خائفًا من ارتكاب أي خطأ. - إنها عارية تمامًا تحت هذا المعطف، لا توجد إصابات ظاهرة، عمرها يتراوح ما بين ثماني عشرة إلى عشرين سنة.

هاتفَ المركز وطلب سيارة إسعاف، وأطباء شرعيين، ومصورًا، ورجال المعمل الجنائي. وصف لهم الطريق من خلف قمة "كولين" حيث يمكن الصعود بالسيارة، طلب منهم أن يركنوا السيارات على مسافة، لكيلا يزيلوا أي آثار لسيارات أخرى، أنهى المكالمات ونظر حوله بحثًا عن شيء يجلس عليه، فاختار حجرًا مسطحًا، جلس "سكاري" بجانبه ونظرًا بصمتٍ إلى ساقها البيضاء وشعرها الأشقر الناعم الذي يصل إلى كتفها، كانت راقدة في وضعية الجنين تقريبًا، ذراعها مطويتين فوق صدرها، وركبتيها مرفوعتين، المعطف ملقى ببساطة على نصفها العلوي ويصل إلى منتصف فخذهما، كان نظيفًا وجافًا، أما باقي ملابسها فملقاة في كومة خلفها، وكانت مبتلة وقذرة. هناك بنطلون فيه حزام، وبلوزة كاروهات أبيض وأزرق، وصدريّة، وكنزة "بلوفر" زرقاء داكنة، وحذاء رياضي. تمت "سكاري" متسائلًا:

- ما هذا الذي على فمها؟

- رغبة.

- لكن.. رغبة؟ من أين أتت؟

هز "سيير" رأسه:

- أظننا سنعرف ذلك قريبًا، تبدو وكأنها استلقت لتنام وأعطت ظهرها للعالم.

- لا يخلع الناس ملابسهم قبل الانتحار، أليس كذلك؟

لم يجب "سيير"، نظر إليها مجددًا، إلى جسدها الأبيض الراقد بجوار المياه السوداء المحاطة بالغابة المظلمة، لا توجد آثار للعنف. في الواقع، بدا المشهد مسالمًا جدًّا، جلسا في انتظار باقي الرجال.

خرج ستة رجال من الغابة، خبت أصواتهم تدريجيًّا إلا من بعض السعال الخفيف حين لمحوا الرجلين عند البحيرة، بعد ثوانٍ رأوا جثة المرأة، وقف "سيير" وأشار لهم وهو يصيح:

- ابقوا على ذلك الجانب!

فعلوا ما أمرهم به، ميزوا شعره الأشيب، فحص أحد الرجال المنطقة بعين خبير، وسار بحذر على الأرض التي كانت صلبة إلى حدٍ ما حيث يقف وتمتم بشيءٍ ما عن قلة المطر، تقدم المصور أولًا، لم يقف طويلًا بجانب الجثة، بل نظر إلى السماء وكأنه يفحص ظروف الإضاءة. قال "سيير":

- التقطُ صورًا من كلا الجهتين، وأظهر العشب من حولها. أخشى أنك ستضطر إلى النزول في الماء بعد هذا، لأنني أحتاج إلى صورٍ من الأمام بدون تحريك الجثة، عندما تستخدم نصف الفيلم، سنزيل السترة وتكمل التصوير. قال بشك:

- البحيرات الجبلية مثل هذه غالبًا ما تكون عميقةً بلا قرار.

- لكنك تستطيع السباحة، أليس كذلك؟

صمت ولم يجب.

- هناك قارب تجديف، يمكننا استخدامه.

- هذا الطوق؟ إنه يبدو متعفنًا.

قال "سيير" بجفاء:

- سنرى بشأن ذلك.

بينما عمل المصور ينتظر الآخرون في سكون، أحد رجال المعمل الجنائي كان يعمل بالفعل على مسافةٍ منهم على الضفة، كان يبحث في المنطقة التي بدت خالية تمامًا من أي مخلفات، يا لها من بقعةٍ مثالية، فعادةً ما تجد في هذه الأماكن أغطية، زجاجات، وواقيات ذكرية مستعملة، وأعقاب سجائر، وأغلفة حلويات، أما هنا فلم يجدوا شيئاً.

قال:

- غير معقول، لا يوجد حتى عود ثقاب محروق.

قال "سير":

- لا بدَّ أن الفاعل نظف كل أثرٍ من خلفه.

- تبدو واقعة انتحار، ألا تظن؟

رد:

- إنها عارية تمامًا.

- نعم، لكن لا بدَّ أنها خلعت ثيابها بنفسها، فهذه الملابس لم تُنزع بالقوة، هذا أكيد.

- إنها متسخة.

قال مبتسمًا:

- ربما لهذا خلعتها، بالإضافة إلى أنها تقيأت، لا بدَّ أنها أكلت شيئاً لم تستطع هضمه.

منع "سير" نفسه من الرد ونظر إليها، كان يفهم لماذا جاء رجل المعمل الجنائي بهذا الاستنتاج، فهي تبدو حقًا كما لو أنها استلقت بنفسها، ملابسها موضوعة بنظامٍ بجانبها، وليست ملقاة بإهمال، كانت متسخة لكنها سليمة، فقط السترة التي تغطي نصفها العلوي كانت نظيفة وجافة. نظر إلى الوحل والطين ولح شيئاً يبدو مثل أثر قدم، قال لرجل المعمل الجنائي:

- انظر إلى هذا.

انحنى الرجل بثياب العمل وقاس آثار الأقدام مرات عديدة، ثم قال:

- لا فائدة، فالآثار مليئة بالماء.
- ألا يمكنك استخدام أي منها؟
- على الأرجح لا.

انحنيا إلى الآثار المغمورة بالماء، وقال "سير":

- التقط صورًا بأي حال، أظنها تبدو صغيرة، ربما كانت أقدام الفاعل صغيرة.
- إنها بالكاد 27 سنتيمترًا، ليست كبيرة، قد تكون للمرأة نفسها.

التقط المصور صور عديدة لآثار الأقدام، ثم ذهب إلى القارب القديم وحركه، لم يجدوا مجاديف، لذلك اضطر إلى التجديف بيديه إلى الموقع المنشود، وكلما حرك يديه، مال القارب بشدة.

صاح بقلق:

- الماء يتسرب!
- اهدأ، معنا فريق إنقاذ كامل!

انتهى المصور من التقاط خمسين صورة، نزل "سير" إلى الماء بعدما خلع حذاءه وجوربه ووضعهما على صخرة وشمر بنطلونه، وقف على بعد متر من رأسها، كانت ترتدي سلسلة حول عنقها، رفعها بحرص بقلمٍ أخرجه من جيبه.

تمتم بخفوت:

- ميدالية، من الفضة على الأرجح، مكتوب عليها شيءٌ ما، حرفا "H" و "M"، أحضروا إليّ كيسًا.

انحنى وفكّ السلسلة ثم أزال السترة وقال:

- مؤخرة عنقها حمراء، جلدها شاحبٌ جدًّا في جسدها ملّ، لكنه شديد الاحمرار عند مؤخرة رقبتها، تبدو كبقعة قبيحة في حجم اليد.

نزل الطبيب الشرعي "سنوراسون" وهو يرتدي حذاءً مطاطياً، فحص عينيها وأسنانها وأظافرها، لاحظ جلدها الصافي إلا من علامات حمراء خفيفة، لكنها كثيرة ومنتشرة على عنقها وصدرها، لاحظ كل التفاصيل، ساقاها الطويلتان، وعدم وجود أي علامات ولادة على الإطلاق، وهو ما كان غريباً. وهكذا لم يجد إلا بضع بقع على كتفها الأيمن، لمس الرغبة التي على فمها بحذرٍ بعضاً خشبية، بدت متماسكة وثقيلة مثل قشدة كثيفة.

أشار "سيير" إلى فمها وهو يسأل:

- ما هذا؟

- أظن أنه سائل من الرئة يحتوي على البروتين.

- وما معنى هذا؟

- التعرض للغرق، لكنه قد يعني أشياء أخرى.

أزال بعض الرغبة فنزل غيرها فوراً. قال:

- الرئة لا تعمل.

ضم "سيير" شفتيه بقوة بينما يراقب ما يحدث، التقط المصور مزيداً من الصور للجثة بدون السترة.

قال "سنوراسون" وهو يقلبها بحذرٍ على بطنها:

حان وقت الفحص الدقيق، بدأ الجسد مرحلة التصلب، خاصةً العنق، إنها امرأة كبيرة وقوية، وحالتها الصحية ممتازة، كتفاها عريضتان، عضلاتها قوية، خاصةً أعلى ذراعيها وفخذيها وساقها، على الأرجح كانت تمارس الرياضة.

سأله "سيير":

- هل ترى أي علامات عنف؟

فحص "سنوراسون" ظهرها ومؤخرة ساقها وقال:

- بخلاف الاحمرار على عنقها، لا. ربما جذبها شخصٌ ما بقوةٍ من مؤخرة عنقها ودفعها على الأرض، ومن الواضح أنها كانت لا تزال ترتدي ملابسها. ثم رفعها مجدداً ونزع ملابسها بحذر، بعدها أرقدها على الأرض وغطاها بالسترة.

- هل توجد آثار لاعتداءٍ جنسي؟

- غير واضح بعد.

قاس درجة حرارتها ببساطة مع وجود الجميع، ثم ضاقت عيناه وهو ينظر إلى النتيجة ويقول:

- ثلاثون درجة مئوية، وبالإضافة إلى البقع الدموية تحت الجلد والتهيب الخفيف في العنق، فأنا أقدر أنها ماتت منذ عشر ساعات إلى عشرين ساعة. قال "سير":

- لا، ليس إذا لم تكن قد ماتت هنا.

- هل ستقوم بوظيفتي نيابةً عني؟
هز رأسه نفياً وقال:

- لقد تم عمل بحث هنا هذا الصباح، جاء مجموعة من الأولاد معهم كلاب ليبحثوا عن الطفلة المفقودة، لا بد أنهم كانوا هنا بين الثانية عشرة والثانية ظهراً، لم تكن الجثة موجودة وقتها، وإلا لكانوا رأوها. لقد عادت الفتاة بالمناسبة، وفي أحسن حال.

نظر حوله وانتبه إلى شيءٍ ما في الوحل، التقطه بحذرٍ بإصبعيه وسأل:
- ما هذا؟

نظر "سنوراسون" إلى يده وقال:

- إنه قرص أو حبة.

- هل تظن أنه يوجد المزيد منها في معدتها؟

- محتمل، لكنني لا أرى زجاجة أقراص بجانبها.
 - ربما وضعت الأقراص في جيبها.
 - في هذه الحالة سنجد بقايا بودرة في بنطلونها، ضع القرص في كيس.
 - هل تعرف ما هو؟
 - قد يكون أي شيء، لكن أصغر الأقراص عادةً ما تكون أشدها خطورة.
- سنحلله في المعمل.

أشار "سير" إلى الرجال الذي يحملون النقالة ووقف يشاهدهم وهو عاقدُ ذراعيه، لأول مرة منذ وقتٍ طويل، رفع رأسه ونظر إلى الأعلى. كانت السماء شاحبة، والحشائش الحادة وقفت حول البحيرة مثل الرماح، سوف يحلُّون القضية، لقد وعد نفسه بذلك، سيكتشفون كل شيء.

أتم "جايكوب سكارى" عامه الخامس والعشرين، ولد وترعرع في "سوجنا" في المنطقة الجنوبية، رأى الكثير من جثث النساء العاريات، لكن ليس مثل هذه المرأة بجانب البحيرة قط، أدرك بصدمةٍ وهو يجلس بجانب "سير" في السيارة أن هذه المرأة تركت أثراً أكبر عليه، ربما لأن وضعيتها تبدو كما لو أنها تحاول إخفاء عريها بأن تدير ظهرها إلى الطريق، وتخفض رأسها وترفع ركبتها، لكنهم وجدوها بأي حال، ورأوها عارية. لقد أداروها وقلبوها، وشدوا شفتيها ليفحصوا أسنانها، ورفعوا جفنيها، وقاسوا حرارتها وهي راقدة على بطنها وساقاها متباعدتان كما لو أنها مجرد حصان في مزاد.

قال بصوتٍ مرتجف:

- لقد كانت جميلة، أليس كذلك؟

لم يجب "سير"، لكن أسعده التعليق، فلقد وجد جثث شاباتٍ أخريات كن في أوضاع سيئة للغاية، قادا لبعض الوقت بصمت بينما ينظران إلى الطريق الممتد

أمامهما، لكن صورة المرأة العارية رفضت أن تتركهما، عمودها الفقري المتموج، كعباها الحمراءوان، ساقاها المكسوتان بشعرٍ أشقر، ظلت صورتها طافية أمامهما مثل السراب. راود "سير" شعورٌ غريب لم يراوده من قبل.

- هل تعمل في المناوبة الليلية؟

تنح "سكاري" وقال:

- حتى منتصف الليل وحسب. سأعمل بضع ساعات بالنيابة عن "رينجستاد". بالمناسبة، سمعت أنك كنت تفكر في أخذ أسبوع إجازة. هل ألغيت خططك الآن؟

- يبدو كذلك.

لقد نسي الأمر برمته.

استقرت لائحة الأشخاص المفقودين على الطاولة.

أربعة أسماء، رجلان وامرأتان. ولدت المرأتان قبل 1960، ومن ثمّ فلا واحدة منهما صاحبة الجثة قرب البحيرة، إحداهما فُقدت من جناح الأمراض النفسية في المستشفى المركزي، والأخرى من دار المسنين في البلدة المجاورة. بالنسبة للجثة، فطولها 155 سنتيمترًا، ووزنها 45 كيلوجرامًا، وشعرها أشقر لدرجة البياض الشاهق.

إنها السادسة مساءً، قد تمر ساعات قبل أن يقلق أحدُ بشأنها ويبلغ الشرطة بفقدانها، عليهم انتظار الصور وتقرير التشريح، لا يوجد ما يفعلونه قبل التعرف على هوية المرأة. أخذ سترته الجلدية المعلقة على ظهر الكرسي، ثم استقل المصعد إلى الطابق الأول. انحنى باحترامٍ شديد للسيدة "برينيجن" في مكتب الاستقبال، فقد تذكر أنها أرملة مثله وربما عاشت ظروفه نفسها، كانت جميلة أيضًا، وشقراء مثل زوجته "إليز" لكن جسدها ممتلئ أكثر.

توجه إلى سيارته في المربأ، إنها "بيجو" قديمة، موديل 604، بلون أزرق فاتح. تخيل وجه جثة المرأة القوية الممتلئة وهو خالٍ من مساحيق التجميل، ملابسها كانت مرتبة وأنيقة، شعرها الأشقر الطويل الأملس كان مقصوفاً بعناية، الحذاء من نوعٍ غالٍ، كانت ترتدي ساعة رياضية غالية من ماركة "سايكو"، هذه المرأة ميسورة الحال، من عائلة منظمة ومحترمة. لقد وجد نساءً أخريات ذوات خلفية مختلفة تماماً، لكنه شهد الكثير من المفاجآت في عمله، ما زالوا لم يعرفوا إذا ما كانت ثملة أم تعاطت مخدرات أو غيرها من السموم، كل شيء وارد، والأمور ليست كظواهرها دائماً.

قاد ببطء عبر المدينة، ومر بالسوق ومركز الإطفاء، وعده "سكاري" أن يتصل به بمجرد أن يتلقى بلاغاً بامرأة مفقودة، كان منقوشاً على السلسلة حرفاً "H.M."، ربما اسمها "هيلين" أو "هيلدا"، لم يظن أنه سينتظر طويلاً قبل أن يتصل أحد، فالمرأة تبدو من النوع المنظم الذي يرتبط بمواعيد كثيرة.

بينما يُدخل المفتاح في ثقب المفتاح، سمع صوت ارتطام، إنه صوت الكلب وهو يقفز عن المقعد ذي الذراعين الذي منعه من الجلوس عليه. يعيش "سير" في المبنى السكني الوحيد في البلدة الذي يتكون من ثلاثة عشر طابقاً، لذلك يبدو بارزاً وغريباً وسط المنطقة، وكأنه مسألة ضخمة من عصر الفايكينج، تعلو نحو السماء وتطل على باقي المباني. عندما انتقل إلى هنا منذ عشرين عاماً مع "إليز"، كان تصميم الشقة ممتازاً وكانت تطل على منظرٍ رائع، كان بإمكانه رؤية البلدة كلها، كما قارن الشقة بمثيلاتها القريبة منها، أما من الداخل فكانت الشقة مريحة ودافئة، الأرضية خشبية، والأثاث قديم ومصنوع من خشب البلوط المتين، كان ملكاً لوالديه، والجدران مغطاة برفوف الكتب، وفي المساحة القليلة الخالية وضع القليل من صورهِ المفضلة، أحدها لـ"إليز"، ومعظمها لحفيده و"إنجريد"، هناك رسمة بالفحم لـ"كاتي كولويتز"، اسمها "فتاة على حجر

الموت"، قصها من كتالوج ووضعها في إطار أسود، هناك صورة لنفسه وهو يمارس القفز الحر في المطار، توجد أيضًا صورة وقورة لوالديه في أحد أيام الأحد، كلما نظر إلى صورة والده، شعر بتقدم عمره المزعج، سوف يصبح وجهه هزيلًا بينما يواصل حاجباه وأذناه النمو، مما سيعطيه المظهر الغريب نفسه.

إن القوانين صارمة في تلك المباني السكنية حيث تتكسد العائلات فوق بعضها مثل أبراج حجرية، فتنفيض السجاد من الشرفات ممنوع، لذلك يرسلها السكان للتنظيف كل ربيع، حان الوقت لذلك مجددًا، إن فرو "كولبيرج" يتساقط بغزارة. تم مناقشة هذا في اجتماع السكان لكن الجميع تناساه، على الأرجح لأن "سيير" محقق شرطة والجيران يشعرون بالأمان بوجوده، لم يشعر أنه محاصر لأنه يعيش في الطابق الأخير، شقته نظيفة ومرتبّة، وتعكس طبيعته، أي منظمة وبسيطة. لقد خصص ركنًا للكلب في المطبخ حيث يتناثر الطعام والماء دائمًا، هذا الركن يشير إلى نقطة ضعف "سيير" الوحيدة، ارتباطه الشديد بكلبه، أما الحمام فهو المكان الوحيد الذي يزعجه في الشقة، لكنه سيتصرف بشأنه لاحقًا، أما الآن فله جثة امرأة ليتعامل معها، وعلى الأرجح رجل مجنون طليق عليه إمساكه، لم يحب ذلك، يشعر كما لو أنه يقف على ناصية الطريق ولا يرى ماذا خلف المنعطف. استعداد لاستقبال الكلب المتحمس له، أخرجه في نزهة سريعة خلف المبنى، وأعطاه ماءً نظيفًا ليشرب، أخذ يقرأ الصحيفة، وعندما وصل إلى نصفها رن التلفزيون، أخفض صوت الموسيقى وشعر بالقليل من التوتر وهو يرد، ربما اتصل أحد بالمركز، فاتصلوا به ليبلغوه باسم المرأة.

- مرحبًا يا جدّي!

- "ماتْيوس"؟

- عليّ الذهاب إلى السرير الآن، لقد حان وقت النوم.

سأله وهو يجلس على طاولة التلفزيون:

- هل غسلت أسنانك؟
تخيل الطفل ببشرته البنية وأسنانه البيضاء كاللؤلؤ.
- ماما غسلتها لي.
- هل أخذت أقراص الفلورايد؟
- نعم.
- هل تلوت صلاتك؟
- قالت أُمِّي إنني لست مضطراً إلى هذا.
ظل يتحدث مع حفيده مدةً طويلة، بينما يلصق السماعة بأذنه لكي يسمع كل نبذة وكل نفس في صوته المرح، إنه مرن وناعم مثل صوت فلوت من خشب الصفصاف في الربيع، أخيراً تبادل بضع كلمات مع ابنته، سمع تنهداً الحزين حين أخبرها عن الجثة التي وجدوها، وكأنها ترفض الحياة التي اختارها لنفسه، إنها تتنهد بنفس أسلوب "إليز" تماماً، لم يذكر لها عملها في الصومال التي تجتاحها الحرب الأهلية، بل نظر إلى الساعة وفكر أنه في مكان ما يوجد شخص يفعل ما يفعله الآن تماماً، شخصٌ ما ينتظر وينظر إلى النافذة والتليفون، شخصٌ ما ينتظر عودة الفتاة بلا فائدة.

كان المركز يعمل على مدار الساعة لخدمة خمسة مجتمعات سكنية يسكنها 115 ألف مواطن، بعضهم صالح وبعضهم شرير، هناك أكثر من مائتي شخص يعمل في مجمع المحاكم والسجون، من ضمنهم مائة وخمسون يعلمون في مركز الشرطة، من بين الموظفين ثلاثون محققاً، لكن بما أن الموظفين دائماً إما في إجازة أو يحضرون دورات تدريبية ومؤتمرات بأوامر من وزير العدل، فلا يوجد فعلياً إلا عشرون محققاً في الخدمة كل يوم، هذا يُعد قليلاً جداً، يرى "هولتهيمان" أن الرأي العام أصبح مشغولاً عنهم، لم يعودوا محط الاهتمام.

يتولى القضايا اليسيرة محققون منفردون، بينما يتولى القضايا الصعبة الفرق الكبيرة، تأتي إلى المركز ما بين 14000 إلى 15000 قضية سنوياً، في النهار يتكون معظم العمل من ملء استثمارات لأشخاص يريدون بناء كشك لبيع أشياء، مثل ورود صناعية وتماثيل فخارية، وهناك استثمارات لمن يريد الاعتراض على شيء، مثل حفر نفق جديد مثلاً، أيضاً تتم مراجعة كاميرات المرور. يدخل السائقون غاضبون فيتفاجئون بصورة مؤكدة لأنفسهم وهم يتجاوزون خط العبور أو إشارة المرور، يجلسون باستياء في غرفة الانتظار، من ثلاثين إلى أربعين شخصاً، ومحافظهم تزمجر في جيوبهم. من ضمن الواجبات هي صيانة سيارات الشرطة التي تمثل العلاقة العامة بين الشرطة والسكان، لكن يجب الاعتراف أن رجال الشرطة لا يتهافون على هذا الواجب المهم أبداً، يجب اصطحاب المحتجزين إلى جلسات الاستماع، حتى رجال الشرطة أنفسهم يأتون باستثمارات خاصة بهم، مثل طلبات الإجازة وجداول الاجتماعات، في الطابق الرابع يوجد قسم الشؤون القانونية والادعاءات، حيث يعمل خمسة محامين على صلة وثيقة بالشرطة، في الطابقين الخامس والسادس يوجد سجن المقاطعة، وعلى السطح توجد ساحة يطل منها المساجين على السماء.

أما الضابط المناوب فيعد صلة المركز بالعالم الخارجي، هذه الوظيفة تتطلب الكثير من المرونة والصبر، فالمواطنون يتصلون على مدار اليوم، هناك طابور لا ينتهي من الشكاوى: دراجات مسروقة، كلاب ضائعة، اقتحام منازل، تحرش. وهناك آباء منفعلون من الأحياء الثرية يتصلون للشكوى من قيادة الشباب المزعجة في الحي، أحياناً لا يسمعون إلا شهقات ضعيفة، فيعرفون إنها امرأة تحاول الإبلاغ عن حادثة اعتداء أو اغتصاب لكنها تتراجع بياس وتغلق الخط، في حالات قليلة يتلقون بلاغات عن جريمة قتل أو أشخاص مفقودين. وسط كل هذا

يجلس "سكاري" منتظرًا، إنه يعلم أن المكالمات المنشودة قادمة، يشعر بالتوتر
يتجمع بداخله مع كل دقة وكل ساعة تمر حتى حلول الليل.

رن تليفون "سير" للمرة الثانية في منتصف الليل تقريبًا، كان يغفو في
كرسيه المريح وهو يقرأ الصحيفة، وكان دمه يسري ببطء في عروقه ممزوجًا
ببعض الويسكي. طلب سيارة أجرة وفي خلال عشرين دقيقة وصل المكتب.
قال "سكاري":

- لقد جاء والداها بسيارة "تويوتا" قديمة، وانتظرتهما بالخارج.

- ماذا أخبرتهما؟

- على الأرجح أفسدت الأمر بسبب توتري، لقد اتصلنا أولاً، وخلال نصف
ساعة كانا هنا، ثم غادرا بعدها.

- إلى المشرحة؟

- نعم.

- هل كانا متأكدين من إنها هي؟

- أحضرا معهما صورة، عرفت الآن ما كانت ترتديه بالضبط، كل ملابسها
طابقت الوصف، من حلية الحزام وحتى الملابس الداخلية. كانت ترتدي صدرية
رياضية، لأنها تتمرن كثيرًا، لكن معطف المطر ليس لها.

- هل تمزح؟

- هذا مدهش، أليس كذلك؟

شعر "سكاري" بالحماس.

- لقد ترك لنا دليلًا بكل سهولة، هناك كيس سكر صغير وعاكس نور على
شكل بومة.

- لا أصدق أنه ترك سترته. بالمناسبة، من الضحية؟

نظر إلى مفكرته وقال:

- "آني صوفي هولاند".
- "آني هولاند"؟ ماذا عن السلسلة؟
- إنها لحبيبها، اسمه "هالفور".
- من أين هي؟
- "لوندباي". إنهم يعيشون في عشرين شارع "كريستالين"، إنه الشارع نفسه حيث أمضت "رانهليند ألبوم" ليلتها، لكن في آخره. مصادفة غريبة.
- كيف كان والداها؟
- رد بخفوت:
- خائفان حتى الموت، إنهما لطيفان ومحترمان، تحدثت الأم بلا توقف بينما صمت الأب تمامًا. غادرا مع "سيفين".
- أضاف:
- فكما ترى أنا مضطرب قليلاً.
- وضع "سير" قرص استحلاب في فمه بينما واصل "سكاري":
- كانت في الخامسة عشرة فقط، طالبة ثانوية.
- هز رأسه:
- هذا مستحيل! ظننتها أكبر سنًا. هل الصور جاهزة؟
- مرر يده في شعره وجلس.
- ناوله "سكاري" مغلفًا مليئًا بالصور المكبرة إلى حجم 20 في 25 سنتيمترًا، ما عدا اثنتين أكبر حجمًا.
- سأله "سير":
- هل تعاملت مع قبل مع قضية قتل واغتصاب؟
- هز "سكاري" رأسه قائلاً:
- لا تبدو لي كجريمة اغتصاب، هذه مختلفة.

تصفح الأوراق وهو يوضح:

- فالجثة موضوعة على الأرض بلطف وبحالة جيدة، وكأن شخصاً ما وضعها في السرير وغطاها، لا يوجد جروح أو خدوش، ولا حتى آثار للمقاومة، حتى شعرها بدا مصففاً. المعتصبون لا يفعلون هكذا، بل يظهرون قوتهم ويلقون بضحاياهم جانباً.

- لكنها عارية.

- نعم، أعرف.

- ماذا تخبرنا الصور إذا؟

- لست واثقاً، إن السترة موضوعة بعناية على جسدها وكأنها تحميها.

- تعني بلطف؟

- انظر إلى الصور. ألا تظن هذا؟

- نعم، أوافق. ماذا لدينا إذا؟ نوع من القتل الرحيم؟

- على الأقل هناك دخل للمشاعر في الموضوع، أعني أن لديه مشاعرًا تجاهها، مشاعر طيبة، ربما كان يعرفها، هكذا الحال عادةً.

- متى سنحصل على تقرير التشريح في رأيك؟

- سأحث "سنوراسون" على الإسراع بقدر الإمكان، من المؤسف أننا لم نجد بقايا تُذكر هناك، لا يوجد إلا بضعة آثار أقدام بلا نفعٍ وقرص واحد، لا يوجد حتى عقب سيجارة أو عصا آيس كريم.

قضم قرص الاستحلاب بأسنانه وذهب إلى الحوض ليملاً كوب ماء، ثم قال:

غداً سنعود إلى "جرانيتفين"، علينا التحدث مع الأولاد الذين كانوا يبحثون عن "رانهيلد"، من ضمنهم فتى يدعى "ثوربيورن"، علينا أن نعرف أين بحثوا في البحيرة بالضبط.

- ماذا عن "رايموند ليك"؟

- سنسأله أيضًا، وسنسأل "رانهيلد". يلاحظ الأطفال الكثير من الأشياء العجيبة، صدقني، فأنا أتحدث عن خبرة.

أضاف:

- ماذا عن آل "هولاند"؟ هل لديهم أبناء آخرون؟

- ابنة أخرى أكبر سنًا.

- حمدًا لله.

قال "سكاري":

- هل يفترض أن يقدم هذا بعض التعازي؟

قال "سيير" بعبوس:

- إنه كذلك بالنسبة لنا.

وضع الشاب يده على جيبه وقال:

- هل يمكن أن أدخن؟

- تفضل.

زفر وقال:

- هناك طريقان للوصول إلى البحيرة، الطريق الذي أخذناه أو الآخر البعيد، وهو الذي سلكه "رايموند" و"رانهيلد". ألا تظن أنه علينا زيارة كل من يسكن على هذا الطريق غدًا؟

- اسم الطريق "كوليفيين"، ولا أظنه يضم الكثير من البيوت، لقد تحققت من الخريطة في البيت، به بضع مزارع لا أكثر، لكن بالطبع إذا كان الفاعل نقلها بالسيارة، فمن المؤكد أنه استقل هذا الطريق.

- أشعر بالأسف على حبيبها.

- أظننا على وشك أن نعرف أي نوع من الشباب هو.

قال "سكاري":

- لو أن رجلاً قتل امرأة عن طريق إغراق رأسها تحت الماء حتى الموت، ثم سحبها وأرقدما على الأرض، فأظنه أراد أن يقول: "لم أكن أقصد أن أقتلك، كنت مجبراً". أظنه نوعاً من الاعتذار، ألا تظن؟

شرب "سير" الماء وسحق الكوب الورقي ثم قال:

- سأحدث مع "هولتهيمان" في الصباح. أريدك أن تشارك في هذه القضية.

رد بدهشة:

- لكنه وكّل إليّ قضية البنك المسروق وقضية "يوران".

- ألسنت مهتمةً بالقضية؟

- هل تسألني عن مدى اهتمامي بقضية قتل؟ إنها كهدية الكريسماس. أعني أنه تحدٍ كبير، بالطبع أنا مهتم.

احمر وجهه ورد على التليفون الذي كان يرن بإصرار، استمع إلى المتصل وأوماً، ثم أغلق الخط وقال:

- إنها "سيفين"، لقد تعرفنا عليها، "آني صوفي هولاند"، مواليد 3 مارس 1980، لكنها تقول إننا لن نستطيع استجوابهما قبل الغد.

- هل "رينجستاد" في المناوبة؟

- لقد جاء للتو.

- إذًا، عد أنت إلى البيت، فغداً سيكون يوماً شاقاً، سأخذ الصور معي إلى البيت.

- هل ستتفحص المرأة وأنت في السرير؟

ابتسم بحزن وقال:

- كنت أفكر في هذا، أفضل أن أتفحص الصور بدلاً من الأجساد الحقيقية، لأنه يمكنني وضعها في الدرج بعدما أنتهي منها.

كان شارع "كريستالين" طريقًا مسدودًا مثل شارع "جرانيتفين"، ينتهي بغابة كثيفة يرمي فيها المواطنون القمامة سرًا تحت جناح الليل، المنازل متراسة بالقرب من بعضها، عددها 21 منزلًا. تبدو المنازل عن بعد ملتصقة ببعضها، لكن عندما اقترب "سيير" و"سكاري" وسارا في الشارع، اكتشفا أن بينها ممرات ضيقة تكفي بالكاد لعبور رجلٍ، ترتفع المنازل إلى ثلاثة طوابق، ولها سقف مدبب، وكلها متماثلة. قال "سيير": "إنها تذكرني بمنطقة الميناء في "بيرجن". المنطقة مليئة بالألوان المتناسقة: أحمر قانٍ، وأخضر داكن، وبني ورمادي. أما اللون الغريب فكان البرتقالي.

لا شك أن الكثير من السكان قد رأوا سيارة الشرطة بالقرب من المرائب، ورأوا "سكاري" بالزي الرسمي، سرعان ما سينتشر الخبر كالنيران. أما الآن فالصمت لا يطاق.

يعيش "أدا" و"إيدي هولاند" في عقار المنزل (20). كاد "سيير" أن يشعر بنظرات الجيران إليه من الخلف بينما يقف على الباب، سيفكرون الآن بأن شيئًا حدث في المنزل رقم 20، بيت آل "هولاند" الذي يضم ابنتين، حاول أن يهدئ أنفاسه التي كانت أسرع من الطبيعي بسبب المواجهة التي على وشك خوضها، هذا النوع من المواقف يعد عذابًا بالنسبة إليه، لدرجة أنه منذ سنوات عديدة أخذ يفكر في مجموعة جمل أخذ يحفظها ويتدرب عليها حتى صار يقولها بثقة.

من الواضح أن والدي "آني" لم يفعل شيئًا منذ عادا إلى البيت في الليلة السابقة، لم ينما حتى، بالتأكيد كانت الصدمة في المشرحة مثل صرخة حادة تتردد في رأسها حتى الآن، كانت الأم جالسة على طرف الأريكة، والأب محني الظهر على كرسي ذي مسندين، وقد بدا مخدرًا. بدت المرأة وكأنها لم تستوعب المصيبة بعد، لقد نظرت إلى "سيير" بارتباك وكأنما تساءل ماذا يفعل شرطيان

في غرفة معيشتها، تظن نفسها في كابوس وستستيقظ منه. أمسك "سيير" بيدها وقال بصوت خافت:

- لا أستطيع إعادة "آني"، لكنني أتمنى أن أكتشف سبب موتها.
صرخت المرأة:

- لا يهمننا السبب! بل يهمننا معرفة الفاعل! عليك أن تجد الفاعل وتسجنه! إنه مختل.
رَبَّت زوجها على ذراعها. قال "سيير":

- لا نعرف بعد ما إذا كان الفاعل مختلاً أم لا، ليس كل قاتل مختلاً بالضرورة.

كانت تتنفس بصعوبة طلباً للهواء بينما تكور زوجها حول نفسه.
قال "سيير":

- هناك دائماً سبب وراء كل جريمة، حتى لو لم نفهمه، لكن أولاً علينا التأكد من أنها ماتت مقتولة.
قالت الأم:

- لو تظن أنها ماتت منتحرة، فأعد التفكير، هذا مستحيل، ليست "آني".

قال "سيير" لنفسه إن الجميع يقولون هذا.

- عليّ أن أسأل بعض الأسئلة، وأجيبا بقدر المستطاع، واتصلا بنا إن أردتما تغيير أو إضافة شيء، يمكنكما الاتصال في أي وقت ولأي سبب.

أدارت "أدا" عينيها بين "سكاري" و"سيير"، وكأنها تتساءل عن مصدر تلك الصرخة التي تتردد في عقلها من أثر الصدمة.

- أريد أن أعرف أي نوع من الفتيات كانت، أخبريني كل ما تستطيعين.

ثم دهش من السؤال الذي طرحه، فبالتأكيد لن يقولوا إلا أفضل الصفات وأجملها وألطفها، فهي شخصٌ مميز لهما، بل هي الشخص الأعز على قلوبهما، إنها ابنتهما "آني" الفريدة.

بدأ الاثنان بالبكاء، بكت المرأة بنشيج عميق، أما الأب فبكى بصمت دون دموع، لاحظ "سيير" الشبه بينه وبين ابنته، وجهاً عريضاً وجبهة عالية، لم يكن طويلاً جداً، لكنه عريض وقوي البنيان. أمسك "سكاري" قلمه ونظر إلى مفكرته في استعداد للتدوين.

قال "سيير":

- لنبدأ من جديد. أنا آسف أنني تسببت في حزنكما بهذا، لكن الوقت في غاية الأهمية. متى غادرت المنزل؟

أجابت الأم وهي تنظر إلى الأسفل:

- في الثانية عشرة والنصف ظهراً.

- إلى أين كانت ذاهبة؟

- إلى بيت "أنيت"، إنها زميلتها من المدرسة، كن ثلاث زميلات يعملن على مشروع مدرسي، سمحت لهن المدرسة بالتغيب لكي يعملن معاً عليه.

- ألم تصل إلى وجهتها؟

- عندما تأخر الوقت كثيراً اتصلنا بهن في الحادية عشرة مساءً ليلة أمس، كانت "أنيت" قد نامت بالفعل، قالت إن الزميلة الأخرى هي من أتت فقط، لم أصدق ما حدث..

غطت وجهها بيديها، لقد مضى يومٌ كامل دون أن يعرفا شيئاً.

- لماذا لم تتصل بكما الفتاتان الأخرتان للتواصل مع "آني"؟

قالت من بين دموعها:

- افترضاً أنها لم ترغب في الذهاب، ظناً أنها غيرت رأيها، هذا يثبت أنهما لا

يعرفان "آني" جيداً، فهي لم تهمل واجباتها أبداً، لم تهمل شيئاً في حياتها أبداً.

- هل كانت ستذهب سيراً على الأقدام؟

- نعم، فالمسافة أربعة كيلومترات فقط، عادةً تركب دراجتها لكنها بحاجةٍ إلى
تصليح، كما لا يوجد حافلات لهذا الطريق.
- أين تعيش "أنيت"؟
- بالقرب من "هورجين"، تمتلك عائلتها مزرعة ومتجرًا للمستلزمات العامة.
أوماً "سيير" وهو يسمع صوت قلم "سكاري" وهو يكتب في المفكرة.
- كان لديها حبيب، صحيح؟
- "هالفور مانتز".
- هل دامت علاقتهما فترةً طويلة؟
- سنتان تقريباً، إنه أكبر منها، لقد انفصلا وعادا مرات عديدة، لكن علاقتهما
في الفترة الأخيرة كانت على ما يرام، على حد علمي.
- ظلت "أدا هولاند" تحرك يديها بارتباك وكأنها لا تعرف ماذا تفعل بهما،
أخذت تفركهما وتفتحهما وتقبضهما، إنها في طول زوجها تقريباً، لكنها أكثر
امتلاءً واستدارة وبشرتها متوردة.
- سألها ببساطة:
- هل تعرفين ما إذا كانا قد ناما معاً؟
- نظرت إليه بغضبٍ وقالت:
- إنها في الخامسة عشرة!
- ضعي في حسابك أنني لم أكن أعرفها.
- لم يفعل شيئاً من هذا القبيل.
- قال الزوج أخيراً:
- ما كنا لنعرف شيئاً كهذا، "هالفور" في الثامنة عشرة، أي لم يعد طفلاً.
قاطعته:
- بالطبع كنت سأعرف.

- لا أظنها تخبرنا بكل شيء.
- كنت سأعرف!
- لكنك لا تجيدين التحدث في هذه الأمور!
- أصبحت الأجواء مكهربية. وضع "سير" افتراضه الخاص ولمح مفكرة "سكاري" فعرف أنه فكر مثله بالضبط.
- لو أنها ذهبت للعمل على مشروع مدرسي، فلا بد أنها أخذت معها حقيبة.
- حقيبة جلد بنية، أين هي؟
- لم نجدها.
- قال في سرهم إنهم سيضطرون إلى إرسال غواصين إلى البحيرة.
- هل كانت تتناول أي نوع من الأدوية؟
- أبدًا، فهي لم تمرض على الإطلاق.
- كيف كانت طبيعتها؟ منفتحة؟ اجتماعية؟
- قال الزوج:
- كانت كذلك في الماضي.
- ماذا تعني؟
- قالت الأم:
- إنها مرحلة معتادة في سنها فقط، لقد كانت تمر بمرحلة عمرية صعبة.
- استدار "سير" للأب ليقطع الكلام عن الأم، وسأله:
- هل تقصد أنها تغيرت؟
- قال: الأم:
- كل الفتيات يتغيرن في هذا السن، فهن على وشك النضوج. "سولفي" كانت كذلك أيضًا، إنها أختها.
- لم يجب زوجها، ما زال يبدو مخدرًا.

- إإذا لم تكن فتاة منفتحة واجتماعية؟
قالت الأم:
- كانت هادئة وخجولة ودقيقة ونبهية، كانت تتولى أمور حياتها بإحكام.
- لكن قبل ذلك كانت أكثر حيوية؟
- من الطبيعي أن يكون الإنسان أكثر صخبًا حين يكون أصغر سنًا.
قال "سيير":
- أريد أن أعرف متى تغيرت بالتقريب.
قالت وكأنها تشرح:
- في السن الطبيعي، في الرابعة عشرة، عند البلوغ.
أومأ ونظر إلى الوالد مجددًا وسأله:
- ألم يكن هناك أي سبب لتغيرها؟
قالت الأم بسرعة:
- وماذا قد يكون؟
تنهد قليلًا وأرجع ظهره إلى الخلف وهو يقول:
- لا أعرف، لكنني أحاول أن أفهم سبب وفاتها.
بدأت الأم ترتجف بعنف وأصبح كلامها بالكاد مفهومًا.
- لماذا ماتت؟ لا بد أنه..
لم تجرؤ على قول الكلمة.
قال "سيير":
- لا نعرف بعد.
- لكن هل كانت..
- لا نعرف يا سيدة "هولاند"، ليس بعد. الفحص يستغرق وقتًا، لكن الأشخاص الذي يتعاملون مع "آني" خبراء في مجالهم.

نظر حوله إلى الغرفة التي كانت مرتبة ونظيفة، باللونين الأزرق والأبيض مثل ملابس "آني"، هناك إكليل من الأزهار المجففة على الأبواب، وستائر خفيفة، هناك صور ومفارش كروشييه، الغرفة مريحة ومرتبة وأنيقة. وقف وذهب إلى صورة كبيرة على الجدار.

- التقطنا هذه في الشتاء الماضي.

ذهبت الأم إليه، أنزل الصورة بحذر ونظر إليها، دائماً يشعر بالدهشة عندما يرى صورة شخص قد رأى جثته بالفعل، وكأنه هو وليس هو في الوقت ذاته، لدى "آني" وجه عريض وفم كبير وعينان رماديتان واسعتان، حاجباها كثيفان وداكنان، وابتسامتها خجولة. في الجزء السفلي من الصورة رأى ياقة قميصها وجزءاً من سلسلة صديقها، فكر في أنها جميلة.

- هل كانت تمارس رياضة؟

قال الأب بخفوت:

- في الماضي.

قالت الأم بحزن:

- كانت تلعب كرة اليد، لكنها تركتها وأصبحت تجري كثيراً، أكثر من عشرين ميلاً في الأسبوع.

- لماذا تركت كرة اليد؟

- كان لديها الكثير من الواجبات، هكذا هم الصغار، يجربون شيئاً ويتركونه. لقد حاولت أن تعزف البوق في فرقة الموسيقى المدرسية، لكنها توقفت أيضاً.

- هل كانت بارعة في كرة اليد؟

قال الأب بحنان:

- جداً. كانت حارسة المرمى، وما كان عليها التوقف.

قالت الأم:

- أظنها شعرت بالملل من الوقوف في الشبكة طوال الوقت، هذا هو السبب في رأيي.
رد زوجها:
- قد لا يكون هذا هو السبب، فهي لم تخبرنا أبدًا.
جلس "سيير" مجددًا وقال:
- إذا كان لكما ردّ الفعل نفسه تجاه قرارها. هل شعرتما أن الأمر بدا غريبًا؟
- نعم.
- هل كانت طالبة مجتهدة؟
قال الأب:
- كانت الأفضل. لا أتفاخر، لكنها الحقيقة.
- عم كان هذا المشروع الذي تعمل عليه؟
- عن الأدبية "سيجيريد أونديست". من المفترض تسليمه منتصف الصيف.
- هل يمكنني رؤية غرفتها؟
نهضت الأم وقادته بخطواتٍ صغيرة، أما زوجها فبقى ساكنًا مكانه على الكرسي ذي المسندين.
الغرفة صغيرة، لكنها كانت ملاذها الصغير، بالكاد تكفي لسرير ومكتب وكُرسي. نظر عبر النافذة إلى البيت المقابل مباشرةً، لونه برتقالي، وهناك بقايا من حزمة شوفان كانت موضوعة لإطعام الطيور الواقفة تحت النافذة. نظر إلى الجدران بحثًا عن صور المشاهير التي يعلقها المراهقون لكن لم يجد، كانت الغرفة مليئة بالجوائز وشهادات التقدير والميداليات، والقليل من الصور لـ"آني"، واحدة لها بزي حراس المرمى مع فريقها، وأخرى وهي تقف بقوامها الممشوق على لوح تزلج مائي. يوجد على الجدار أعلى السرير الكثير من صور الأطفال الصغار، واحدة وهي تدفع عربة، وواحدة لشاب صغير. أشار "سيير" إلى الصورة وسأل:

- هل هذا حبيبها؟
أومأت الأم.
- هل كانت تعمل مع الأطفال؟
أشار إلى صورة لـ "آني" وهي تحمل طفلاً أشقر، بدت في الصورة سعيدة وفخورة، كانت تحمل الطفل إلى الكاميرا وكأنه جائزة.
- كانت تجالس جميع أطفال الحي، واحداً تلو الآخر.
- كانت تحب الأطفال إذًا؟
أوماً مجددًا.
- هل كانت تكتب مذكراتها يا سيدة "هولاند"؟
اعترفت:
- لا أظن هذا، لقد بحثت طوال الليل.
- ألم تجدي شيئاً مطلقاً؟
هزت رأسها نفياً. سمعوا همهمة آتية من غرفة المعيشة.
- صمت لحظة وقال:
- نحتاج إلى قائمة بأسماء كل الأشخاص الذين يمكننا التحدث إليهم.
- نظر إلى الصور المعلقة على الجدران مجددًا، وتأمل زي "آني" الأسود بشعارٍ أخضر على الصدر وقال:
- يبدو كتنينٍ أو ما شابه.
- أوضحت بصوت خافت:
- إنه ثعبان بحر.
- ولماذا؟
- من المفترض وجود ثعبان بحر في الخليج. إنها أسطورة، قصة قديمة، إذا كنت تجدف بالقارب وسمعت طرطشة ماءٍ من خلفك، فهذا ثعبان البحر يصعد

من الأعماق، عليك ألا تنظر خلفك أبداً، فقط جدف بحذر واتركه وشأنه، وسينتهي كل شيء على ما يرام، لكن إذا نظرت إلى عينيه، فسيحبك إلى الظلمات. تقول الأسطورة إن عينيه حمراوان.

عادوا إلى غرفة المعيشة، ما زال "سكاري" يدون ملحوظات، والأب جالساً على كرسيه، بدا على وشك الانهيار.

- ماذا عن ابنتك الأخرى؟

- ستعود إلى البيت هذا الصباح، لقد كانت تزور أختي في "ترونهايم".
جلست السيدة "هولاند" على الأريكة ومالت على زوجها، ذهب "سير" إلى النافذة ووجد نفسه ينظر مباشرةً إلى وجه شخص ما في نافذة مطبخ المنزل المجاور، قال:

- بيوت الجيران ملاصقة لبعضها هنا، هل هذا يعني أنكم تعرفون بعضكم جيداً؟

- نعم، بالطبع. الجميع يتحدثون مع بعضهم.

- والجميع يعرفون "آني"؟

- أومأت بصمت.

- سنضطر إلى زيارة كل بيت، أرجو ألا تنزعجي.

- ليس لدينا ما نخجل منه.

- هل يمكن أن نستعير بعض الصور؟

نهض الأب وذهب إلى الرف تحت التلفزيون وقال:

- لدينا فيديو من الصيف الماضي، كنا في كوخ في "كراجيرو".

قالت الأم:

- إنهم لا يحتاجون إلى فيديو، بل صورة فقط.

- سأأخذه بكل سرور.

أخذه "سير" منه وشكرهما، ثم قال:

- كانت تركض عشرين ميلاً في الأسبوع؟ وحدها؟
قال والدها:
- لا أحد يمكنه مجاراتها.
- إذا استطاعت أن تتفرغ للركض عشرين ميلاً في الأسبوع على الرغم من واجباتها المدرسية، ربما لم تكن الواجبات هي ما جعلتها تترك فريق كرة اليد.
- قالت الأم:
- كانت تركض وقتما تحب، أحياناً كانت تركض قبل الإفطار. أما مباريات الكرة فكان عليها الذهاب في الموعد تماماً، ومن ثم لم تستطع تنظيم وقتها. لا أظنها أحبت الالتزام، لقد كانت ابنتنا "آني" مستقلة.
- أين كانت تركض؟
- في كل مكان، وفي أي طقس، في الطريق السريع أو في الغابة.
- وإلى بحيرة "سيربنت تارن"؟
- نعم.
- هل كانت عصبية؟
- قالت الأم:
- كانت هادئة ووديدة.
- عاد "سيير" إلى النافذة ولمح امرأة تعبر الشارع بسرعة وهي تحمل طفلاً يمسك دمية.
- هل كان لديها أي اهتمامات بالإضافة إلى الجري؟
- قال الأب:
- الأفلام والموسيقى والكتب وما إلى ذلك، والأطفال الصغار أيضاً، خاصةً عندما كانت أصغر.

طلب منهما "سير" أن يعدا قائمة بكل من يعرفوا "آني": أصدقاء، جيران، معلمون، أفراد العائلة. وحتى أحياء لو كان هناك آخرون. عندما انتهيا كانت اللائحة تضم اثنين وأربعين اسمًا وعنوانًا شبه كاملة. سألته الأم:

- هل ستحدث مع كل شخص في القائمة؟
- نعم، هذه مجرد البداية. سنبلغكما بالتطورات.

- علينا أن نتحدث مع "ثوريورن هوجان"، لقد كان يبحث عن "رانهيلد" بالأمس، يمكنه أن يعطينا وقتًا تقديريًا.
- مرت السيارة بالمرائب بينما يقرأ "سكاري" في مفكرته.
- سألت والدها عن موضوع كرة اليد بينما كنت مع الأم في غرفة الفتاة.
- و..؟
- قال إن "آني" كانت ماهرة جدًا، حقق الفريق انتصارات كثيرة في الموسم. كانوا في فنلندا عندما وصلوا إلى النهائيات، لذلك لم يفهم لماذا تركت الفريق، وتساءل إن كان قد حدث شيء ما.
- علينا أن نجد المدرب، سواء رجل أو امرأة، ربما يعطينا أي معلومة.
- قال "سكاري":
- إنه رجل. ظل يتصل لأسابيع ليحاول إقناعها بالعودة، عانى الفريق كثيرًا بعد رحيلها، فلم يستطع أحد أن يحل محل "آني".
- سنتصل من المركز ونحصل على اسمه.
- اسمه "نوت جينسفل". وهو يعيش في "نيسفيين"، أسفل التلّ من هنا.
- قال "سير" وهو يرفع حاجبه:

- شكرًا. كنت أفكر في شيء ما، لقد قُتلت "آني" في الوقت نفسه عندما كنا في "جرانيتفين" على بعد بضع دقائق نبحت عن "رانهيلد". اتصل بـ"بيليس تريديت" وتحدث إلى "سنوراسون"، اطلب منه الإسراع، نحتاج إلى تقرير الطب الشرعي بأقصى سرعة. أمسك "سكاري" تليفونه واتصل وطلب التحدث مع "سنوراسون"، ثم انتظر وهو يتمتم.

- ماذا قال؟

- قال إن الثلجة مليئة بالجثث، وكل حوادث الوفاة مأساوية، بغض النظر عن السبب، وإن هناك الكثير من الناس ينتظرون دفن أحبائهم، لكنه يتفهم سبب الاستعجال، ويمكنك أن تأتي في غضون ثلاثة أيام لتأخذ التقرير الصوتي الأولي، لكن عليك الانتظار أكثر حتى تحصل على التقرير النهائي المكتوب. قال "سيير":

- حسنًا، هذا ليس سيئًا بالنسبة لـ"سنوراسون".



الفصل الثالث



فرد "رايموند" الزبد على شريحة رفيعة من الخبز، مد لسانه وهو يركز بشدة حتى لا تنكسر. كان معه أربع شرائح من الخبز الرفيع المكس فوق بعضه، وبين كل شريحة طبقة من الزبد والسكر، رقمه القياسي في رص الخبز هو ست شرائح. كان المطبخ صغيراً ومرتباً، لكنه أصبح فوضوياً وهو يحضر الطعام. حُضِرَ شريحة خبز لوالده أيضاً، خبز أبيض بدون حواف، فرد عليه بعض دهن اللحم من المقلاة. بعد أن يتناول الطعام، سيغسل الأطباق ويمسح أرضية المطبخ. لقد أفرغ وعاء التبول الخاص بوالده وملأ كوبه بالماء. الشمس غائبة اليوم، والسماء غائمة، والمناظر تبدو كئيبة وباهتة. غلى القهوة ثلاث مرات كما يجب أن تكون، وضع طبقة خامسة من الخبز على البرج الذي يصنعه بسرور، كان على وشك أن يصب القهوة في كوب والده عندما سمع سيارة تتوقف أمام المنزل، فزع عندما وجدها سيارة شرطة، تجمد جسده وابتعد بسرعة عن النافذة وجرى إلى ركن في غرفة المعيشة، ربما جاؤوا ليحبسوه، عندها من سيعتني بوالده؟

انغلقت أبواب السيارة المركونة في الحديقة، وسمع أصوات متممة. لم يكن واثقاً ما إذا كان قد ارتكب خطأ، فليس من السهل معرفة ذلك دائماً، من باب الاحتياط لم يتحرك حين طرَقوا الباب، لكن الواضح أنهم لا ينوون الرحيل، ظلوا يطرقون وهم ينادون باسمه، قد يستيقظ والده ويسمعهم، بدأ يسعل بصوتٍ

عالٍ ليغطي على صوتهم، بعد وهلةٍ هدأت الأصوات. كان لا يزال واقفًا في ركن غرفة المعيشة بجانب المدفأة عندما لمح وجهًا في النافذة، رجلًا أشيب طويلًا يلوح له. ففكر "رايموند" أنه يفعل ذلك لاستدراجه، وهز رأسه بعنف، ثبت مكانه بجوار المدفأة وتكور على نفسه أكثر في ركن الغرفة. بدا الرجل الواقف في الخارج ودودًا، لكنه لا يضمن أن يكون لطيفًا بحق، هذا ما اكتشفه "رايموند" منذ وقت طويل، وهو ليس غبيًا. بعد وهلة لم يتحمل الوقوف مكانه، فركض إلى المطبخ، لكنه رأى وجهًا في النافذة هناك أيضًا، وجهًا وسيماً بشعرٍ مموج وزبي داكن. شعر "رايموند" مثل قطٍ محبوس في شوالٍ ومسكوب عليه ماء بارد، إنه لم يخرج بالشاحنة اليوم، فالمحرك ما زال لا يدور، لذلك لا يمكن أن يكونوا قد جاؤوا من المرور. فكر يائسًا أنهم بلا شك قد جاؤوا بسبب موضوع البحيرة، وقف يرتجف قليلًا ثم خرج إلى الصالة، ونظر بقلق إلى المفتاح في قفل الباب.

نادى أحدهم:

- "رايموند"! نريد التحدث فقط، لن نوذيك.

صاح:

- لم أؤذ "رانهيلد"!

- نعلم ذلك، لسنا هنا بشأنها، نريدك أن تساعدنا قليلًا.

تردد قليلًا قبل أن يفتح الباب أخيرًا. سأله الرجل الطويل:

- هل يمكن أن ندخل؟ نريد أن نسألك بعض الأسئلة وحسب.

- حسنًا. لم أكن واثقًا مما تريدون، فلا يمكنني فتح الباب لأي شخص.

قال "سير" وهو ينظر حوله:

- نعم، صحيح. لكن عليك أن تفتح الباب للشرطة.

- سنجلس في غرفة المعيشة إذاً.

قادهما "رايموند" وأشار إلى أريكة بدت يدوية الصنع بشكلٍ غريب، ومفروش عليها بطانية من الصوف. جلسا وتفحصا الغرفة، صغيرة ومربعة، تضم أريكة وطاولة وكريسيين، تحمل الجدران لوحات لحيوانات وصورة لامرأة عجوز تحمل طفلاً في حجرها، ربما هي والدته، فالطفل يبدو عليه سمات متلازمة "داون". قد يكون عمر المرأة هو السبب في مصير "رايموند". لم يلحظ "سير" وجود تليفزيون أو تليفون، إنه لم يرَ غرفة معيشة بدون تليفزيون منذ سنوات.

نظر إلى قميص "رايموند" الذي كان أبيض اللون ومكتوباً عليه "أنا صاحب القرار". ثم سأله:

- هل والدك في البيت؟
- إنه في السرير، لم يعد ينهض، فهو عاجز عن السير.
- أنت من تعتني به إذا؟
- أنا أحضّر الطعام وأنظف البيت.
- ابتسم "رايموند" ابتسامة واسعة بذلك الأسلوب اللطيف المعروف عن أصحاب متلازمة "داون"، طفل بريء داخل جسد كبير، يدها قويتان وضخمتان وأصابعه قصيرة، وكتفاه عريضتان.
- قال "سير":

- كنت لطيفاً جداً مع "رانهيلد" بالأمس، وأوصلتها إلى المنزل حتى لا تسير وحدها. هذا لطفٌ منك.

قال محاولاً أن يبدو كبيراً:

- إنها ليست كبيرة كما تعلم!

- صحيح، لهذا من حسن الحظ أنك كنت معها لتساعدها في حمل العربة.
- لكن عندما عادت إلى المنزل حكّت قصة وفكرنا في سؤالك عنها، أتحدث عما رأيتماه عند بحيرة "سيربنت تارن".
- نظر إليه "رايموند" بقلق ومط شفته السفلية.
- لقد رأيت فتاة، أليس كذلك؟
- اندفع قائلاً:
- أنا لم أفعلها!
- نحن لا نشكُّ بك، لم نأتِ لهذا السبب. دعني أسألك شيئاً آخر، يبدو أن لديك ساعة.
- نعم، لديّ ساعة. إنها ساعة أبي القديمة.
- هل تنظر إليها عادةً؟
- لا، تقريباً أبداً.
- لمَ لا؟
- عندما أكون في العمل، يتولى الرئيس متابعة الساعة، وعندما أكون في البيت يتولى أبي متابعة الساعة.
- لمَ لم تذهب إلى العمل اليوم؟
- لديّ أسبوع إجازة، بعدها سأعمل لأسبوع آخر.
- هل يمكنك أن تخبرني كم الساعة الآن؟
- نظر "رايموند" إلى ساعته وقال:
- إنها بعد الحادية عشرة صباحاً بالضبط.
- هذا صحيح. قلت إنك لا تنظر إلى ساعتك كثيراً؟
- عندما أحتاج فقط.
- أوماً "سيير" ونظر إلى "سكاري" الذي كان منهمكاً في كتابة ملحوظات.

- هل نظرت إليها عندما اصطحبت "رانهيلد" إلى البيت؟ أو عندما كنت عند بحيرة "سيربنت تارن" مثلاً؟
- لا.
- هل يمكنك أن تخمن الوقت حينها؟
- قال بعد أن تعب من التفكير:
- هذا سؤال صعب.
- ليس سهلاً أن تتذكر كل شيء، أنت محق. كدت أنتهي، هل رأيت أي شيء عند البحيرة؟ أقصد هل رأيت أشخاصاً غير الفتاة؟
- قال بريية:
- لا. هل هي مريضة؟
- إنها ميتة يا "رايموند".
- ما زالت شابة.
- هذا ما نظنه أيضاً. هل رأيت سيارة أو أي شيء مر بالبيت هنا نهائياً؟ سواء في طريقه إلى الصعود أو النزول؟ أو حتى أشخاصاً مارين أثناء وجود "رانهيلد" هنا مثلاً؟
- الكثير من السيّاح يمرون من هذا الطريق، لكن ليس أمس. لم يأتِ إلا سكان المنطقة، ينتهي الطريق عند "كولين".
- ألم ترَ أي شخصٍ إذاً؟
- فكر لوقتٍ طويل وقال:
- سيارة واحدة فقط مرت بينما كنا نغادر، كانت مسرعة مثل سيارات السباق.
- بينما كنتما تغادران؟
- نعم.
- هل كانت في طريقها إلى الصعود أم النزول؟

- النزول.
- فكر "سيير". مرت مسرعة من هنا؟ لكن ما مفهوم السرعة بالنسبة لشخص لم يقد أعلى من السرعة الثانية؟
- هل تعرفت على السيارة؟ هل هي لأحد سكان المنطقة؟
- لا. فهم لا يقودون بهذه السرعة.
- قام "سيير" ببعض الحسابات وقال:
- عادت "رانهيلد" إلى المنزل قبل الثانية بقليل، لذلك مرت السيارة في الواحدة والنصف ظهرًا، صحيح؟ لم تستغرقا وقتًا طويلاً للذهاب إلى البحيرة، صحيح؟
- نعم.
- وكانت السيارة مسرعة؟
- نعم، حتى أنها أطلقت سحابة من الغبار خلفها، لكن لا بأس، فقد كانت الأحوال هادئة مؤخرًا.
- ما نوع السيارة؟
- انتظر الجواب بلهفة، فنوع السيارة يعتبر خيطاً قوياً لاتباعه، سيارة في مسرح الجريمة تقود بسرعة في وقتٍ محدد.
- قال "رايموند" بسرور:
- مجرد سيارة عادية.
- سيارة عادية؟ ماذا تعني بالضبط؟
- ليست مقطورة نقلٍ أو شاحنة، بل سيارة عادية.
- فهمت. سيارة ركاب عادية، هل يمكنك التعرف على الماركات؟
- ليس حقًا.
- ما نوع سيارة أبيك؟
- قال بفخر:

- "هياشي".
- هل ترى سيارة الشرطة في الخارج؟ ما نوعها؟
- لقد قتلها لنفسك، إنها سيارة شرطة.
- تلمل "رايموند" في كرسيه وبدأ يشعر بالضيق.
- ماذا عن لونها يا "رايموند"؟ هل لاحظت لونها؟
- حاول بكل جهده أن يتذكر لكنه استسلم وهو يهز رأسه نفيًا.
- كانت متربة جدًا، مستحيل أن ألاحظ لونها.
- لكن هل يمكنك أن تخبرنا ما إذا كانت فاتحة أم داكنة؟
- رفض "سير" الاستسلام، وواصل "سكاري" الكتابة، كان منبهراً بالنبرة اللطيفة التي يستخدمها رئيسه، فهو عادةً حاد.
- ما بين هذا وذاك، ربما بني أو رمادي أو أخضر، كان اللون مغبرًا والسيارة متربة. يمكنك أن تسأل "رانهيلد"، فهي رأته أيضًا.
- لقد سألناها بالفعل، قالت إن لونها رمادي أو أخضر، لكنها لم تستطع أن تحدد ما إذا كانت قديمة أم جديدة.
- قال بثقة:
- ليست قديمة ومتهاكلة، حالتها متوسطة.
- حسنًا، فهمت.
- قال فجأة:
- كان هناك شيء على السطح.
- حقًا؟ وما هو؟
- صندوق طويل مسطح أسود اللون.
- اقترح "سكاري":
- ربما كان صندوق معدات التزلج.

قال "رايموند" بتردد:

- نعم، ربما.

ابتسم "سكاري" وكتب ملحوظاته وهو سعيد بحماس "رايموند".

- أحسنت يا "رايموند". هل كتبت ذلك يا "سكاري"؟ إذا والدك في السرير؟

- إنه ينتظر طعامه الآن على ما أظن.

- لم نتعمد تأخيرك، هل يمكن أن نراه لنقول مرحبًا قبل رحيلنا؟

- بالتأكيد، سأريك الطريق.

عبر غرفة المعيشة وتبعه الرجلان، توقف في نهاية الصالة وفتح باب والده برفق شديد، باحترام يصل إلى حد التوقير، رأيا في السرير رجلاً عجوزاً يُشَخَّر، وبجواره طقم أسنانه في كوب زجاجي فوق الطاولة.

قال "سيير" وهو يتراجع:

- لن نزعجه.

شكرا "رايموند" وخرجا إلى الحديقة وهو يتبعهما.

قال "سكاري":

- قد نعود مجددًا. لديك أرانب لطيفة بالمناسبة.

- هذا ما قالت "رانهيلد"، يمكنك أن تحمل واحدًا إن أردت.

- في وقتٍ آخر.

لوحًا له ثم انطلقا في الطريق الوعر. طَرَقَ على المقود بانزعاج وهو يقول:

- تلك السيارة مهمة، وكل ما نعرفه عنها أن حالتها متوسطة، وماذا عن

صندوق معدات التزلج؟ لم تذكر "رانهيلد" شيئاً عنه.

- الجميع هنا يحملون معدات تزلج فوق السيارة.

- أنا لا. توقّف عند هذه المزرعة.

اقتربا من المنزل وركنا السيارة بجوار سيارة "مازدا"، رأتهما امرأة ترتدي
قبعة وحذاءً برقبة، كانت عند الحظيرة فأسرعت نحوهما.
قال "سيير" بأدب وهو يشير إلى السيارة الحمراء:
- الشرطة. هل تملكين سيارة غير هذه في المزرعة؟
ردت بدهشة:
- اثنتان أخرتان. لدى زوجي سيارة من طراز "ستيشن واجون"، ولدى ابني
سيارة "جولف". لماذا؟
سألها:
- ما ألوانها؟
نظرت إليه بدهشة وقالت:
- "المرسيدس" بيضاء، و"الجولف" حمراء.
- ماذا عن المزرعة المجاورة؟ ما نوع السيارات التي يمتلكونها؟
- "بليزر". "بليزر" زرقاء داكنة، هل حدث شيء؟
- نعم، بالفعل. سنعود إلى هذه النقطة، أما الآن أخبريني هل كنتِ في البيت
ظهر أمس؟
- كنت في الحقول.
- هل رأيتِ سيارة تنزل التلّ بسرعة، قد تكون رمادية أو خضراء وتحمل
صندوقاً لمعدات التزلج؟
هزت كتفها وقالت:
- ليس على حد علمي، لكنني لا أسمع بوضوح حين أقود الجرار.
- هل رأيتِ أي شخص في ذلك الوقت من اليوم؟
- رأيت بعض المتجولين، مجموعة من الأولاد ومعهم كلب.
فهم "سيير" إنه "ثوربيورن" ومجموعة البحث.

سألها وهو يومئ نحو المزرعة آخر الطريق:
- شكراً لمساعدتك. هل جيرائك في المنزل؟
نظر إليها، كان لها وجه امرأة تعمل خارج البيت كثيراً، فهو متورد وجميل. أجابته:
- مالك المزرعة مسافر، لا يوجد إلا نائبه، لقد غادر هذا الصباح ولم أره بعدها.
ظلمت وجهها بيدها وهي تنظر تجاه المزرعة وتقول:
- السيارة ليست هناك.
- هل تعرفينه؟
- لا. إنه ليس اجتماعياً.
شكرها "سيير" وعادا إلى السيارة. قال "سكاري":
- كان عليه أن يقود صعوداً إلى هنا أولاً.
- لم يكن القاتل إذًا، ربما كان يقود ببطء شديد لهذا لم يلحظه أحد.
قادا على السرعة الثانية حتى وصلا إلى الطريق السريع، بعد ذلك بقليل رأيا
محلًا صغيراً على الجهة اليسرى من الطريق. ركنا السيارة ودخلا، وجدا جرساً
صغيراً معلقاً، ورجلاً يلبس رداءً واسعاً باللون الأزرق المشوب بالخضرة. لثوانٍ
عديدة وقف ينظر إليهما بخوفٍ وسألهما:
- هل أتيتما بشأن "آني"؟
أوماً "سيير". قال بصدمة:
- "أنيت" في حالةٍ مروعة، لقد اتصلت بـ"آني" اليوم، وكل ما سمعته على
التليفون كان صرخة.
جاءت فتاة مراهقة ووقفت دون حراك على عتبة الباب، أحاط والدها كتفها
بذراعه وقال:
- لقد سمحنا لها بالتغيب اليوم.
سأله "سيير" وهو يصافحه:

- هل تعيشون بالقرب من المتجر؟
- على بعد خمسمائة متر من هنا، عند الشاطئ. لا نصدق ما حدث.
- هل رأيتما أي شخص غريب في المنطقة بالأمس؟
- فكر قليلاً وقال:
- جاء مجموعة من الأولاد واشتروا صودا. خلاف ذلك، لم يأتِ إلا "رايموند".
- جاء ظهرًا واشترى حليبًا وخبزًا. "رايموند ليك"، إنه يعيش مع والده أعلى التلّ
- بالقرب من قمة "كولين". لا يأتينا الكثير من الزبائن، سنضطر إلى الإغلاق قريبًا.
- ظل يربت على ظهر ابنته بينما يتكلم.
- كم استغرق "رايموند" ليشتري الخبز والحليب؟
- لا أعلم، ربما بضع دقائق. بالمناسبة، توقفت دراجة نارية هنا أيضًا، لا بدّ أن
- الساعة كانت بين الثانية والنصف والواحدة ظهرًا، توقفت لدقيقة وغادرت. كانت
- دراجة كبيرة وبها حقائب ضخمة لحمل الأغراض، قد يكون سائحًا. هذا كل شيء.
- دراجة نارية؟ هل تستطيع أن تصفها؟
- ماذا يمكنني أن أقول؟ داكنة على ما أظن، كانت لامعة ومبهرة، أما صاحبها
- فكان يجلس وظهره لي ويرتدي خوذة، جلس وقرأ شيئًا يرفعه أمامه على الدراجة.
- هل رأيت لوحة الأرقام؟
- لا، آسف.
- هل تتذكر رؤية سيارة رمادية أو خضراء عليها صندوق لمعدات التزلج؟
- لا.
- قال "سير" وهو يستدير إلى الفتاة:
- ماذا عنك يا "أنيت"؟ هل تعرفين أي شيء قد يكون مهمًا؟
- كان عليّ الاتصال بها.

- لا يمكنك أن تلومي نفسك، ما كان في وسعك شيء لمنع ما حدث. على الأرجح عرض عليها شخص أن يوصلها.
- لم تحب "آني" مضايقة الناس، خشيت أن تغضب إذا ضغطنا عليها.
- هل كنت على معرفة وثيقة بـ"آني"؟
- وثيقة جدًا.
- ألا يمكنك التفكير في أي شخص قد تكون قابلته في الطريق؟ هل ذكرت لك أي معارف جدد؟
- لا، فهي مرتبطة بـ"هالفور" كما تعلم.
- فهمت، حسنًا. من فضلك اتصلي بنا إن تذكرت شيئًا، يسعدنا زيارتك مجددًا.
- شكراهما وخرجا بينما ذهب "هورجان" صاحب المحل إلى مكتبه، لمح "سيير" من النافذة المجاورة لمدخل المحل، قال:
- عندما يجلس في مكتبه يمكنه أن يرى الطريق.
- دراجة نارية توقفت ثم انطلقت بين الثانية عشرة والواحدة، علينا الانتباه لهذا.
- أغلق باب السيارة وقال:
- يظن "ثوربيورن" أنهم مروا ببحيرة "سيرينت تارن" في الواحدة إلا ربع ظهرًا أثناء بحثهم عن "رانهيلد"، في ذلك الوقت لم تكن الجثة موجودة، رأى "رايموند" و"رانهيلد" الجثة في الواحدة والنصف تقريبًا، هذا يعطينا إطارًا زمنيًا حوالي خمس وأربعين دقيقة، هذا نادر الحدوث، مرت سيارة بهما بسرعة قبل أن يغادرا، سيارة عادية، حالتها متوسطة على حد قولهما، لونها متسخ، ليس فاتحًا أو داكنًا، ليست قديمة أو جديدة.
- طرق بعنف على المقود، فقال "سكاري" مبتسمًا:
- ليس الجميع خبراء في السيارات.

- سنبث بياناً نطلب فيه أي شخص مر ببيت "رايموند" بسرعة بين الواحدة والواحدة والنصف ظهر أمس، ومن المحتمل أن يحمل على سيارته صندوق معدات تزلج، كما سننشر إعلاناً عن الدراجة النارية. لو لم يأت أحد، فسأضطر إلى الضغط على هؤلاء الأولاد لمعرفة المزيد عن السيارة.

- وكيف ستفعل ذلك؟

- لا أعرف بعد. ربما أجعلهم يرسمون، الأطفال يجيدون الرسم.

بعد ذلك أكلنا في كافيتريا المركز.

قال "سكاري":

- هذا "الأومليت" جاف، لقد ظل في المقلاة وقتاً طويلاً.

- حقاً؟

- الفكرة هي أن يتماسك البيض وهو في الطبق، أي يجب أن تخرجه من المقلاة وهو لا يزال طرياً.

لن يجادله "سير" في ذلك، فهو لا يجيد الطبخ على الإطلاق.

- بالإضافة إلى أنهم يضيفون الحليب عليه، مما يفسد لونه.

- هل ارتدت مدرسة للطبخ؟

- درست دورة واحدة.

- يا إلهي! هناك الكثير مما لا نعرفه.

مسح ما تبقى في طبقه بقطعة من الخبز، ثم مسح فمه بعناية بمنديله.

- سنبداً البحث في شارع "كريستالين"، كل جنب على حدة، وعشرة بيوت في

المرّة الواحدة. لكننا سننتظر إلى ما بعد الخامسة حتى يعود الناس من العمل.

قال "سكاري" وهو يتفقد ساعته في انتظار الساعة الثانية ليبدأ الموعد

المسموح فيه بالتدخين:

- عن ماذا عليّ أن أبحث بالضبط؟
- أي شيء غريب، كل ما هو خارج عن المؤلف، اسأل عن طبيعة "آني" في الماضي أيضًا، اسأل إن كانوا يرون أنها تغيرت أم لا، استخدم جانبك اللطيف كله واجعلهم ينفثون للكلام معك. باختصار، اجعلهم يتكلمون بأي طريقة.
- من الأفضل أن نتحدث مع "إيدي هولاند" بمفرده.
- فكرت في ذلك. سنطلب منه القدوم بعد بضعة أيام، لكن تذكر أن الأم في حالة صدمة، ستهدأ بعد وقت.
- أقوالهما متناقضة تمامًا عن "آني". ألا تظن؟
- هكذا يسير الأمر. أليس لديك أطفال يا "سكاري"؟
- لا.
- أشعل سيجارة ونفخ الدخان بعيدًا عن اتجاه رئيسه.
- لا بدّ أن أختها قد عادت من "ترونهايم" الآن، علينا التحدث معها أيضًا.
- عندما انتهيا، ذهبا إلى المعمل الجنائي، لكن لم يخبرهما أحد معلومة مفيدة عن معطف المطر الأزرق الذي كان يغطي جثتها.
- إنه مستورد من الصين، يباع في المحلات الرخيصة، قال المستورد إنهم استوردوا ألفي سترة، وجدوا علبة سجائر في الجيب الأيمن، و امرأة وبعض الشعيرات الفاتحة، على الأرجح للكلب، ولا تسألني عن الفصيلة. هذا كل شيء.
- ماذا عن المقاس؟
- كبير جدًا، لا بدّ أن الأكمام كانت طويلة جدًا، فالأساور كانت مطوية.
- قال "سكاري":
- في الماضي كان الناس يخطون اسمهم على ستراتهم.
- طبعًا، هذا من قديم الزمان.
- ماذا عن القرص؟

- أخشى أنه غير مهم. ليس سوى قرص استحلاب من النوع الشائع مؤخرًا، إنها صغيرة وقوية التأثير.

شعر "سيير" بالإحباط، قرص الاستحلاب لا يضيف جديدًا، الجميع يحملونه، حتى هو.

قادا عائدين، وواجهها المزيد من السيارات في طريق "كريستالين". بالإضافة إلى مركبات أخرى مثل جرارات لعبة للأطفال، ودراجات ثلاثية وعربات للدمى، وهناك عربة يدوية الصنع فيها علم قراصنة يرفرف مع الرياح. عندما توقفت سيارة الشرطة بجانب صندوق البريد، تجمد الناس وكأنهم لوحة. لم يستطع "سكاري" المقاومة، وتفقد إضاءة الفرامل لدى جرار لعبة باللونين الأزرق والوردي، وكان واثقًا صاحبه شعر بالرعب حين أخبره أن الضوء الخلفي معطل. أدرك الجميع تقريبًا أن شيئًا ما قد حدث، لكنهم لم يعرفوا ما هو. لم يجرؤ أحد على الاتصال بآل "هولاند" للسؤال.

وجَّهها الأسئلة نفسها لكل بيت على جانبي الشارع. اضطروا إلى رؤية ملامح الذهول والصدمة على الوجوه المذعورة، الكثير من النساء بدأن بالبكاء، أما الرجال فشعبت وجوههم وصمتوا. عندها ينتظروا بضع لحظات ثم يسألان، الجميع كانوا يعرفون "آني" جيدًا، بعض النساء رأينها وهي تغادر. يعيش آل "هولاند" في نهاية الشارع المسدود، لذلك كان على "آني" أن تمر بكل البيوت لتخرج، لقد جالست أطفالهم لسنوات، حتى العام الماضي حين بدأت تكبر على هذا العمل. الجميع ذكروا موهبتها في كرة اليد، وعبروا عن دهشتهم حين تركت الفريق. كانت "آني" لاعبة بارعة لدرجة أن اسمها كان يُذكر كثيرًا في الصحف المحلية، تذكر زوجان أكبر سنًا أنها كانت أكثر حيوية ومرحًا في الماضي، لكنهما أرجعا السبب إلى أنها بدأت تنضج، قالا إنها تغيرت تمامًا، كانت قصيرة ونحيلة، وفجأة أصبحت طويلة.

لم يذهب "سكاري" إلى البيوت بالترتيب، ذهب إلى البرتقالي أولاً، إنه ملك لرجل عزب في الأربعينيات اسمه "فريزنر"، يوجد في منتصف غرفة المعيشة قارب صغير بأشعة كاملة، وفي قاع القارب توجد مرتبة والكثير من الوسائد، وهناك حامل زجاجة مثبت في الحافة. تأمله "سكاري" بإعجاب، كان القارب أحمر لامع، والأشعة بيضاء، ذكره بشقته التي تفتقر إلى أي طابع أرثوذكسي. لم يعرف "فريزنر" "آني" جيداً، لكنه كان يعرض عليها أن يوصلها إلى المدينة من آن إلى آخر، كانت تقبل إذا كان الجو سيئاً، لكنها كانت تلوح له بشكر واعتذار إذا كان الجو صحواً، كان معجباً بـ"آني"، فهي حارسة مرمى مدهشة على حد قوله.

واصل "سير" التحرك بين البيوت، وصل إلى عائلة تركية في البيت رقم ستة، كانت عائلة "إرماك" على وشك تناول الطعام حين رن الجرس. كانوا جالسين حول الطاولة، والبخار يتصاعد من قدرٍ ضخٍ في المنتصف، وكان رب الأسرة يرتدي قميصاً مطرزاً. مد الرجل يده البنية ليصافحه، أخبرهم "سير" أن "آني هولاند" قد توفيت، وأن أحداً قد قتلها على ما يبدو.

استنكروا بفزع:

- لا! لا يمكن. ليس تلك الفتاة الجميلة في البيت رقم عشرين، ليس ابنة "إيدي"!
آل "هولاند" هم الوحيدين الذين رحبوا بهم حين انتقلا، لقد عاشوا في أماكن أخرى، ولم يرحب بهم أحد. هذا مستحيل! أمسك الرجل ذراع "سير" وجذبه إلى الأريكة.
جلس "سير" وتأمل الرجل، لا يمتلك "إرماك" هالة الضعف والانكسار التي تحيط بالمهاجرين عادةً، بل كان ممتلئاً بالكرامة والثقة. اختلاف لطيف.
رأت زوجته "آني" وهي تغادر، في الساعة الثانية عشرة والنصف تقريباً، كانت تسير بهدوء بجوار البيوت وهي تحمل حقيبة ظهر، لم يعرفوا "آني" وهي أصغر سنّاً لأنهم انتقلوا إلى هنا منذ أربعة أشهر وحسب.

قالت وهي تثبت وشاحها حول رأسها وتتنظر إلى الأرض:
- كانت فتاة لطيفة، وجسدها كبيراً ومليئاً بالعضلات.
- هل جالست ابنتكما؟
أوماً "سير" نحو الطاولة حيث تجلس فتاة صغيرة وتنتظر بصبر، فتاة صامته وجميلة، ورموشها كثيفة، ونظرتها عميقة وحادة مثل بئر بلا قاع.
قال الزوج:
- كنا سنطلب منها، لكن قال الجيران إنها كبرت على هذا الآن، لذلك لم نرغب في إزعاجها، كما أن زوجتي في المنزل طوال اليوم، لذلك نتدبر أمورنا، أما أنا فأغيب بالنهار فقط. لدينا سيارة "لادا"، يقول الجيران إنها ليست جيدة، لكنها مناسبة لنا، إنها توصلني يومياً إلى "بوبلز جاتين" حيث أملك محل عطارة، يمكنك أن تتخلص من هذا الطفح الجلدي بمساعدة البهارات، ليس تلك البهارات من محل "ريمي"، بل بهارات حقيقية من عند "إرماك".
- حقاً؟ هل هذا ممكن؟
- إنها تنظف الجسم، تُخرج العرق أسرع.
أوماً "سير" وقال:
- إذاً لم يكن لكم أي علاقة بـ "آني"؟
- ليس حقاً، قابلتها بضع مرات، كانت تركض فأوقفها وأهز إصبعي وأخبرها: "تبدين كمن يركض هارباً من روحه". فتضحك. أخبرها: "سأعلمك كيفية التأمل، فالركض في الشوارع وسيلة حمقاء لإيجاد السلام النفسي". فتضحك أكثر، ثم تواصل الركض.
- هل جاءت إلى بيتكم من قبل؟
- نعم. جاءت من عند "إيدي" يوم انتقلنا ومعها وردة في إصيص كهدية ترحيب. عندها بكت "نعمات".

نظر إلى زوجته فوجدها تبكي بالفعل، سحبت وشاحها على وجهها وأدارت ظهرها إليهم.

عندما غادر "سيير" شكره على الزيارة وقال إنه مرحب به للمجيء في أي وقت. وقفا في الصالة الصغيرة وراقباه، تعلقت الفتاة بثوب أمها، فذكرته بـ"ماتْيوس"، فعيناها داكنتان وشعرها أسود ومجعد. توقف في الشارع لوهلة ونظر مباشرة إلى "سكاري" الذي خرج للتو من البيت رقم تسعة، أوماً لبعضهما وواصلتا البحث منفصلين.

سأله "سكاري":

- هل صادفت الكثير من البيوت المغلقة؟
- اثنان. "يونا" في رقم أربعة، و"رود" في رقم ثمانية.
- أما أنا فكل منازل كانت مفتوحة.
- هل وصلت إلى أي استنتاجات مباشرة؟
- لا شيء عدا أنها كانت تعرف الجميع ودخلت بيوتهم لسنوات، كما أن الجميع يحبونها.

ضرباً جرس آل "هولاند"، ففتحت فتاة الباب، من الواضح أنها أخت "آني"، كانا متشابهتين ومختلفتين في الوقت نفسه، شعرها أشقر كشعر "آني" لكنه داكن أكثر عند الجذور، تضع "ماسكارا" حول عينيها الغائرتين الزرقاوين، ويبدو فيهما التردد، ليست كبيرة وطويلة أو رياضية وقوية مثل "آني"، كانت ترتدي بنطلوناً ضيقاً بنفسجي اللون وبلوزة بيضاء نصف أزرارها مفتوحة.

سألها "سيير":

- "سولفي"؟

أومأت ومدت له يدها الرقيقة ثم قادتة إلى الداخل، جلست على الفور بجانب أمها وكأنما تجد فيها الحماية. كانت السيدة "هولاند" جالسة في المكان نفسه، تغير وجهها على مدى الساعات القليلة الماضية، لم يعد وجهها يحمل ملامح اليأس والألم، بل الاكتئاب والتعب، بدت أكبر سنًا، أما الأب فلم يكن موجودًا. حاول "سير" أن يتفحص "سولفي" بدون أن ينظر إليها بشدة، يختلف شكلها عن أختها، فهي لا تملك وجنتين كبيرتين أو ذقنًا بارزة أو عينيْن رماديتين، إنها أضعف وأسمن قليلًا.

بعد نصف ساعة من المحادثة، بدا واضحًا أن الأختين لم تكونا مقربتين بشدة، لدى كل منهما حياتها الخاصة. تعمل "سولفي" عاملة تنظيف في صالون تجميل، ولم تهتم يومًا بأطفال الناس، ولم تمارس أي رياضة. فكر "سير" أنها على الأرجح من النوع الذي ينشغل بنفسه ومظهره، حتى الآن عندما جلست على الأريكة مع أمها في أعقاب وفاة أختها، تعمدت الجلوس بوضعية جذابة، غريب! إحدى ركبتيها مرفوعة إلى الأعلى، ورأسها مائل قليلًا، ويدها تحيطان بساقها، وهناك خواتم مبهرجة تلمع في أصابعها، وأظافرهما طويلة ومطلية باللون الأحمر. جسدها كان أملس بمنحنيات ناعمة، وكأنها لا تملك هيكلًا عظميًا أو عضلات، وكأنها ليست سوى جلد مشدود على قطعة من الصلصال الوردي، لكن وجهها يحمل ملامح ساذجة. وضعت أمها ذراعها عليها بلفطة حماية، وأخذت تربت على ذراعها وكأنها بحاجة إلى من يطمئنها، أو ربما يلومها، لم يستطع "سير" أن يقرر. كانت الأختان مختلفتين تمامًا، وجه "آني" في الصورة يبدو أكثر نضوجًا، تنظر إلى الكاميرا بتعبير متحفظ، وكأنها لم تحب التصوير لكنها لم تعترض قط، ربما من باب الأدب، أما "سولفي" فكانت تتخذ وضعيات طوال الوقت، تشبه أمها أكثر، بينما "آني" تشبه والدها.

- هل تعرفين ما إذا كانت "آني" قد تعرفت إلى أصدقاء جدد مؤخرًا؟ أو قابلت أشخاصًا جددًا؟ هل تحدث عن هذا الموضوع؟
- قالت "سولفي" وهي تعدل بلوزتها:
- لم تكن مهتمة بالتعرف إلى الناس.
- هل تعرفين ما إذا كانت تكتب مذكراتها؟
- لا، ليست "آني"، هذا ليس من طباعها، كانت مختلفة عن باقي الفتيات، وتشبه الفتيان أكثر، لم تكن تضع مستحضرات تجميل، وتكره التأنق، لقد ارتدت سلسلة "هالفور" فقط لأنه ألح عليها، في الواقع، كانت تزعجها أثناء الركض.
- كان صوتها صافيًا وناعمًا، وكأنها فتاة صغيرة وليست أكبر من "آني" بست سنوات، وكأن صوتها يتوسل بلطف: "من فضلك كن لطيفًا معي، ألا ترى كم أنا صغيرة ورقيقة".
- هل تعرفين أصدقاءها؟
- إنهم أصغر مني، لكنني أعرفهم.
- عبثت بخواتمها بتردد وهي تحاول تقدير الموقف الذي وجدت نفسها فيه فجأة.
- من أعز أصدقائها في رأيك؟
- إنها تقضي الوقت مع "أنيت"، لكن فقط عندما يكون لديهما شيء محدد ليفعله، وليس لتبادل الأحاديث وحسب.
- تعيشون بعيدًا عن المدينة إلى حد ما، هل كانت تطلب توصيلة مجانية من الناس؟
- لا، أبدًا. ولا أنا أيضًا، لكن أحيانًا نقبل عندما يعرض علينا أحد الجيران أن يوصلنا في طريقه، فنحن نعرف الجميع تقريبًا.
- كرر في سرّه: "تقريبًا".
- هل بدت مستاءة من أي شيء؟

- لست واثقة حقًا، لقد بدت غير مهتمة قليلًا بـ"هالفور"، لطالما وجدت صعوبة في اتخاذ قرار بشأنه.
- تخيل "سير" فتاة تدير ظهرها إلى العالم بارتياح، فتاة تفعل ما تريد بطريقتها الخاصة، فتاة تبتعد عن الناس. لماذا؟
- قالت والدتك إنها كانت أكثر حيوية في الماضي، هل توافقين؟
- نعم، كانت تتحدث أكثر.
- تنح "سير" وقال:
- هل حدث هذا التغيير فجأة أم تدريجيًا على أوقات طويلة؟
- تبادلت الأم وابنتها النظرات.
- لا، لسنا واثقين، لقد تغيرت وحسب.
- هل يمكن أن نخبرنا متى حدث هذا التغيير يا "سولفي"؟
- هزت كتفها وقالت:
- في العام الماضي، انفصلت عن "هالفور"، وبعدها مباشرة توقفت عن لعب كرة اليد، بالإضافة إلى أن طولها بدأ يزداد، قصرت عليها كل ملابسها، وهي نفسها أصبحت هادئة جدًا.
- هل تعنين غاضبة أم مستاءة؟
- لا. بل محبطة.
- "محبطة". أوماً "سير" ونظر إلى "سولفي"، كان بنطلونها الضيق يلمع بلونه البنفسجي الذي يذكره بأزهار "الليك" من طفولته.
- هل تعرفين ما إذا كانت "آني" و"هالفور" قد ناما معًا أم لا؟
- احمر وجهها بشدة وقالت:
- لا أعرف، عليك أن تسأل "هالفور".
- سأفعل.

قال "سير" عندما عادا إلى السيارة:

- الأخت من النوع الذي ينتهي به الأمر كضحية رجل بنوايا سيئة، أعني أنها شديدة الاهتمام بنفسها ومظهرها لدرجة أنها لن تلاحظ علامات الخطر، "سولفي"، وليس "آني". "آني" متحفظة ورياضية، لم تهتم بانطباع الناس عنها، لم تكن تطلب من أحد أن يوصلها، ولم تكن مهتمة بالتعرف إلى أشخاص جدد، لو أنها ركبت سيارة أحد، فلا بدّ أنها تعرفه.

نظر إليه "سكاري" وقال:

- هذا ما نواصل قوله.

- أعلم.

سأله باستفسار:

- لديك ابنة مرت بمرحلة المراهقة، كيف كان الأمر؟

رد "سير" وهو ينظر من النافذة:

- أوه، غالبًا كانت "إليز" هي من تتولى هذه الأمور، لكنني أتذكر، المراهقة مرحلة صعبة، كانت كالشمس المشرقة حتى أتمت الثالثة عشرة، عندها أصبحت غامضة، ظلت هكذا حتى وصلت إلى الرابعة عشرة، ثم أصبحت عصبية، بعدها زال كل شيء.

نعم، زال كل شيء. تذكر عندما أتمت الخامسة عشرة وأصبحت شابة ولم يعرف كيف يتحدث معها، لا بدّ أن الأمر كان كذلك بالنسبة لـ "هولاند" أيضًا، من الصعب أن يكبر طفلك وتحاول البحث عن لغة جديدة لتتواصل معه بها.

- إذًا، استغرق الأمر سنة أو سنتين قبل أن ينتهي؟

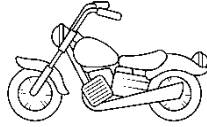
قال مفكرًا:

- نعم. أظن هذا.

- يبدو أنك تركّز على هذا التغيير الذي طرأ عليها.
- لا بدّ أن شيئاً قد حدث، يجب أن أعرف ما هو، مَنْ كانت ومَنْ قتلها ولماذا.
- حان وقت زيارة "هالفور مانتز"، إنه ينتظرنا بلا شكّ، بماذا يشعر في رأيك؟
- لا أعرف، هل يمكن أن أدخن في السيارة؟
- لا. بالمناسبة، شعرك يبدو أشعث قليلاً، ألا تظنّ؟
- أظنّ هذا، بما أنك قد لاحظت، خذ حبة نعناع.
- نظرا إلى الطريق، أخذ "سكاري" يلعب بخصلة شعر في مؤخرة عنقه ويمدها إلى آخرها، عندما تركها عادت تنكمش وتتكور بسلاسة مثل الدودة.



الفصل الرابع



لاحظت شيئاً مألوفاً، لذلك جذبت كرسيها أقرب للتلفزيون وقربت وجهها
المجعد من الشاشة. سقط الضوء عليها حتى صار بإمكانه رؤية الشعيرات
النامية على ذقنها، كان عليهم أن يخلقوها، لكنه لا يعرف كيف يقول هذا لهم.
صاحت المرأة المسنة:

- إنه "يوهان أولاف كوس"! إنه يشرب الحليب.
- هممم.

- يا إلهي! كم هو وسيم. أتساءل إن كان يعرف ذلك؟ إنه أشبه بتمثال، تمثال حي!
مسح "كوس" الحليب عن شاربه وابتسم مظهرًا أسنانه البيضاء.
- انظر إلى أسنانه! إنها بيضاء كاللؤلؤ! هذا لأنه يشرب الحليب، عليك أن تشربه
أنت أيضًا، لكن على الأرجح كان لديه طبيب أسنان في مدرسته، أما نحن فلا.
ثبتت البطانية الصوف على حجرها وهي تقول:

- لم نكن نستطيع أن نتحمل تكلفة علاج الأسنان، كنا فقط ننزعها بينما
تتغفن جذورها. أما الآن، فجميعكم لديه طبيب أسنان في المدرسة، وحليب،
وفيتامينات، ونظام غذائي صحي، ومعجون أسنان، وأقراص فلورايد... وكل شيء.
تنهدت بعمق وقالت:

- دعني أخبرك شيئاً، كنت أجلس وأبكي في الفصل. نعم، فعلت، لكن ليس لأنني لم أفهم الدرس، بل لأنني كنت جائعة. أنت وسيم، كلكم كذلك يا شباب هذه الأيام، أنا أحسدكم! هل تسمع ما أقول يا "هالفور"؟ أنا أحسدك! - نعم يا جدّتي.

اهتزت يده بينما يخرج صوراً من ظرفٍ أصفر، إنه شاب نحيل بكتفين ضيقتين، لا يشبه كثيراً المتزلج الذي في إعلان التليفزيون، فمه صغير كالفتيات، وحين يبتسم، وهو نادراً ما يحدث، يمتد فمه في خطٍ مستقيم لكن لا يميل طرفيه إلى الأعلى. إذا نظرت إليه عن قرب، ستري الندبة التي تمتد من جانب فمه الأيمن إلى صدغه، شعره بني وناعم وقصير، وسوالفه خفيفة، إذا نظرت إليه عن بعد ستظنه في الخامسة عشرة. لوقتٍ طويل كان مضطراً إلى إظهار بطاقة هويته عند دخول السينما، لم يكتثر للأمر، فهو ليس مشاغباً.

تصفح ببطء الصور التي نظر إليها كثيراً بالفعل، لكنها اتخذت جانباً جديداً الآن، أصبح يبحث فيها عن إشارات عما كان من المفترض أن يحدث، عن أشياء لم يكن يعرفها عندما أخذ الصور، صورة "آني" بمطرقة خشبية تضرب وتدّاً بقوة في الأرض لتثبيت خيمة، "آني" على لوح القفز وهي تبدو شامخة مثل عامود طويل بثوب السباحة الأسود، "آني" نائمة في كيس النوم الأخضر، "آني" على دراجتها، وشعرها الأشقر يغطي وجهها، صورة له وهو يعاني ليشغل موقد محمول في المخيم، صورة لهما معاً التقطها أشخاص في الخيمة المجاورة، ألح عليها كثيراً حتى وافقت، فهي لا تطيق التصوير.

صاحت جدّته وهي تنظر من النافذة:

- "هالفور"! هناك سيارة شرطة في الخارج!

قال بخفوت:

- نعم.

نظرت إليه بقلقٍ مفاجئٍ وقالت:

- لماذا أتوا؟ ماذا يريدون؟

- بسبب "آني"؟

- ما خطب "آني"؟

- لقد ماتت.

- ماذا قلت؟

تراخت في كرسيها بخوف.

- لقد ماتت، جاؤوا لاستجوابي، عرفت إنهم سيأتون، كنت في انتظارهم.

- لماذا تقول إن "آني" ماتت؟

صاح قائلاً:

- لأنها ماتت! ماتت بالأمس! أخبرني والدها.

- نعم، لكن لماذا؟

- كيف لي أن أعرف! لا أعرف لماذا، كل ما أعرفه هو أنها ماتت!

أخفى وجهه بيديه، انهارت جدته مثل جوال دقيق، وبدت شاحبة أكثر من المعتاد، كانت الأمور هادئة مؤخراً، لكنها لم تدُم.

طرق شخصٌ ما الباب بصخب، نهض "هالفور" ودفع الصور تحت مفرش الطاولة وفتح الباب، رأى رجلين، وقفا على الشرفة الخارجية ونظرا إليه، لم يكن صعباً أن يخمن فيم يفكران.

- هل أنت "هالفور" مانترز؟

- نعم.

- أتينا لنسألك بعض الأسئلة، هل تعرف لماذا؟

أوماً "هالفور" مرات عديدة وقال:

- اتصل بي والدها أمس وأخبرني.

لمح "سير" السيدة المسنة الجالسة في كرسيها وحياتها.

- هل هي قريبتك؟

- نعم.

- أين يمكن أن نتحدث على انفراد؟

- في غرفتي.

- حسنًا، إن كنت لا تمانع.

قادهما "هالفور" خارج غرفة المعيشة وعبر مطبخ ضيق حتى وصل إلى غرفته. فكر "سير" أن هذا البيت قديمًا بالتأكيد، فهم لا يصنعون هذا التصميم حاليًا جلس الرجلان على أريكة متهالكة، وجلس "مانتز" على السرير، غرفة قديمة الطراز بجدران خضراء وإطارات نوافذ كبيرة.

- هل السيدة في غرفة المعيشة جدّتك؟

- نعم، والدّة أبي.

- وماذا عن والديك؟

- منفصلان.

- ألهذا تعيش هنا؟

- تركا لي اختيار مكان سكني.

بدت كلماته مقتضبة وحادة، وكأنها حصى يتساقط من فمه.

نظر "سير" حوله باحثًا عن صورة لـ "آني"، وجد واحدة صغيرة في إطار ذهبي على طاولة السرير، بجانبها منبه ونموذج صغير لتمثال العذراء والطفل المسيح لـ "مايكل أنجلو"، ربما تذكّار من رحلة إلى البحر المتوسط، هناك ملصق واحد معلق على الجدار، على الأرجح لأحد مغنّي الروك، مكتوب عليه " Meat Loaf"، يوجد مشغل أغاني وأسطوانات، دولاب، حذاء رياضي، لكن ليس جميلًا كحذاء "آني"، خوزة دراجة نارية معلقة على مقبض باب الدولاب، السرير ليس

مرتّبًا. بجوار النافذة يوجد مكتب صغير يحمل جهاز كمبيوتر، وبجانبه علبة من الأقراص المرنة "ديسك"، ملح "سير" أول قرص، مكتوب عليه "شطرنج للمبتدئين". نظر عبر النافذة إلى الساحة، ورأى سيارة الـ"فولفو" التي جاء بها مركونة أمام كشك المعدات وبيت الكلب والدراجة النارية المغطاة بغطاء بلاستيكي. سأله:

- هل تتركب دراجة نارية؟
- حين تدور فقط، إنها تتعطل كثيرًا، تحتاج إلى إصلاح لكنني لا أملك مالا الآن. عبث بياقة قميصه.
- هل لديك وظيفة؟
- أعمل في مصنع الآيس كريم منذ عامين.
- في مصنع الآيس كريم لعامين، لا بدّ أنه ترك المدرسة في منتصف المرحلة الإعدادية وبدأ العمل، قد لا تكون فكرة سيئة، على الأقل سيحصل على خبرة في العمل. من الواضح أنه ليس رياضياً، فهو نحيل وشاحب، أما "آني" فكانت ممشوقة القوام وتتمرن بقوة وتذاكر باجتهاد في المدرسة، بينما هذا الشاب يغلف الآيس كريم ويعيش مع جدّته. لم يظن الأمر منطقياً، لكنها فكرة متغطرة، فدفعها جانباً.
- أنا مضطر إلى سؤالك عن الكثير من الأشياء. ألا مانع لديك؟
- لا.
- لنبدأ بهذا، متى رأيت "آني" آخر مرة؟
- يوم الجمعة، ذهبنا إلى السينما في حفلة السابعة.
- ماذا شاهدتما؟
- فيلم "فيلاديلفيا"، وبكت "آني".
- لماذا؟

- لأنه فيلم حزين.
- فهمت، بالطبع. وماذا بعد؟
- أكلنا في "كينو باب"، وأخذنا الحافلة في طريق العودة إلى بيتها، جلسنا في غرفتها واستمعنا إلى الموسيقى، ركبت الحافلة لأعود في الحادية عشرة، سارت معي إلى محطة الحافلات في "ميرييت".
- ولم ترها مجددًا؟
- هز رأسه نفيًا. بدا وجهه عابسًا حين شد على فمه، هذا ليس منصفًا في حقه، فوجهه لطيف ولديه عينان خضراوان وملامح لا بأس بها، لكن شفتيه المزمومتين جعلتا يبدو وكأنما يريد أن يخفي أسنانه قبيحة مثلًا. سيعرف "سير" لاحقًا أن أسنان الفتى مثالية تمامًا، أربعة في الصف العلوي واثنان في الصف السفلي مصنوعة من البورسلين.
- ألم تتحدث معها عبر التليفون مثلًا؟
- رد فورًا:
- نعم. اتصلت بي في المساء التالي.
- ماذا أرادت؟
- لا شيء.
- كانت فتاة هادئة تمامًا، أليس كذلك؟
- نعم، لكنها أحببت التحدث في التليفون.
- إذًا، لم ترد شيئًا لكنها اتصلت بك. عم تحدثتما؟
- إن كنت مصرًا على السؤال.. لقد تحدثنا عن كل شيء.
- ابتسم "سير". نظر "هالفور" من النافذة طوال الوقت، وكأنه يريد أن يتجنب الاتصال البصري مع "سير"، ربما شعر بالذنب، أو ربما هو فقط خجول.

- تعاطفا معه بحزن، لقد ماتت حبيبته، وعلى الأرجح ليس لديه من يحكي معه غير جدّته التي تنتظر في غرفة المعيشة، أو ربما هو القاتل المنشود.
- هل كنت في عملك أمس كالمعتاد؟ في مصنع الآيس كريم؟
 - تردد للحظة وقال:
 - لا. كنت في البيت.
 - في البيت؟ لماذا؟
 - شعرت ببعض التعب.
 - هل تتغيب كثيرا بسبب المرض؟
 - لا. لا أتغيب كثيرا بسبب المرض.
 - ارتفع صوته، وللمرة الأولى شعرا بلمحة من الغضب في كلامه.
 - يمكن لجدّتك أن تؤكد كلامك، صحيح؟
 - نعم.
 - ألم تخرج طوال اليوم؟
 - لوقت قصير فقط.
 - على الرغم من التعب؟
 - علينا أن نأكل! لا تستطيع جدّتي الذهاب للتسوق، بالكاد يمكنها السير في أفضل حالاتها، وهذا لا يحدث كثيرا، لديها التهاب في المفاصل.
 - حسنا، فهمت. هل يمكن أن نخبرنا ما الذي كنت تعاني منه؟
 - فقط إن كنت مضطرا.
 - قد لا تضطر الآن، لكن ربما لاحقا.
 - حسنا، أعاني من الأرق في بعض الليالي.
 - حقا؟ عندها تبقى في البيت؟
 - لا أستطيع التعامل مع الماكينات إن كان ذهني مشتتا.

- منطقي. لماذا تعاني من الأرق في بعض الليالي؟
- إنها بعض الذكريات من طفولتي، أليس هذا ما يقوله الناس؟
- ابتسم ابتسامة حزينة، وبدا وجه الشاب فجأة ناضجًا.
- متى خرجت تقريبًا؟
- حوالي الحادية عشرة على ما أظن.
- سيرًا على الأقدام؟
- بالدراجة النارية.
- إلى أي محل ذهبت؟
- إلى محل "كيوي" في المدينة.
- هذا يعني أن دراجتك دارت بالأمس؟
- في الواقع، دائمًا تدور إذا صبرت عليها لوقتٍ طويل.
- كم غبت؟
- لا أعرف. كيف لي أن أعرف بأنني سأحتاج إلى تفسير الأمر لأي شخص.
- أوماً "سيير" بينما يدون "سكاري" ملحوظاته بسرعة.
- قل بالتقريب مثلاً.
- ربما ساعة.
- هل يمكن أن تؤكد جدّتك هذا؟
- على الأرجح لا، فهي لا تهتم كثيرًا بالوقت.
- هل تملك رخصة قيادة سيارة؟
- لا.
- كم دامت علاقتك بـ "آني"؟
- مسح أنفه وقال وهو ما زال ينظر من النافذة:
- طويلاً، عامان.

- هل كانت علاقتهما ناجحة؟
- انفصلنا بضع مرات.
- هل كانت هي من أرادت الانفصال؟
- نعم.
- هل قالت السبب؟
- ليس حقًا، لكنها لم تكن متحمسة للتقدم أكثر، أرادت أن تبقى علاقتنا صداقة فقط.
- وأنت لا؟
- احمر وجهه ونظر إلى الأسفل إلى يديه.
- هل نمتمًا معًا؟
- احمر وجهه أكثر وعاد ينظر عبر النافذة، وقال:
- ليس حقًا.
- ليس حقًا؟
- كما قلت، لم تكن متحمسة.
- لكنكما حاولتما، أليس كذلك؟
- نعم، نوعًا ما. مرتان.
- لم يكن الأمر ناجحًا؟
- بدا "سيير" لطيفًا جدًا وهو يسأله هذا السؤال.
- لا أعرف ما معيار النجاح في هذا الأمر.
- بدا وجهه مرهقًا لدرجة أنه فقد أي تعبير.
- هل تعرف ما إذا كانت قد أقامت علاقة مع شخص آخر أم لا؟
- لا أعرف، لكن من الصعب أن أصدق هذا.

- إذا أنت و"آني" كنتما معًا لعامين، أي منذ كانت في الثالثة عشرة، انفصلت
عك بضع مرات، لم تكن متحمسة لإقامة علاقة جسدية، ومع ذلك واصلت
علاقتك بها؟ أنت لست طفلًا يا "هالفور"، هل أنت حقًا صبور إلى هذه الدرجة؟
- أظنني كذلك.
كان صوته خافتًا وكأنه حذر من إظهار أي مشاعر.
- هل تظن أنك عرفت حق المعرفة؟
- أفضل من أشخاص كثيرين.
- هل بدت مستاءة من شيء؟
- ليست مستاءة تمامًا، بل بالأحرى.. لا أعرف، ربما حزينة.
- وهل هناك فرق؟
رد وهو ينظر إلى الأعلى:
- نعم. إذا كنت مستاءً من شيء، فأنت ما زلت تأمل بشيء أفضل، لكن إن
استسلمت، سيغمرك الحزن تمامًا.
استمع "سير" إلى تفسيره بدهشة.
قال فجأة:
- عندما قابلت "آني" منذ عامين، كانت مختلفة، تفرح وتضحك مع الجميع،
على عكس تمامًا.
- ثم تغيرت؟
- ازداد طولها فجأة، عندها أصبحت هادئة، ولم تعد مرحّة. انتظرتُ ربما
تكون مرحلة عابرة وتعود إلى طبيعتها، لكن الآن لم يبقَ ما أنتظره.
شبك يديه ونظر إلى الأرض ثم استجمع شجاعته ونظر إلى "سير"، كانت
عيناه لامعتين مثل حجرين أملسين.
- لا أعرف فيم تفكر لكنني لم أؤذِ "آني".

- لم نفكر بهذا، نحن نتحدث مع الجميع. هل تفهم؟
- نعم.
- هل كانت "آني" تشرب أو تتعاطى أي مخدرات؟
- هز "سكاري" قلمه لينزل الحبر إلى طرفه.
- هذه مزحة. ظنك غير صحيح أبدًا.
- قال "سيير":
- حسنًا، أنا لم أكن أعرفها.
- آسف، لكن كلامك بدا سخيفًا.
- ماذا عنك؟
- لم يخطر ببالي أبدًا.
- يا إلهي! شاب واع ومجتهد ويعمل في وظيفة ثابتة، هذا يبدو واعدًا.
- هل تعرف أيًا من أصدقاء "آني"؟ مثل "أنيت هورجان"؟
- قليلًا. لكننا كنا غالبًا وحدنا، لم تحب "آني" أن نختلط مع الناس.
- لماذا؟
- لا أعرف، هي من قررت.
- وأنت طاوعتها وحسب؟
- لم يكن الأمر صعبًا، فأنا لا أهتم كثيرًا بالتجمعات.
- أومأ "سيير" بتعاطف، وقال لنفسه إنها ربما كانا متوافقين مع بعضهما رغم كل شيء.
- هل تعرف ما إذا كانت "آني" احتفظت بمذكرات؟
- تردد "هالفور" قليلًا وكاد يقول شيئًا لكنه تراجع وهز رأسه وقال:
- هل تقصد إحدى هذه المفكرات الوردية على شكل قلب وفيها قفل؟
- ليس بالضرورة، قد لا تكون هكذا.

- تمتم قائلاً:
- لا أظن هذا.
 - لكنك لست واثقاً؟
 - متأكد إلى حد ما، فهي لم تذكر هذا.
 - أصبح صوته شديد الخفوت.
 - هل لديك من تتحدث إليه؟
 - لدي جدتي.
 - هل أنتما مقربان؟
 - إنها طيبة، الحياة معها هادئة ومسالمة.
 - هل تملك معطف مطر أزرق يا "هالفور"؟
 - لا.
 - ماذا ترتدي حين تخرج؟
 - سترة جينز، أو سترة مبطنّة إن كان الجو بارداً.
 - هل ستتصل بي إن أردت التحدث عن شيء؟
 - رفع نظره بدهشة وقال:
 - ولماذا قد أفعل هذا؟
 - دعني أعيد صياغة كلامي. هل ستتصل بالمركز إن فكرت في أي شيء قد يفسر وفاة "آني"؟
 - نعم.
 - نظر "سير" حوله في الغرفة ليتذكرها، وقعت عيناه على تمثال العذراء، بدا ألطف عما رآه أول مرة.
 - يا له من تمثال جميل، هل اشتريته من الجنوب؟
 - كان هدية من الأب "مارتن". أنا كاثوليكي.

نظر "سيير" إليه باهتمامٍ أكثر. بدا أكثر غموضًا وتوترًا، وكأنه يحاول إخفاء شيءٍ عنهما، قد يضطرا لاستجوابه بالإجبار حتى ينفتح فمه بالكلام، تماما مثلما تضع المحار في الماء المغلي حتى يفتح. أعجبه التشبيه.

- أنت كاثوليكي إذا؟

- نعم.

- اعذر فضولي، لكن ما الذي جذبك إلى هذا المذهب بالذات؟

- هذا واضح، لمحو الذنوب ونيل الغفران.

أوماً "سيير" ونهض وهو يقول مبتسمًا:

- لكنك ما زلت شابًا، بالتأكيد لم ترتكب بعد الكثير من الذنوب، أليس كذلك؟

ظل السؤال معلقًا دون إجابة ثم قال:

- تساورني بعض الأفكار الشريرة.

راجع "سيير" أفكاره سريعًا وقال:

- سنتحقق من كل ما أخبرتنا به بالطبع، نحن نفعل هذا مع الجميع. سنبقى

على اتصال.

صافح الفتى بقوة وحاول أن يطمئنه، عادا عبر المطبخ الذي تفوح منه رائحة الخضار المسلوق قليلًا، ما زالت الجدة جالس في كرسيها الهزاز وعليها البطانية الدافئة. نظرت إليهما بخوفٍ بينما يمران، في الخارج تقف الدراجة النارية المغطاة بغطاء بلاستيكي، نوعها "سوزوكي" سوداء.

سأله "سكاري" وهما ينطلقان بالسيارة:

- هل تفكر فيما أفكر فيه؟

- على الأرجح نعم، لم يسألنا سؤالًا واحدًا، شخصٌ ما قتل حبيبته، لكنه لم

يُظهر أي فضول، ومع ذلك قد لا يعني هذا أي شيء.

- ما زال الأمر غريبًا.

- ربما لم ينتبه إلى الأمر حتى الآن ونحن نرحل.
- أو ربما يعرف ما حدث بالفعل، فلم يخطر له أن يسأل.
- المعطف الذي وجدناه مقاسه أكبر كثيرًا من "هالفور"، ألا تظن؟
- كانت الأكمام مطوية.

حلَّ العصر واحتاجا إلى استراحة، عادا إلى المدينة وتركا القرية وتركوا سكانها لصدمتهم وأفكارهم. في "كريستالين"، كان الناس يعبرون الشارع بسرعة، والأبواب تنفتح وتغلق باستمرار، التليفونات ترن، والناس تبحث في الأدراج عن صور قديمة. أصبح اسم "آني" على لسان الجميع، انتقلت الشائعات الأولى في سرّية، ثم انتقلت كالنار من بيتٍ إلى آخر، صار الناس يتحدثون بينما يشربون، وظهرت حالة من الطوارئ في الشارع الصغير.

أما "رايموند" فكان مشغولًا بأشياء أخرى، كان جالسًا على طاولة المطبخ يلصق صورًا في كتابٍ عن شخصيات "تومي" و"تايجر" و"بيب" و"سيلفيستر" الكرتونية. اللمة مضاعة، ووالده يأخذ قيلولة وسط النهار، كان الراديو يذيع طلبات المستمعين.

"والآن إليكم أغنية مهداة إلى "جلين كير" من جدّته مع تمنياتها له بعيد ميلاد سعيد".

استمع "رايموند" وهو يشم رائحة الصمغ مستمتعًا برائحة اللوز المضافة إليها، لم يلحظ الرجل الذي ينظر إليه بانتباه عبر النافذة.

أغلق "هالفور" باب المطبخ وشغل جهاز الكمبيوتر، دخل إلى قرص التخزين ونظر إلى الملفات: ألعاب، استثمارات ضرائب، ميزانيات، قائمة العناوين، قاعدة بيانات لأسطواناته، والكثير من الأشياء البسيطة. لكن هناك ملف آخر بعنوان "آني" لا يعرف عنه شيئًا، جلس ينظر إليه بينما يفكر، ستنتفح الملفات واحدًا

تلو الآخر إن ضغط عليها مرتين، بعدها ستظهر محتوياتها، لكن هناك استثناءات، لديه ملف عليه علامة "خاص"، لكي يفتحه عليه أن يُدخِل رمزًا سريًا. ينطبق الأمر على ملف "آني"، لقد علمها كيف تحمي ملفاتها هكذا، إنه إجراء بسيط، المشكلة هي إنه لا يعرف الرمز السري الذي قد تكون اختارته، ولا حتى محتويات الملف، لقد أصرت على إبقائه سرًا، وضحكت عندما رأت الإحباط على وجهه، لقد علمها الطريقة ثم أصبح يجلس في غرفة المعيشة حتى تكتب الرمز السري. لا ضرر من المحاولة، ضغط على الملف مرتين، وفورًا ظهرت رسالة: "دخول مرفوض، مطلوب الرمز السري".

الآن سيحاول فتحه، هذا كل ما تبقى له منها، ماذا لو فيه شيء عنه؟ شيء خطير؟ ربما كانت مذكراتها، إنها مهمة مستحيلة. نظر بارتباك إلى لوحة المفاتيح، حيث يوجد عشرة أرقام وتسعة وعشرون حرفًا، ومجموعة من الرموز المختلفة، التي تمنح تركيبات مستحيل أن يتخيلها. حاول أن يسترخي، وفجأة تذكر أنه عندما فكر في الرمز السري الخاص به اختار اسمًا، اسم امرأة أسطورية تم ربطها على عامود وحرقها، ولاحقًا تم إعلانها قديسة، كانت الاختيار الأمثل، وحتى "آني" لن تفكر به. ربما اختارت تاريخًا، من الشائع جدًا اختيار تاريخ ميلاد، ربما ميلاد أحد الأصدقاء. جلس لوهلة ونظر إلى الملف، مجرد مربع رمادي بسيط عليه اسمها، لم ترغب في أن يفتحه، لقد وضعت عليه قفلًا لتبقيه سرًا، لكنها رحلت الآن، لذلك تغيرت القواعد، ربما يحتوي على شيء يفسر التغيير الذي طرأ عليها، لقد كانت غامضة جدًا.

انهارت تحفظاته وضعفت مقاومته، لقد أصبح وحده الآن، ومعه كل ما يكفي من الوقت دون أن يكون لديه ما يشغله. جلس في الغرفة خافتة الإضاءة ونظر إلى الشاشة المتوهجة، عندها شعر أنه قريب من "آني"، قرر أن يبدأ بالأرقام، مثل تواريخ ميلاد أو أرقام التأمين الاجتماعي. إنه يحفظ بعضها، رقم

"آني" ورقمه ورقم جدته، وباقي الأرقام يمكنه الحصول عليها، إنها نقطة بداية على الأقل، ربما اختارت كلمة بالطبع، أو كلمات عديدة، ربما قول مأثور أو اقتباس أو حتى اسم، ستكون مهمة متعبة، ليس واثقاً من أنه سيعرف الرمز في النهاية، لكن لديه الكثير من الوقت والكثير من الصبر.

بدأ بتاريخ ميلادها، والذي لم تخره بالطبع. 3 مارس 1980، صفر ثلاثة صفر ثلاثة واحد تسعة ثمانية صفر، ثم الأرقام نفسها لكن بالعكس. ظهرت رسالة: "دخول مرفوض". وظهرت جدته فجأة على الباب وسألته وهي تستند على إطار الباب:

- ماذا قال؟

استعد وفرد ظهره وقال:

- ليس الكثير، لقد وجهاً إليّ بعض الأسئلة.

- نعم، لكن الأمر فظيع يا "هالفور"! لماذا ماتت؟

نظر إليها بصمتٍ وقال:

- قال "إيدي" إنهم وجدوها في الغابة بجوار بحيرة "سيربنت تارن".

- لكن ما سبب وفاتها؟

همس قائلاً:

- لم يقولوا، نسيت أن أسألهم.

جلس "سير" و"سكاري" في غرفة الاجتماعات في المركز، أغلقا الستائر وأطفأ معظم الأنوار، أعادا شريط الفيديو إلى البداية. كان "سكاري" ممسكاً بجهاز التحكم.

إن عزل الصوت في هذه الغرفة المعدة على عجل غير مرضٍ على الإطلاق، يمكنهما سماع رنين التليفونات، وإغلاق الأبواب، والأصوات والضحك، والسيارات

العابرة بسرعة في الشارع، ورجل سكران خارج المبنى، لكن على الأقل الأصوات مكتومة ولا يقطعها إلا مرور الساعات.

- ما هذا بحق الجحيم؟

مال "سكاري" إلى الأمام وقال:

- هناك شخصٌ يجري، إنه يشبه "جريت ويتز"، قد يكون ماراثون نيويورك.

- ربما أعطانا الشريط الخطأ.

- لا أظن. توقف هنا، لمحت بعض الجزر والصخور.

قفزت مشاهد الصورة قبل أن تتوقف عند امرأتين بملابس سباحة تستلقيان على الصخور.

قال "سير":

- إنهما "سولفي" ووالدتها.

كانت "سولفي" مستلقية على ظهرها وتثني ركبة واحدة، ونظاراتها الشمسية مرفوعة على رأسها، ربما لكيلا تترك أثراً دائرياً حول عينيها، أما والدتها فكانت مغطاة جزئياً بجريدة، ونظراً لحجمها، يبدو أنها جريدة "أفتينبوستين". بجانبها مجلات، وكريم للسمره، وزجاجات حرارية، والكثير من المناشف، وراديو محمول.

تسلطت الكاميرا طويلاً على وردتي عباد الشمس هاتين، ثم استدارت العدسة إلى بقعة أبعد على الشاطئ، فرأت فتاة شقراء آتية من جهة اليمين، كانت تحمل لوح تزلج فوق رأسها وتنظر بعيداً عن الكاميرا. لم تكن طريقة سيرها جذابة، هدفها الوحيد هو مواصلة السير، لم تبطئ حتى عندما وصل الماء إلى ركبتها، كان صوت الموج عالياً، لم يقطعه إلا صوت والدها وهو يقول:

- "ابتسمي يا "آني"!"

واصلت التعمق في الماء وتجاهلت طلبه، أخيراً استدارت بصعوبة بسبب وزن اللوح. نظرت إلى الكاميرا مباشرةً ثوانٍ عديدة، لعبت الرياح بشعرها الأشقر فطار حول أذنيها، طافت ابتسامة على شفثيها. نظر "سكاري" إلى عينيها الرماديتين وشعر بالقشعريرة في ذراعيه، بينما يشاهد الفتاة طويلة الساقين تخترق الأمواج. كانت ترتدي سترة نجاة زرقاء وثوب سباحة أسود، من النوع الذي يلبسه السباحات، أي تكون حمالاته متعاكسة على الكتف على شكل علامة "إكس".

قال:

- هذا اللوح ليس للمبتدئين.

لم يجب "سيير". ما زالت "آني" تسير في الماء، ثم توقفت وصعدت على اللوح وجذبت شراعه بقوة ثم وازنت نفسها، دار اللوح مائة وثمانين درجة، وأسرع. صمت الرجلان بينما يشاهدانها تنزلج، اخترقت الأمواج باحتراف، تابعها والدها بالكاميرا، شاهدا الفيديو بعيني الأب وهو يرى ابنته عبر العدسة، لقد حاول جاهداً أن يثبت الكاميرا، عليه ألا يهتز كثيراً، يجب أن يمنح هذه المتزلجة أكبر قدر من الاحترام. أحسوا بفخره وبمشاعره نحوها من خلال التصوير، كانت في ملعبها، لم تكن خائفة ولو قليلاً من السقوط في الماء.

ثم اختفت من الصورة، وظهرت طاولة عليها مفرش منقوش بالأزهار، وأطباق وأكواب وأدوات فضية، وأزهار في مزهرية، وهناك طعام أيضاً: قطع لحم، وسجق، وشرائح لحم مقدد. الشواية متوهجة بالقرب منهم، والشمس منعكسة على زجاجات الصودا والمياه المعدنية. ظهرت "سولفي" ووالدتها مجدداً وهما يتحدثان في الخلفية، ومكعبات الثلج تتصادم في كوبييهما، "آني" تصب لنفسها صودا، استدارت ببطء مجدداً وفي يدها زجاجة، وسألت والدها الذي يمسك الكاميرا:

- صودا يا بابا؟

صوتها عميق على غير المتوقع. في المشهد التالي دخلوا الكوخ، وقفت السيدة "هولاند" خلف طاولة المطبخ تقطع كيكاً.

"صودا يا بابا"؟ كان كلامها موجزاً لكنه لطيف. أحبت "آني" والدها، هذا واضح في هاتين الكلمتين اللتين تحملان دفئاً واحتراماً، هذا واضح كالشمس، صوتها عميق وحيوي. "آني" كانت محبوبة أبيها.

مرّ باقي الفيديو سريعاً، "آني" وأمها تلعبان كرة الريشة بأنفاسٍ متقطعة، وفي رياحٍ قوية تناسب التزلج لكنها لا ترحم كرة الريشة. اجتمعت العائلة حول الطاولة في الداخل يلعبون لعبة "تريفال بيرسوت". مجرد نظرة قريبة على لوح اللعبة توضح من الفائز، لم تكن "آني"، لم تتحدث كثيراً، أما "سولفي" وأمها فلم تكفا عن الكلام: "سولفي" بصوتٍ ناعمٍ ورقيق، وأمها بصوتٍ ناضج وعميق. نفث "سكاري" دخان سيجارته نحو ركبتيه، وشعر فجأة بأنه أكبر سنًا بكثير. ومض الفيديو قليلاً ثم ظهر وجه متورد بفمٍ مفتوح وملأ الغرفة بصوت أوبرالي مبهر.

قال "سير" بالإنجليزية وهو يبذل بعض المجهود لينهض:

- "لن ينام أحد".

- ماذا قلت؟

- إنه "لوتشيانو بافاروتي"، يغني أوبرا "بوتشيني"، أعد الشريط إلى الملف.

قال "سكاري" بإعجاب:

- كانت تجيد التزلج.

رن التليفون قبل أن يجيب "سير"، رفع "سكاري" السماعة وهو يأخذ مفكرة وقلمًا في الوقت نفسه، كان رد فعلٍ تلقائيًا. إنه يؤمن بثلاثة أشياء في هذا العالم: الدقة، والحماس، والفكاهة. قرأ "سير" ما يكتبه: "هينينج يونس"، 4 شارع كريستالين"، الواحدة إلا ربع ظهرًا، محل "هورجين"، دراجة نارية.

سأل "سكاري" المتصل:
- هل يمكنك أن تأتي إلى المركز؟ لا؟ سنأتي إليك إذا. هذه معلومة مهمة.
شكرًا لاتصالك. لا بأس.
ثم أغلق الخط.
- إنه أحد الجيران، "هينينج يونس"، يعيش في البيت رقم أربعة، عاد إلى البيت للتو وسمع عن "آني"، لقد أخذها من الطريق الدائري أمس وأنزلها بالقرب من محل "هورجين"، يقول إن دراجة نارية كانت بانتظارها هناك.
مال "سيير" على طرف الطاولة وقال:
- دراجة نارية مجددًا، إنها التي رآها "هورجين"، و"هالفور" لديه واحدة أيضًا. لماذا لا يستطيع الرجل أن يأتي بنفسه؟
- كلبته على وشك الولادة.
وضع "سكاري" الورقة في جيبه وقال:
- قد يكون صعبًا على "هالفور" أن يؤكد ما المدة التي خرج فيها بدراجته، أرجو ألا يكون الفاعل، فهو لطيف.
قال "سيير":
- القاتل يظل قاتلاً، وأحياناً يكون لطيفاً.
- نعم، لكن الأسهل أن تحبس رجلاً تكرهه.

وضع "يونس" يده على بطن كلبته وضغط برفق. كانت تتنفس بصعوبة، ولسانها الوردي الرطب متدلّ خارج فمها، رقدت بسكون تام وتركته يلمسها، لقد اقترب وقت الولادة، نظر من النافذة وهو يتمنى أن ينتهي الأمر بسرعة.
قال وهو يربت عليها:
- أحسنِ يا "هيرا".

نظرت الكلبة بعيداً ولم تتحمس لثناء صاحبها عليها، لذلك جلس على الأرض على مقربة منها، جلس هناك وشاهدها، نال الحيوان الصامت الصابر اهتمامه بالكامل. لم يواجه أي مشكلات مع "هيرا"، لطالما كانت مطيعة وطيبة، لم تتركه أبداً عندما يخرجان للتمشية، وتأكل الطعام الذي يضعه لها، وتذهب إلى المكان المخصص لها حين يصعد لينا. كم يحب أن يجلس قريباً منها ويستمتع إلى أنفاسها حتى ينتهي الأمر، ربما لن تلد قبل الصباح الباكر، لكنه ليس متعباً. رنَّ جرس الباب، رنة واحدة قصيرة، فنهض وفتحه.

صافح "سير" بقوة وحزم. تشع منه هالة من السلطة، على عكس الضابط الشاب، يده رفيعة وشابة وأصابعه طويلة ورفيعة. دعاهما "يونا" إلى الدخول. سأله "سير":

- كيف حال كلبتك؟

رأى كلبة جميلة من نوع "دوبرمان" ترقد ساكنة على سجادة شرقية يدوية الصنع بالأسود والأحمر. اندهش "سير"، فبال تأكيد لا أحد سيترك كلبة تلد على سجادة شرقية يدوية الصنع. كانت الكلبة تتنفس بصعوبة، لكنها رقدت ساكنة، لم تتحرك حتى عندما دخل رجلان غريبان الغرفة.

- إنها المرة الأولى لها، ثلاث جراء على الأرجح، حاولت أن أعدها، ستكون بخير. لم تواجهني متاعب مع "هيرا" أبداً.

نظر إليهما وهز رأسه وقال:

- يحزنني بشدة ما حدث، حتى أنني لا أستطيع التركيز في شيء.

نظر "يونا" إلى الكلبة بينما يتحدث، ومرر يده بقوة على رأسه الأضلع من المنتصف وفيه خصلات بنية دائرية. لديه عينان داكنتان مميزتان، جسمه عادي لكن جزعه قوي وممتلئ قليلاً عند الخصر، في أواخر الثلاثينيات على الأرجح. في

شبابه كان سيبدو نسخة سمراء من "سكاري"، ملامحه وسمية ولديه سمرة، يبدو أنه قضى وقتًا في الجنوب مؤخرًا. نظر إليهما باستعطافٍ وقال:

- ألا تريدان شراء جرو؟

قال "سير":

- لديّ "ليونبيرجر"، ولا أظنه سيسامحني لو عدت إلى البيت حاملًا جروًا، فهو مدلل جدًا.

قادهما "يوناس" إلى الأريكة وحرك الطاولة لكي يستطيع الرجلان الجلوس.

- قابلت "فريزنر" بجوار المرأب هذا المساء، بينما كنت عائدًا من معرض تجاري في "أوسلو". أخبرني ما حدث، لا أظنني استوعبت الأمر بعد، ما كان عليّ أن أتركها تخرج من السيارة، ما كان عليّ ذلك.

فرك عينيه ونظر إلى الكلبة مجددًا وقال:

- كانت "آني" تأتي إلى هنا عادةً لتجالس طفلي، أعرف "سولفي" أيضًا.

أضاف بصوتٍ خافت:

- لو كانت "سولفي" لتفهمت الأمر، فهي من النوع الذي يركب مع أي شخص يدعوها حتى لو لم تكن تعرفه، إنها لا تفكر في شيء غير الفتیان، أما "آني" ..

نظر إليهما وأضاف:

- "آني" لم تكن مهتمة بهم أبدًا، كانت حذرة جدًا، بالإضافة إلى أنها كان لديها حبيب.

- هذا صحيح. هل تعرفه؟

- لا، على الإطلاق. لكني رأيتهما في الشارع عن بعد. بديا خجولين. لم يتشابكا الأيدي حتى.

ابتسم بحزنٍ عندما تذكر.

- أين كنت ذاهبًا حين اصطحبتها؟
- كنت ذاهبًا إلى العمل، يومها ظننت أن "هيرا" ستلد، لكنه كان إنذارًا كاذبًا.
- متى تفتح المحل؟
- في الحادية عشرة صباحًا.
- هذا وقت متأخر، ألا تظن؟
- نعم. يحتاج الناس إلى حليب وخبز في الصباح، لكن السجاد الفارسي يمكن أن ينتظر حتى ينتهون من احتياجاتهم الأساسية.
- ابتسم بسخرية وأوضح:
- لديّ محل سجاد في وسط المدينة، في "كابيلينز جايتن".
- أومأ "سيير" وقال:
- كانت "آني" ذاهبة إلى "أنيت هورجين" للعمل على واجب مدرسي، هل ذكرت هذا لك؟
- واجب مدرسي؟ لا، لم تذكره.
- هل كان معها حقيبة مدرسية؟
- نعم. لكن ربما كانت تضع فيها شيئًا غير الكتب، كيف لي أن أعرف؟ كانت ذاهبة إلى محل "هورجين"، هذا ما يمكنني قوله.
- ماذا رأيت؟
- رأيت "آني" تركض على المنحدر في الطريق الدائري، لذلك توقفت في محطة الحافلات وسألتها إن كانت تريد توصيلة، كانت ذاهبة إلى "هورجين"، والمسافة طويلة. لم تركب من باب الكسل أو ما شابه، فـ"آني" نشيطة جدًا، كانت دائمًا تمارس الجري، أنا واثق أنها كانت رياضية جدًا، ركبت السيارة وطلبت مني إنزالها أمام المحل. ظننتها ستشتري شيئًا أو ستقابل شخصًا، تركتها تخرج وواصلت القيادة، لكنني رأيت الدراجة النارية. كانت مركونة بجانب المحل، وآخر

ما رأيته كانت "آني" وهي متجهة إليها. في الواقع لست واثقًا إن كان صاحب الدراجة في انتظارها، كما أنني لم أتبين من هو، رأيته فجأة ذاهبة نحو الدراجة في خط غير منتظم ولم تستدر خلفها.

سأله "سير":

- ما نوع الدراجة؟

فرد "يونا" يديه بحيرة وقال:

- كنت أعلم أنك ستسأل لكنني لا أفهم كثيرًا في الدراجات، مجال عملي مختلف تمامًا، بالنسبة إليّ هي مجرد دراجة من الصلب والكروم.

- ماذا عن لونها؟

- أليس كل الدراجات سوداء؟

- بالطبع لا.

- بأي حال، لم تكن حمراء لامعة وإلا كنت لاحظت.

سأله "سكاري":

- هل كانت كبيرة وقوية أم صغيرة؟

- أظنها كبيرة.

- والسائق؟

- لم أره بوضوح. كان يرتدي خوذة عليها شيء أحمر، هذا ما أذكره، لم يبدو رجلًا ناضجًا، على الأرجح كان شابًا.

أوما "سير" ومال إلى الأمام وقال:

- لقد رأيت حبيبها، لديه دراجة نارية. هل يمكن أن يكون هو؟

عبس "يونا" وكأنه يتخذ حذره وهو يقول:

- لقد رأيته يمر في الشارع عن بعد من قبل، لكن ذلك الرجل كان يرتدي

خوذة، لا أستطيع القول إن كان هو أم لا، لا أريد حتى اقتراح هذا.

ضاقت عينا "سيير" وقال:

- لا نسألك إن كان هو، بل عن احتمال أن يكون هو، قلت إنه بدا شابًا، فهل كان نحيلاً؟

- من الصعب تحديد هذا وهو يرتدي سترة جلدية.

- لكن لماذا افترضت إنه شاب؟

قال بارتباك:

- ماذا يمكن أن أقول؟ أظنني افترضت هذا لأن "آني" شابة، أو ربما بسبب طريقة جلوسه.

أضاف بحرج:

- لم أتوقع أن يكون الأمر مهمًا.

نهض وجلس بجوار الكلبة وقال منزعًا:

- حاول أن تفهم كيفية العيش في هذا المكان، تنتشر الشائعات بسرعة. بالإضافة إلى أنني لا يمكن أن أصدق أن حبيبها قد يفعل شيئًا كهذا. إنه ولد صغير، ولقد كانا مرتبطين منذ وقتٍ طويل.

قال "سيير":

- دع الحكم لنا. تلك الدراجة النارية مهمة بالطبع. لقد رآها شاهد آخر. لو أنه بريء، لن تتم إدانته.

قال "يونا" بريئة:

- ربما. لكن من السيئ كفاية أن يكون مشتبهًا به، لو قلت إنه يشبه حبيبها، بالتأكيد ستذيقونه ألوانًا من الجحيم. الحقيقة هي أنني لا أعرف من يكون.

هز رأسه بحدّة وقال:

- كل ما رأيته كان شخصًا يرتدي سترة جلدية وخوذة، قد يكون أي شخص.
لديّ ابن في السابعة عشر، قد يكون هو حتى، ما كنت لأتعرّف عليه في هذا
الشكل، هل تفهم قصدي؟

قال "سير":

- نعم، أفهم. لقد أجبت عن السؤال على كل حال، قد يكون هو، وبالنسبة
للجحيم الذي ذكرته، ربما يمر به بالفعل الآن.

ابتلع "يونا" ريقه بصعوبة.

- عم تحدثت مع "آني" في السيارة؟

- لم تقل الكثير، لقد أمضيت الوقت في التحدث عن "هيرا" وجرائها.

- هل بدت قلقة أو متوترة؟

- لا، على الإطلاق، كانت كالمعتاد.

نظر "سير" حوله في غرفة المعيشة، ولاحظ إنها قليلة الأثاث. وكأنه لم ينته
منها بعد، لكن كان هناك الكثير من السجاد على الأرض والجدران، سجاد شرقي
كبير يبدو باهظًا، هناك صورتان معلقتان على الجدار: واحدة لولد كثيف الشعر
في الثانية من عمره، والأخرى لمراهق.

أشار "سير" إلى الصورتين وسأله لتغيير الموضوع:

- أولادك؟

- نعم، لكنها ليست صورًا حديثة.

عاد يربت على الكلبة ويفرك أذنيها الناعمتين السوداوين وأنفها الرطب.
أضاف قائلاً:

- أعيش وحدي الآن، وجدت شقة لنفسني أخيرًا في المدينة، في "أوسكارجايتن"،
هذا المكان كبير جدًا بالنسبة إليّ، لم أرَ "آني" مؤخرًا، أظنها استاءت قليلًا عندما
غادرت زوجتي ولم يعد هناك أطفال تعتني بهم.

- هل تباع سجاداً شرقياً؟
- أبيع غالباً السجاد التركي والباكستاني، وأحياناً الإيراني لكنهم يرفعون الأسعار. أسافر إلى جنوب أوروبا مرتين في السنة وأبقى لأسابيع عديدة، آخذ وقتي في الاختيار، أصبح الناس هناك يعرفونني.
- أضاف بفخر:
- عقدت اتصالات مفيدة، من المهم جداً أن تبني علاقة ثقة، لقد مروا بتجارب سيئة مع الغرب.
- مر "سكاري" بصعوبة من الطاولة، وذهب إلى الجدار البعيد المغطى بسجادة ضخمة من الأرض إلى السقف.
- قال "يونا":
- هذه تركية. واحدة من أجمل ما لديّ. من الصعب تحمل تكلفتها. مليونان ونصف عقدة. مذهل، أليس كذلك؟
- نظر "سكاري" إلى السجاد وقال:
- هل صحيح أن من يصنعها أطفال؟
- عادةً نعم. لكن ليس التي أبيعها، فهذا يسيء إلى سمعتي، قد لا يعجبك الأمر لكن الأطفال في الواقع يصنعون أجمل السجاد، فالكبار أصابعهم سميكة.
- وقفوا ينظرون إلى السجادة بنقوشها الهندسية، كل شكل داخل الآخر أصغر فأصغر، عدد لانهائي من درجات الألوان.
- سأله "سيير":
- هل صحيح أن الأطفال يكونون مقيدون إلى النول؟
- هز "يونا" رأسه بنفي شديد.
- يبدو الوضع مروّعاً حين تصيغه هكذا، الأطفال النساجون هم الأوفر حظاً، النساج الماهر يحصل على طعام وملابس ودفء، لديه حياة، لو كانوا مربوطين

إلى النول فستكون رغبة آبائهم، عادةً يتولى النساج الصغير رعاية عائلة من خمسة أفراد أو ستة. إنه ينقذ والدته وأخواته من الدعارة، ووالده وإخوته من التسول أو السرقة.

قال "سير":

- أسمع أن ذلك يؤجل المحتوم فقط، بمرور الوقت يكبرون وتصبح أصابعهم سميكة على العمل، وتصاب أعينهم بالعمى أو بضعف النظر من كثرة العمل على النول، عندها يعجزون عن العمل على الإطلاق ويصبحون متسولين.

ابتسم "يوناى" وقال:

- يبدو أنك تشاهد المسلسلات كثيرًا، اذهب إلى هناك بنفسك، النساجون سعداء ويحصلون على احترام الناس. الأمر بسيط، لكن علينا الحفاظ على المعايير الأخلاقية للأغنياء، فهم حساسون للغاية بهذا الشأن، لهذا أتجنب عمالة الأطفال.

أضاف بحماس:

- إن أردت شراء سجاد يومًا، تعالَ إلى "كابيلينز جايتن"، سأمنحك صفقة رابحة.
- أشكُّ أنني أستطيع تحمل التكلفة.

سأله "سكاري":

- لماذا المبالغة في الألوان؟

ابتسم "يوناى" لجهله لكنه تحمس لأن الحديث عن شغفه ينعشه.

- إنه سجاد بدوي.

لم يفهم "سكاري" مقصده.

- البدو في ترحالٍ دائم، صحيح؟ يستغرقون عامًا لصنع سجادة ضخمة كهذه، وهم يصبغون الصوف بألوان النباتات التي يجمعونها في مواسم وأماكن وظروف مختلفة.

أشار إلى السجادة وقال:

- اللون الأزرق مستخلص من نبات "النيلة الزرقاء"، واللون الأحمر مستخلص من نبات "الفوة الصبّاغ"، لكن بداخل الشكل السداسي، هناك نوع مختلف من الأحمر مستخلص من الحشرات المسحوقة، هذا اللون البرتقالي من الحناء، وهذا الأصفر من الزعفران.

وضع يده على السجادة ومررها للأسفل قائلاً:

- هذه سجادة تركية مصنوعة بعُقد "جوردية"، كل سنتيمتر مربع يحتوي على مائة عقدة تقريباً.

- من يصمم النقوش؟

- ينسجونها من تصاميم قديمة منذ قرون، والكثير من النساجين لم يروها على ورق، النساجون الأكبر سنّاً يسرون في الورشة ويقولون التصميم للنساجين الأصغر.

قال "سير" في سره: "النساجون العجائز العميان".

قال "يونا":

- استغرقنا وقتاً طويلاً في الغرب حتى اكتشفنا هذا الفن، في العادة نُفضّل النقوش التي تحكي قصة، لهذا لفت انتباهنا أولاً السجاد الذي يحمل نقوشاً عن الصيد أو الزراعة، لأن فيه أزهاراً وحيوانات. عن نفسي أفضل هذا النوع، هناك إطار عريض على أطراف السجاد يحيط بالنقوش، يتجه نظرك إلى الداخل تدريجياً حتى تجد الكنز، أي قلب اللوحة.

وأشار إلى ميدالية في مركز السجادة، ثم قال بحرج فجأة:

- أعذراني. هأنذا أثرثر عن نفسي وعن اهتماماتي.

قال "سكاري" وهو يجبر نفسه على تغيير الموضوع:

- بالنسبة للخوذة، هل كانت نصف خوذة أم خوذة كاملة؟

سأله "يونا" بدهشة:

- هل يوجد ما يسمى بنصف خوذة؟

- الخوذة الكاملة لديها واقٍ للقدم والصدغين، أما الخوذة العادية تغطي الجمجمة فقط.
- لم أنتبه لهذا.
- ماذا عن السترة الجلدية، هل كانت سوداء؟
- داكنة بالتأكيد. لم يخطر ببالي أن أركز معه، من الطبيعي أن أرى فتاة جميلة تعبر الشارع إلى شاب على دراجة نارية، هذه الأمور عادية، ألا تظن؟
- شكراه وتوقفا لحظة على الباب وقالوا:
- على الأرجح سنعود مجددًا، أرجو أن تتفهم الوضع.
- بالطبع. لو ولدت كلبتي اليوم، سأكون في البيت لبضعة أيام.
- هل يمكنك أن تترك المحل مغلقًا؟
- يتصل بي زبائني على تليفون البيت إن أرادوا شيئًا.
- زفرت "هيرا" بقوة وتآهت بينما ترقد على السجادة الشرقية، نظر إليها "سكاري" مطولًا ثم تبع رئيسه على مضض.
- ربما يمكننا رؤيتها إن عدنا مجددًا، أعني الجراء.
- قال "يونا":
- بلا شك.
- قال "سير" وهو يفكر في كلبه "كولبيرج":
- لا تعد.

- جلسا في السيارة.
- ألا تتذكر خوذة "هالفور" التي كان يعلقها في غرفته؟
- قال "سير":

- كانت خوزة كاملة، سوداء بخطوط حمراء، لنهني العمل اليوم، عليّ أن أصطحب الكلب في نزهة.
- ما رأيك يا "كونراد"؟ هل أنت شديد الشغف بعملك مثل "يونااس"؟
- نظر إليه "سير" وقال:
- بالطبع. لكنك تظن أن هذا لا يظهر عليّ، صحيح؟
- ثبّت حزامه وشغلّ المحرك وقال:
- من المزعج أن يدافع الناس بقوة تضامناً مع شخص لا يعرفونه، لمجرد إنهم مقتنعون بأنه شخص شريف.
- فكر في "هالفور" وشعر ببعض الحزن.
- إلى أن يقتل الشخص للمرة الأولى يظل بريئاً، مجرد شخص عادي، وعندما يكتشف الجيران أنه ارتكب جريمة قتل، يظل قاتلاً في نظرهم إلى الأبد، وسيظل يقتل بجنون مثل الآلة، عندها سيضمون أطفالهم خوفاً، ولن يشعروا بالأمان مطلقاً.
- نظر إليه "سكاري" بتساؤل وقال:
- إذاً هل تعني أن "هالفور" في دائرة الاشتباه الآن؟
- بالطبع. لقد كان حبيبها، لكنني أتساءل لماذا أراد "يونااس" باستماتة أن يحمي ولدًا رآه مرة عن بعد.



الفصل الخامس



انحنت "رانهيلد ألبوم" على ورقة وبدأت ترسم، إنها مفكرة جديدة، لذلك فتحتها بحرص شديد لتصل إلى أول صفحة بيضاء، صحيح أن رسم سيارة حولها سحابة دخان لا يعتبر سبباً كافياً لتلطيف الصفحة البيضاء، لكن الفتاة جاءت بعلبة ألوانها التي تحمل ستة أقلام، لقد اشترى "سيير" علبتين، واحدة لها وأخرى لـ "رايموند"، اليوم عقدت أمها شعرها في ضفيرتين أعلى رأسها مثل سلك الإشارة.

قال "سيير":

- يعجبني تسريحة شعرك.

قالت أمها وهي تمسك الضفيرتين:

- هذه لتستقبل إرسال مهمة سرية في "نارفيك"، وتلك لتتواصل بها مع جدّتها التي تعيش في شمال "سفالبارد".
ضحك على مزاحها.

قالت بقلق:

- قالت إنها رأت فقط سحابة من الدخان.

قال "سيير":

- قالت إنها رأت سيارة. الأمر يستحق المحاولة.

وضع يده على كتف الطفلة وقال:
- أغمضي عينيك وتخيلي، ثم ارسمي ما تذكرينه، لا ترسمي سيارة
قديمة فقط، بل السيارة التي رأيته مع "رايموند".
قالت بنفاد صبر:
- أعرف.

أشار للسيدة "ألبوم" لكي يخرجها من المطبخ ويذهب إلى غرفة المعيشة، ليتركها
"رانهيلد" ترسم في سلام، ذهبت السيدة "ألبوم" إلى النافذة ونظرت إلى الجبال
الزرقاء البعيدة، كان يوماً ضبابياً جعل المنظر وكأنه مأخوذ من لوحة رومانسية.
- اعتنت "آني" بـ "رانهيلد" من أجلي كثيراً، كانت بارعة في مجالسة الأطفال،
مرت بضع سنوات على هذا، كانا يركبان الحافلة إلى المدينة ويقضيان اليوم في
الخارج، ويركبان الترام في السوق، ويصعدان السلالم المتحركة ويستقلان
المصعد في المركز التجاري، أحببت "رانهيلد" كل هذا، كانت "آني" بارعة بالفطرة
في التعامل مع الأطفال. كانت مختلفة. ذكية.

سمع "سير" الفتاة الصغيرة وهي تخرج الأقلام من العلبة في المطبخ.

- هل تعرفين أختها "سولفي"؟

- أعلم من هي، لكنها أختها غير الشقيقة.

- حقاً؟

- ألم تكن تعرف؟

- لا.

قالت:

- الجميع يعرف، إنه ليس سرّاً، إنهما مختلفتان جداً. لوقتٍ عانوا من بعض
الصعوبات مع والدها، أعني والد "سولفي"، لقد خسر حق زيارة ابنته ولم
يتخط الأمر أبداً.

- لماذا؟

- إنها المشكلة المعتادة، بسبب السكر والعنف، هذا ما قالته أمها بالطبع، لكن "أدا هولاند" صعبة المراس، لذلك لست واثقة من صحة ما حدث.
- لكن "سولفي" تخطت الواحدة والعشرين الآن، صحيح؟ يمكنها أن تفعل ما تريد؟

- فات الأوان على الأرجح، لقد ساءت الأمور بينهما على ما يبدو، كنت أفكر كثيراً بشأن "أدا"، فهي لم تسترجع ابنتها كما استرجعت ابنتي.
سمعا صيحة من المطبخ:
- لقد انتهيت!

نهضا وذهبا ليريا، كانت "رانهيلد" جالسة وهي تميل برأسها قليلاً ولا تبدو سعيدة للغاية، هناك سحابة من الدخان تغطي معظم الصفحة، ومن مركزها تظهر مقدمة سيارة بالمصابيح وحاجز الاصطدام. غطاء المحرك طويل مثل السيارات الأمريكية، وحاجز الاصطدام أسود، بدا الحاجز وكأنه ابتسامة واسعة بدون أسنان، أما المصابيح فمائلة مثل عيون الصينيين.

- هل أصدرت ضجة عالية وهي تسير بسرعة؟
مال على طاولة المطبخ وشم رائحة العلكة التي تأكلها.
- نعم، كانت صاحبة للغاية.

نظر إلى الرسم وسألها:

- هل يمكنك أن ترسمي واحدة أخرى؟ ماذا لو طلبت منك أن ترسمي المصابيح الأمامية؟ المصابيح فقط؟

أشارت إلى الرسم وهي تقول:

- لكنها تبدو هكذا فعلاً. كانت مائلة.

أوما وكأنه يومئ لنفسه وسألها:

- ماذا عن لونها يا "رانهيلد"؟
- ردت بحذر وهي تحرك علبة الأقلام:
- لم تكن رمادية، لكن لا يوجد اختيارات كثيرة هنا، كانت بلون غير موجود.
- ماذا تعنين؟
- أعني لونًا بلا اسم.
- فكر في ألوان عديدة قد تكون غريبة بالنسبة لطفلة: ترابي، بترولي، نحاسي، فحمي.
- "رانهيلد"، هل تذكرين وجود أي شيء على سطح السيارة؟
- مثل الهوائي؟
- لا، بل أكبر. قال "رايموند" إن هناك شيئًا كبيرًا على السيارة.
- نظرت إليه وهي تفكر ثم قالت بحماس:
- نعم! قارب صغير.
- قارب؟
- قارب أسود صغير.
- قال مبتسمًا وهو يداعب ضفائرها:
- لا أعرف ماذا كنت لأفعل من دونك.
- اسمك الأوسط جميل يا "إليز".
- لا أحد يريد مناداتي هكذا، الجميع ينادونني بـ "رانهيلد".
- لكن أنا يمكنني أن أناديك "إليز".
- احمرت وجنتاها بخجل، وأغلقت علبة الألوان والمفكرة وناولته إياها، فقال:
- لا، إنها لك الآن.
- فتحت العلبة على الفور وعادت للرسم.
- ***
- أحد الأرانب يرقد على جانبه!

كان "رايموند" واقفًا على باب غرفة والده وهو يتحرك بتوتر.
- أي واحد؟
- "سيزر"، البلجيكي الكبير.
- عليك قتله إذنًا.
فزع "رايموند" بشدة لدرجة إنه أطلق ريحًا، ومع ذلك لم يشعر بالراحة.
- لكنه يتنفس بصعوبة!
- لن نطعم أرانب تحتصر يا "رايموند"، ضعه على لوح التقطيع، ستجد الفأس خلف باب المرأب، واحذر أن تصيب يديك!
خرج "رايموند" وسار عبر الحديقة نحو أقفاص الأرانب على مضض، نظر إلى "سيزر" لوهلة عبر الباب الشبكي، إنه يرقد كالطفل، ويبدو ككرة فراء ناعمة، كانت عيناه مغمضتين، لم يتحرك حين فتح القفص ومد يده بحذرٍ إلى الداخل، كان دافئًا كالعادة، أمسكه بقوة من جلده الناعم أعلى عنقه ورفعته، ركل الأرنب بضعف بما تبقى له من قوة.
بعدها جلس بتثاقل في كرسيه في المطبخ، وضع أمامه ألبوم صور لمنتخب كرة القدم ولطيور وحيوانات، بدا مكتئبًا جدًّا حين وصل "سيير"، لم يكن يرتدي شيئًا إلا بنطلونًا رياضيًّا وخُفًّا. كان شعره أشعث، وبطنه ناعمة وبيضاء، بدت عيناه المستديرتان حزينتين، وكانت شفثاه مزمومتين وكأنه يلحق شيئًا.
حياه "سيير" بحرارة لعله يسترضيه:
- مرحبًا يا "رايموند"، هل أتيت في وقتٍ غير مناسب؟
- نعم، لأنني كنت أعمل على مجموعتي وأنت تقاطعني.
- هذا مزعج جدًّا، لا أتخيل ما هو أسوأ، لكن ما كنت لآتي إن لم أكن مضطرًّا، أرجو أن تتفهم هذا.
- نعم، بالطبع.

استرخى قليلاً وعاد إلى المطبخ.
تبعه "سيير" ووضع أدوات الرسم على الطاولة.
- أريدك أن ترسم شيئاً لي.
- لا! مستحيل!
بدا قلقاً جداً، فوضع "سيير" يده على كتف "رايموند" الذي قال:
- لا أستطيع الرسم.
- أي شخص يمكنه الرسم.
- لا أستطيع رسم الناس.
- لست مضطراً إلى رسم الناس، ارسم سيارة.
- سيارة؟
بدا مرتاباً، ضاقت عيناه وبدأت أشبه بالعيون العادية.
- ارسم السيارة التي رأيته مع "رانهيلد"، السيارة التي كانت تقود بسرعة.
- أنت تتحدث كثيراً عن هذه السيارة.
- صحيح، لأنها مهمة. لقد وضعنا نشرة عنها لكن لم يتصل بنا أحد، قد يكون صاحبها شخصاً شريفاً يا "رايموند"، لو أنه كذلك، فعلينا الإمساك به.
- لكنني أخبرتك أنه كان يقود بسرعة كبيرة.
قال "سيير" خافضاً صوته:
- لا بد أنك لمحت أي شيء، لقد لاحظت أنها سيارة، أليس كذلك؟ ليس قارب أو دراجة أو قافلة جمال مثلاً.
- جمال؟
ضحك الولد ملء قلبه حتى اهتز بطنه الأبيض.
- لكان هذا مضحكاً أن ترى مجموعة جمال تجري في الشارع! لم يكن هناك أي جمال. كانت سيارة عليها صندوق أدوات تزلج.

أمره "سيير":

- ارسمها.

استسلم "رايموند" وجلس على الكرسي وأخرج طرف لسانه وحركه مثل الدفة، لم تمض دقائق حتى صدّق "سيير" أنه لا يجيد الرسم فعلاً، فالسيارة بدت مثل قطعة من الخبز على أربع إطارات.

- هل يمكنك أن تلونها أيضًا؟

فتح "رايموند" العلبة بحرص وتفحص كل الألوان ثم اختار اللون الأحمر أخيرًا، وبدأ يلون بحذر لكيلا لا يخرج عن الخط.

- الأحمر يا "رايموند"؟

قال باختصار وهو يواصل التلوين:

- نعم.

- إذا كانت السيارة حمراء؟ هل أنت واثق؟ ظننتك قلت إنها رمادية.

- قلت إنها حمراء.

سحب "سيير" كرسيًا من تحت الطاولة وفكر مليًا قبل أن يتكلم.

- قلت إنك لا تستطيع تذكر لونها، ثم قلت إنها قد تكون رمادية كما قالت

"رانهيلد".

حكّ "رايموند" بطنه وبدأ كما لو أنه يشعر بالإهانة، وقال:

- أتذكر أفضل بمرور الوقت، هذا ما قلته للرجل الذي جاء بالأمس، أخبرته

إنها حمراء.

- من هذا؟

- رجل كان يتمشى ووقف في الحديقة، أراد رؤية الأرناب، تحدثت معه.

شعر "سيير" بقشعريرة وسأله:

- هل هو شخص تعرفه؟

- لا.
- هل يمكن أن تخبرني كيف يبدو؟
- ترك "رايموند" القلم الأحمر ومط شفته السفلية وقال:
- لا.
- ألا تريد إخباري؟
- كان رجلًا عاديًا، ولن تحب ما سأقوله بأي حال.
- أرجوك، أخبرني، سأساعدك، بدين أم نحيل؟
- متوسط.
- شعره داكن أم فاتح؟
- لا أعرف، كان يرتدي قبعة.
- حقًا؟ هل كان شابًا؟
- لا أعرف.
- أكبر مني؟
- نظر إليه "رايموند" وقال:
- لا، ليس كبيرًا مثلك. فشعرك أشيب تمامًا.
- قال "سير" في سرّه: "شكرًا لك".
- لا أريد أن أرسمه.
- لست مضطرًا، هل جاء بسيارة.
- لا، كان يسير.
- عندما غادر، هل اتجه إلى الأسفل أم صعد نحو قمة "كولين"؟
- لا أعرف، ذهبت لرؤية بابا. كان الرجل لطيفًا.
- بالتأكيد. ماذا قال لك يا "رايموند"؟
- إن لديّ أرناب جميلة، وسألني إن كنت أنوي بيع واحدٍ منها إن ولدَت.

- استمر.
- ثم تحدثنا عن الجو ومدى جفافه مؤخرًا، سألني إن كنت سمعت عن الفتاة عند البحيرة. وسألني إن كنت أعرفها.
- ماذا أخبرته؟
- أنني من وجدها، قال إنه يشعر بالأسف على وفاة الفتاة. أخبرته عنك، أنك أتيت إلى هنا وسألتني عن السيارة، تلك السيارة الصاخبة المسرعة، أخبرته عنها، تلك التي رأيته، قال إنه يعرفها، قال إنها "مرسيدس" حمراء. لا بد أنني كنت مخطئًا حين سألتني سابقًا، تذكرت الآن إنها حمراء.
- هل هددك؟
- لا، مستحيل. لا أسمح لأحدٍ بتهديدي، الرجل الكبير لا يدع الناس تهدده. هذا ما أخبرته.
- ماذا عن ثيابه يا "رايموند"؟ ماذا كان يرتدي.
- ملابس عادية.
- بنية أم زرقاء؟ هل تتذكر؟
- نظر إليه "رايموند" بحيرة وأخفى وجهه بيديه وقال:
- توقف عن إزعاجي بهذا الشكل!
- ترك "سيير" "رايموند" يجلس ويهدأ قليلًا ثم قال برفق بالغ:
- لكن السيارة كانت رمادية أو خضراء بالفعل، أليس كذلك؟
- لا، بل حمراء. لقد قلت الحقيقة. ولا فائدة من تهديدي. لأن السيارة كانت حمراء وهذا أسعد الرجل.
- انحنى على الورقة وبدأ يخطط على الرسم وهو يضم شفتيه بعناد.
- قال "سيير":
- لا تفسدها، فأنا أريد الاحتفاظ بها.

أخذ "سيير" الرسم وقال:

- كيف حال والدك؟

- لا يستطيع السير.

- أعرف. لنطمئن عليه.

وقف وتبع "رايموند" عبر الصالة، فتحا الباب دون أن يطرقا، كانت الغرفة شبه مظلمة، لكن يوجد ما يكفي من الضوء لكي يرى "سيير" العجوز واقفاً بجانب طاولة السرير ويرتدي ملابس داخلية واسعة، كانت ركبته ترتجفان بشدة. إنه رجل كبير وبدين، مثل ابنه.

هتف "رايموند":

- بابا!

مد يده إلى طقم أسنانه.

- اجلس حتى لا تكسر ساقك.

كان يرتدي دعامة للساقين، وركبته منتفختان مثل الكيك، وعليهما بقع بنية تشبه الزبيب.

ساعده "رايموند" ليعود إلى السرير وناول طقم أسنانه، تجنب نظرة "سيير" ونظر إلى السقف، كانت عيناه خاليتين من اللون، يعلوهما حاجبان كثبان طويلان، وضع طقم الأسنان في فمه. وقف "سيير" أمامه ونظر إلى النافذة المواجهة للحديقة والطريق، كانت الستائر مسدلة فلم تسمح إلا لحدٍ ضئيل من الضوء بالدخول.

سأله:

- هل تشاهد ما يحدث على الطريق؟

- هل أنت من الشرطة؟

- نعم. يمكنك أن ترى الكثير إن فتحت الستائر.

- لا أفعل هذا أبداً إلا إذا كان الجو غائماً.
- هل لاحظت أي سيارات أو دراجات غريبة هنا؟
- ربما. هناك سيارات شرطة مثلاً.
- أي شخص يسير على الأقدام؟
- متجولون، يصعدون إلى قمة "كولين"، يجمعون الحصى أو يتأملون البحيرة العفنة المليئة بجثث الحيوانات. لكل واحد اهتمامه.
- هل تعرف "آني هولاند"؟
- أعرف والدها منذ أيام عملي بالمرأب، كان يقوم بتسليم السيارات حين كان هناك سيارات.
- هل كنت المسؤول؟
- رفع الوسادة خلف ظهره وأوماً قائلاً:
- لديه ابنتان شقراوتان وجميلتان.
- لقد توفيت "آني هولاند".
- أعلم هذا، فأنا أقرأ الصحف كالجميع.
- أشار إلى الأرض حيث ترقد كومة من الصحف تحت طاولة السرير، ويجوارها شيء ملون على ورقٍ لامع.
- كان هناك رجل يتحدث مع "رايموند" في الحديقة مساء أمس. هل رأيته؟
- سمعتهما يتمتمان.
- ثم أضاف بحدة:
- قد لا يكون "رايموند" سريع البديهة، لكنه لا يعرف شيئاً عن الشر، هل تفهم؟ إنه طيب جداً لدرجة أنك تستطيع خداعه بسهولة، إنه يفعل ما يطلبه منه الآخرون.
- أوماً "رايموند" بحماس وحكّ بطنه.
- نظر "سير" إلى عينيهِ الشفافتين وقال:

- أعلم هذا. سمعتهما يتحدثان إداً؟ ألم تشعر بالفضول لتفتح الستارة قليلاً؟
- لا.
- ألسـت فضولياً يا "ليك"؟
- لست كذلك. نحن نهتم بأنفسنا فقط.
- ماذا لو أخبرتك أن ذلك الرجل متورط في قتل ابنة "هولاند"، هل ستدرك حينها خطورة الأمر؟
- لم أنظر إلى الخارج، كنت أقرأ الصحيفة.
- نظر "سير" حوله في الغرفة الصغيرة واضطرب، كانت الرائحة سيئة، على الأرجح ستتضرر كليته، تحتاج الغرفة إلى التنظيف، يجب فتح النافذة، والرجل العجوز بحاجة إلى حمام دافئ، خرج ليستنشق الهواء النقي، وسحب أنفاساً عميقة، تبعه "رايموند" ووقف عاقداً ذراعيه بينما يركب "سير" سيارته.
- هل أصلحت سيارتك يا "رايموند"؟
- يقول بابا إنني بحاجة إلى بطارية جديدة، لكنني لا أستطيع تحمل تكلفتها الآن، ستتكلف أكثر من 400 كرونة.
- أضاف بسرعة:
- على كل حال، أنا لا أقود في الطرق المفتوحة، تقريباً أبداً.
- جيد. والآن عد إلى الداخل لكي لا تصاب بالبرد.
- قال وهو يرتجف:
- نعم، كما أنني تخلّيت عن سترتي.
- قال "سير":
- هذا ليس تصرفاً ذكياً.
- قال بحزن:
- كنت مضطراً، لقد كانت ترقد بلا ملابس على الإطلاق.

- ماذا قلت؟

نظر إليه "سيير" بذهول، السترة التي تغطي الجثة تخص "رايموند"!

- هل أنت من غطيتها؟

قال وهو يدب بقدمه:

- لم تكن ترتدي أي ملابس.

لقد تخيل إنها باردة وتحتاج إلى من يغطيها، والشعيرات الفاتحة التي وجدوها على السترة قد تكون شعيرات الأرانب، لقد أكل حلوى، نظر "سيير" إلى عينيه، إنهما عينا طفل، نقيتان كينبوع ماء، لكنه قوي كالثور. في النهاية هز رأسه وقال:

- يا لها من لفطة لطيفة. هل تحدثتما؟

نظر إليه "رايموند" بدهشة وتحركت عيناه البريئتان قليلاً وكأنه شعر بفخ وقال:

- لكنك قلت إنها كانت ميتة!

غادر "سيير" فذهب "رايموند" إلى المرأب. كان "سيزر" يرقد في ركن بعيد ومغطى بسترة قديمة، وهو ما زال يتنفس.

انتهى "سكاري" من مراجعة التقارير، وهناك قلم حبر في جيب قميصه. ابتسم برضا وهو يندن، حياته رائعة الآن، فقضية القتل أكثر إثارة من السرقة المسلحة، سيحلّ الصيف سريعاً. ها هو رئيسه يناوله آيس كريم، ترك التقارير بسرعة وأخذه.

قال "سيير":

- سترة المطر التي كانت تغطي الجثة تخص "رايموند".

اندهش "سكاري" بشدة لدرجة أن الآيس كريم كاد ينزلق منه.

- لكنني أصدقه عندما قال إنه وضعه عليها بعدما أعاد "رانهيلد" إلى البيت، لقد غطاها بلطف لأنها كانت عارية، لقد اتصلت بـ"إيرين ألبوم" وأصرت "رانهيلد" أن السترة لم تكن موجودة عندما ذهبوا إلى البحيرة، لكنها تظل سترته. لذلك علينا أن نراقبه، أخبرته أنه لا يستطيع استعادتها الآن للأسف، فشعر بالإحباط، لكنني أخبرته أنني سأعطيه واحدة قديمة كانت لي ولم أعد ألبسها، هل وجدت شيئاً مثيراً في التقارير؟

مزق "سكاري" غلاف الآيس كريم وقال:

- لقد تفقدت جميع الجيران. يبدو أن أشخاصاً محترمين لكنهم يحصلون على الكثير من مخالفات السرعة في ذلك الشارع.

لحق "سيير" آيس كريم الفراولة من على شفته العليا.

- من بين واحد وعشرين أسرة، ثمانية أشخاص حصلوا على مخالفات سرعة. هذا أعلى من المعدل المتوسط.

قال "سيير":

- المشوار طويل وصولاً إلى مقرات عملهم، فهم يعملون في المدينة أو في مطار "فورنيبو". لا توجد وظائف كثيرة في "لوندباي".

- بالضبط، لكن ولو. فهمنا أنهم مجموعة من الأشخاص المحترمين الذين يقودون بسرعة، لكنني وجدت معلومة ملفتة، انظر إلى هذا.

تصفح الورق وأشار إلى فقرة محددة:

- "نوت جينسقول"، يسكن في 8 شارع "نيسفيين"، إنه مدرب كرة اليد الخاص بـ"آني"، لقد سُجن بتهمة الاغتصاب، قضى ثمانية عشر شهراً في سجن "أوليرسمو".

انحنى "سيير" لينظر.

- ربما استطاع أن يتكتم على الأمر. من الأفضل أن تحذر مما تقوله هنا.

أوماً "سكاري" ولحق الآيس كريم وقال:

- ربما علينا إحضار الفريق بأكمله، ربما حاول التحرش ببعض الفتيات. ماذا عنك؟ هل حصلت على كل المعلومات الخاصة بالسيارة المشبوهة؟
- تنهد "سير" وأخرج الرسم من جيبه وقال:
- قالت "رانهيلد" إن الصندوق كان أزرق. أما رسم "رايموند" فمضحك جداً، لكن المعلومة المثيرة بحق هي أن أحد المتجولين زار حديقة "رايموند" مساء أمس وبدأ أنه يحاول إقناع "رايموند" بأن السيارة حمراء.
- وضع الرسم أمامه على الطاولة. اتسعت عينا "سكاري" وسأله:
- هل يمكنه أن يصف الرجل؟
- قال "سير" باختصار:
- قال إنه "متوسط"، يرتدي قبعة. لم أجرؤ على الضغط عليه أكثر لأنه ينزعج بسرعة.
- يا له من سريع.
- بل يا له من جريء، إنه يعرف عن "رايموند"، ولقد تمت رؤيته، فأراد أن يعرف ما رآه "رايموند". إذاً، علينا التركيز على السيارة، لا بد أنه قريب جداً منّا.
- يا إلهي!
- لكن من التهور أن يذهب إلى بيت "رايموند"، هل تظن أن أحداً رآه؟
- ذهبت إلى كل البيوت المجاورة، لم يره أحد، لكن إن كان قد أتى من جهة "كولين"، إذاً فبيت "ليك" سيكون أول بيت يصادفه، ولا يمكن رؤية حديقة البيت من المزرعة التي آخر الطريق.
- ماذا عن الرجل العجوز؟
- قال إنه سمعهما يتحدثان بالخارج ولم يشعر بالفضول لكي ينظر من النافذة. تناولا الآيس كريم في صمت.
- هل سننسى أمر "هالفور" والدراجة النارية؟

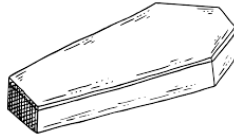
- بالتأكيد لا.
- متى سنحضره للاستجواب؟
- الليلة.
- ولم الانتظار؟
- الوضع أكثر هدوءًا في الليل، تحدثت مع والدتي "رانهيلد" بينما كانت الفتاة ترسم شهادتها الواضحة على الورق، "سولفي" ليست ابنة "هولاند"، والدها البيولوجي خسر حق زيارته لها، بسبب السكر والعنف على ما يبدو.
- لكن "سولفي" في الواحدة والعشرين.
- نعم، لقد يبدو أنه مرت سنوات من الصراعات الأليمة.
- ماذا تقصد؟
- لقد خسر طفله بشكلٍ ما، والآن زوجته السابقة التي تجمعها بها علاقة متوترة تمر بالموقف نفسه، ربما أراد الانتقام. مجرد فكرة دارت ببالي.
- أطلق "سكاري" صغيرًا قصيرًا وقال:
- مَنْ هو؟
- هذا ما ستكتشفه بمجرد أن تنهي الآيس كريم، بعدها تعالَ إلى مكتبي، سنغادر بمجرد أن تحدد مكانه.
- ثم غادر.
- اتصل "سكاري" برقم "هولاند" وهو يلحق الآيس كريم.
- قالت السيدة "هولاند":
- لا أريد التحدث عن "أكسيل"، لقد دمرنا، لكننا تخلصنا منه أخيرًا بعد كل هذه السنوات، لو لم أرفع عليه قضية لدمر "سولفي".
- لا أطلب منك إلا اسمه وعنوانه، هذه إجراءات معتادة يا سيدة "هولاند"، نحتاج إلى تفقد آلاف البيانات.

- لم يكن له أي علاقة بـ "آني"، حمدًا لله.
- من فضلك، أعطيني اسمه يا سيدة "هولاند".
- أخيرًا استسلمت وقالت:
- "أكسيل بيورك".
- هل لديك أي معلومات عنه؟
- لدي كل شيء، رقم تأمينه الاجتماعي وعنوانه، إن لم يكن قد انتقل، أتمنى لو فعل، إنه يعيش قريبًا من هنا، على بعد ساعة بالسيارة.
- كانت تزداد غضبًا مع كل ثانية.
- كتب "سكاري" البيانات وشكرها، ثم شغل الكمبيوتر وبحث عن "أكسيل بيورك"، بينما يفكر كيف أن الخصوصية قد تقلصت إلى هذا الحد، لا يفصل الإنسان عن غيره إلا قطعة من النسيج الشفاف لا تخفي شيئًا.
- هتف وهو ينظر إلى السقف راغبًا في الاعتذار:
- اللعنة على كل هذا!
- ضغط على زرّ الطباعة وتراجع في كرسيه، أخذ الصفحة وقرأها مجددًا ثم ذهب إلى مكتب "سيير"، كان رئيس المحققين يقف أمام المرأة رافعًا أحد أكمامه ويحك مرفقه. قال عابسًا:
- لقد نفذ مرهمي.
- وجدته. لديه سجل إجرامي بالطبع.
- جلس "سكاري" ووضع الورقة على المكتب.
- لنلقي نظرة. "بيورك، أكسيل"، مواليد 1948.
- أضاف بخفوت:
- ضابط شرطة.
- لم يبدِ "سيير" ردّ فعل، بل قرأ التقرير ببطء وقال:

- ضابط سابق. هل تفضل البقاء هنا؟
- بالطبع لا، لكن الأمر حساس قليلاً.
- نحن لسنا مثل باقي الناس، أليس كذلك يا "سكاري"؟ يجب أن نسمع جانبه من القصة، بالتأكيد سيكون مختلفاً عن جانب السيدة "هولاند"، علينا الآن أن نذهب في رحلة إلى أوصلو، من الواضح إنه يعمل في مناوبات، لذلك من المحتمل أن نجده في البيت.
- أربعة شارع "سونسفين"، في منطقة "أدامستوين"، المبنى الأحمر الكبير بالقرب من محل حقائب السفر.
- سأله "سيير" بدهشة:
- هل تعرف أوصلو جيداً؟
- قدت سيارة أجرة هناك لعامين.
- هل يوجد أي شيء لم تفعله؟
- لم أمارس القفز الحر أبداً.



الفصل السادس



أوضح "سكاري" خبرته من عمله كسائق أجرة عبر توجيهه لـ "سير" إلى أقصر الطرق. القيادة في "سكوين"، الانعطاف يساراً في "هالفادن سفارتيس جايتن"، تجاوز حديقة "فيجيلاند"، صعود "كيركيفيين"، ثم نزول "أوليفاسفيين". ركنا السيارة في وضع مخالف أمام صالون تجميل. ووجد اسم "بيورك" على الطابق الثالث من مجمع شقق سكنية. ضربا الجرس وانتظرا، لكن ما من إجابة. خرجت امرأة من الشقة المقابلة ومعها صندوق قمامة ومكنسة. قالت:

- لقد ذهب إلى المحل، أو على الأقل غادر ومعه زجاجات فارغة في كيس. إنه يتسوق في محل "راندينجين" في المبنى القريب.

شكراها وخرجا، ركبا السيارة وانتظرا. "راندينجين" هو محل بقالة صغير تحمل نوافذه لافتات وردية وصفراء تجعل من الصعب رؤية ما بداخله. يدخل الناس ويخرجون باستمرار، معظمهم من النساء. بمجرد أن بدأ "سكاري" يدخل سيجارة وهو يخرج بذراعه من النافذة المفتوحة، خرج رجل يرتدي قميصاً ثقیلاً وحذاءً رياضياً، عبر النافذة المفتوحة سمعا صوت تخبط الزجاجات في الكيس الذي يحمله، كان جسده طويلاً ومليئاً بالعضلات، لكنه يبدو أقصر لأنه يسير محنياً رأسه ومثباً نظره على الرصيف، لم يلحظ سيارتهما.

- إنه يبدو كزميل سابق بالتأكد، انتظر حتى يبتعد قليلاً ولنرَ إن كان سيدخل المبنى أم لا.

انتظر "سكاري"، ثم فتح الباب وأسرع خلفه. انتظرا دقيقتين أو ثلاثة ثم صعدا خلفه.

بدا وجه "بيورك" عبر فتحة الباب كتلة من العضلات والأعصاب التي تجعل تعابيره تتغير في ثوانٍ. أولاً، حمل وجهه التعبير المحايد الذي لا يتوقع زيارة لكنه يشعل بالفضول، ثم انتبه إلى زي "سكاري" الرسمي، وفتش في ذاكرته عما يمكن أن يكون سبب تواصلهم معه رسمياً، تذكر خبراً قرأه عن الجثة عند البحيرة ثم وجد الصلة وخمن فيم يفكرون، أما آخر تعبير ظهر على وجهه والتصق به فهو ابتسامة مريرة.

قال وهو يفتح الباب:

- لو لم تأتيا لخطأت فكرتي عن كيفية عمل التحقيق في الوقت الحالي. ادخلا، هل أنتما رئيس وتلميذه؟

تجاهلها تعليقه وتبعاه عبر الممر القصير، كانت رائحة الكحول تفوح في الشقة. كانت شقة "بيورك" مرتبة وصغيرة، هناك غرفة معيشة واسعة، وغرفة نوم صغيرة، ومطبخ صغير يواجه الشارع، لم يكن الأثاث متناسقاً، وكأنه جمعه من أماكن مختلفة، وهناك صورة لفتاة صغيرة في الثامنة، معلقة على مكتب قديم، كان شعرها داكناً لكن ملامحها لم تتغير بمرور السنين، إنها "سولفي"، وهناك شريط أحمر مربوط على أحد أطراف اللوحة.

لمحا كلب "جيرمان شيبارد" يرقد ساكناً في الزاوية وينظر إليهما بانتباه، لم يتحرك أو ينبج حين دخلا الغرفة.

قال "سير":

- ماذا فعلت مع هذا الكلب؟ بالتأكيد أنجزت شيئاً لم أنجزه مع كلبتي، فهو يقفز على الناس بمجرد أن يدخلوا الشقة، ويظل ينبج حتى يسمعه سكان الطابق الأرضي، على الرغم من أنني في الطابق الثالث عشر.

قال باختصار:

- هذا يدلُّ على أنك متعلق به جدًّا، يجب ألا تعامل الكلب وكأنه كل حياتك، لكن ربما هو كذلك بالفعل؟

نظر إلى "سير" متفحصًا وهو يدرك أن باقي الحديث لن يكون وديًّا، كان شعره قصيرًا لكنه زيتيًا وغير مغسول، لم يخلق منذ وقت طويل، فهناك ظل داكن يغطي نصف وجهه السفلي.

بعد وهلة قال بهدوء:

- إذًا، تريد أن تعرف ما إذا كنت أعرف "آني" أم لا، صحيح؟ لقد جاءت إلى هنا مرات عديدة مع "سولفي"، ليس لديَّ سبب لإخفاء ذلك، ثم اكتشفت "أدا" ومنعت الزيارة تمامًا، لقد أحببت "سولفي" زيارتي، لا أعرف ماذا فعلت "أدا" لها، لكن يبدو أنها غسلت دماغها، فهي لم تعد مهتمة بالمجيء، وتركت "هولاند" يقوم بدوري.

حكَّ فكَّه وانتظر قليلًا، وعندما لم يقل شيئًا واصل:

- ربما ظننتما أنني قتلت "آني" بدافع الانتقام، أؤكد لكما أنني لم أفعل، ليس لديَّ ضغائن ضد "إيدي هولاند"، ولا حتى أتمنى لألد أعدائي أن يفقد طفلًا، ليس لديَّ طاقة للقتال، لكن أعترف أن الفكرة قد خطرت ببالي، تلك العجوز الشمطاء أصبحت تعرف ماهية شعور أن تفقد طفلًا، أصبحت تعرف، اللعنة. لكن المشكلة هي أن فرصتي للتواصل مع "سولفي" قد تضاءلت الآن، ستحكم "أدا" قبضتها عليها، وما كنت لأضع نفسي في هذا الموقف.

جلس "سير" ساكنًا واستمع، كان صوت "بيورك" غاضبًا وحادًا،

- ستسألني أين كنت في وقت الجريمة، لقد وجدتموها يوم الإثنين، أليس كذلك؟ في منتصف اليوم على ما أتذكر، إليك جوابي: كنت في شقتي، ليس لديَّ دليل غياب، على الأرجح كنت ثملًا، عادةً أفرط في الشرب خارج أوقات العمل،

هل أصبح عنيّفًا؟ بالطبع لا. صحيح أنني ضربت "أدا" لكنها أرادت ذلك، كانت تعلم أنها إن جعلتني أتجاوز الحد فسيحسن موقفها في المحكمة، ضربتها مرة واحدة بقبضتي، كانت ردّ فعل لحظي، إنها المرة الوحيدة في حياتي التي أضرب فيها شخصًا، كنت سيئ الحظ إلى أقصى درجة، ضربتها بشدة وكسرت فكّها وأسنان عديدة. كانت "سولفي" جالسة على الأرض ورأت كل شيء، أعدت "أدا" الفخ كله، وضعت لعب "سولفي" على الأرض في غرفة المعيشة لكي تجلس هناك وتشاهدنا، وملأت الثلاجة بالبيرة، ثم بدأ الشجار، وهي بارعة جدًّا فيه، لم تستسلم حتى فقدت صوابي ووقعت في فخها. تحت هذه المرارة كان هناك بعض الراحة، ربما لأن أحدًا يستمع إليه أخيرًا.

- كم كان عمر "سولفي" حين انفصلتما؟

- كانت في الخامسة. ارتبطت "سولفي" بـ"هولاند" بالفعل وأرادت أن تأخذ "سولفي" لنفسها بالكامل.

- يا له من وقتٍ طويل، ألم تستطع نسيان الأمر؟

- لا يمكنك أن تنسى طفلك.

ندم "سيير" على سؤاله.

- هل تم استبعادك بعدها؟

- بدأت أشرب كثيرًا، فقدت زوجتي وطفلتي وعملي وبيتي واحترام كل الناس.

ثم أضاف بابتسامةٍ مريرة:

- لذلك لن يختلف الوضع إن أصبحت قاتلًا في نظرهم. لا يهم في الواقع.

ابتسم وظهرت فجأة نظرة شريرة في عينيه وقال:

لكن لو أردت الانتقام لفعلت على الفور، وما انتظرت كل هذه السنوات.

وبصراحة، كنت سأختار أن أقتل "أدا" نفسها.

سأله "سكاري":

- على ماذا تشاجرتما؟

- على "سولفي".

شيك ذراعيه ونظر عبر النافذة وكأنه يشاهد ذكرياته تسير في موكب في الشارع. قال:

- "سولفي" مختلفة قليلاً، لطالما كانت كذلك، بالتأكيد قابلتها ورأيت كيف أصبحت، أرادت "أدا" أن تحميها دوماً. شخصيتها ليست مستقلة، وليست حذرة بما يكفي، كما أنها مهووسة بالشباب وبمظهرها. أرادت "أدا" أن تزوجها بسرعة لكي تجد من يعتني بها، حاولت أن أشرح لها بأنها تحتاج إلى العكس تماماً، تحتاج إلى الثقة بالنفس، أردت أن أصطحبها في رحلات صيد وما إلى ذلك، أردت أن أعلمها كيف تقطع الحطب وتنام في خيمة، إنها بحاجة إلى تدريب بدني، تحتاج إلى أن تفسد مظهرها بدون فزع، لكنها الآن تتسكع في صالونات التجميل وتنظر إلى نفسها في المرآة طوال اليوم. اتهممتني "أدا" بأنني معقد لأنني أردت صبيّاً ولم أقبل أبداً أننا أنجبنا فتاة، تشاجرنا طوال الوقت، منذ أن تزوجنا وحتى الآن.

- كيف تكسب رزقك الآن؟

نظر "بيورك" إلى "سير" بكآبة وقال:

- بالتأكد تعلم ذلك بالفعل، أنا أعمل لشركة أمن خاصة، ألتجول ليلاً ومعني كلب ومصباح، لا بأس، ليس عملاً مثيراً بالطبع لكنني نلت كفايتي من الإثارة في حياتي.

- متى كانت آخر مرة جاءت الفتاتان؟

فرك جبهته وكأنه يحاول استحضار التاريخ من أعماق ذهنه، وقال:

- في الخريف الماضي. وحبیب "آني" جاء معهما أيضاً.

- ولم ترَ الفتاتين من وقتها؟

- لا.
- هل ذهبت لرؤيتها؟
- كثيرًا. لكن في كل مرة تتصل "أدا" بالشرطة وتدعي أنني أحاول اقتحام البيت، وأنني أقف على الباب وأهددها. كان لديّ مشكلات في العمل بالفعل، وإن تعرضت للمزيد كانوا سيطرّدونني، لذلك اضطررت إلى الاستسلام.
- ماذا عن "هولاند"؟
- إنه رجل طيب، أظنه لا يرضى عن أعمالها الشريرة، لكنه ضعيف، "أدا" تتحكم فيه كالخاتم في إصبعها، إنه يفعل ما تأمره به، لذلك لا يتشاجران، لقد تحدثت معهما، بالتأكيد رأيتما الوضع.
- نهض فجأة وذهب ليقف بجانب النافذة مديرًا ظهره لهما ويفرد جسده بالكامل، ثم قال بصوت خافت:
- لا أعرف ماذا حدث لـ "آني"، كنت سأنفهم أكثر لو حدث شيء لـ "سولفي"، فهي ساذجة لدرجة غير معقولة.
- تساءل "سير" لماذا يقول الجميع هذا، وكأن الأمر بأكمله سوء تفاهم وتعرضت "آني" للقتل عن طريق الخطأ.
- هل لديك دراجة نارية يا "بيورك"؟
- لا. كان لديّ واحدة في شبابي، كنت أحتفظ بها في مرأب صديقي، لكنني بعتها أخيرًا، "هوندا 750"، لم يبقَ معي إلا الخوذة.
- ما نوعها؟
- إنها معلقة في الصالة.
- نظر "سكاري" إلى الصالة فلمح خوذة، إنها خوذة كاملة ولونها أسود، والزجاج الذي يغطي العينين معتم.
- هل لديك سيارة؟

- لا. أقود فقط الـ"بيجو" الخاصة بالشركة.
ثم نظر إليهما وقال:
- لقد اكتشفت شيئاً مهماً، لقد رأيت علاقة الأمومة بين الأم وطفلها عن قرب، إنها كعهدٍ مقدس لا يمكن لأحدٍ فسخه، إن فصل "أدا" عن "سولفي" أصعب من فصل توأمين ملتصقين بيديك العاريتين.
تفاجأ "سيير" من الصورة الخيالية.
- يجب أن أكون صادقاً معك، أنا أكره "أدا"، ولا داعي لإخفاء هذا، أعرف أسوأ سيناريو بالنسبة لها، وهو أن تكبر "سولفي" بما يكفي لتفهم ما حدث، فتتجرأ على معارضة "أدا" وتأتي إلى هنا، عندها سنحظى بعلاقة أبوية، هذا حقنا وما نستحقه، علاقة حقيقية، هذا سيقرب الموازين تماماً.
بدا مرهقاً فجأة، سمعوا صوت ترام صاخب، صفارته ترن بصوتٍ عالٍ. نظر "سيير" إلى صورة "سولفي" مجدداً، تخيل لو كانت حياته مختلفة، تخيل لو أن "إليز" كرهته وتركت البيت وأخذت "إنجريد" معها، ليس هذا فقط، بل ورفعت قضية لكي تمنعهما من اللقاء، أخافته الفكرة، فقال برفق:
- إذاً، هل كنت تتمنى لو كانت "سولفي" مثل "آني هولاند"؟
- نعم، إلى حدٍ ما، إنها مستقلة وقوية، أعني كانت.
ثم استدار وأضاف:
- هذا بشع. أتمنى أن تجدوا الوغد الذي فعل هذا من أجل "إيدي"، أتمنى ذلك حقاً.
- من أجل "إيدي"؟ ليس من أجل "أدا"؟
قال بغضب:
- لا، ليس من أجل "أدا".

أدار "سيير" المحرك وقال:
- يا له من رجلٍ مقنع، أليس كذلك؟
سأله "سكاري" وهو يشير له بالانعطاف يميناً عند "روندينجين":
- هل تصدقه؟
- لا أعرف، لكن هناك الكثير من اليأس خلف قناعه اللفظ، وهو حقيقي
وغير مصطنع. أنا واثق بأنه توجد نساء خبيثات وماكرات في العالم، كما أن
لهن أفضلية الاحتفاظ بأطفالهن، لا بدّ أن التعرض لتلك الاتهامات مؤلمٌ بحق،
خاصةً وأنه لا فائدة من إنكارها، ربما يجب أن تظل الأمور هكذا لا محالة.
ابتعد عن قضبان الترام وأضاف:
- ربما هي ظاهرة بيولوجية لحماية الأطفال، من خلال رابطة قوية لا
يمكن تحطيمها مع الأم.
قال "سكاري" وهو يهز رأسه:
- يا إلهي! لديك ابنة، فهل تصدق حقاً ما تقول؟
- لا، أنا أفكر بصوتٍ مسموع فقط. ماذا تظن؟
- ليس لديّ أي أطفال!
- لكن لديك والدين، أليس كذلك؟
- نعم، لديّ والدان، وأعترف أنني الولد المدلل لوالدتي.
قال "سيير":
- وأنا أيضاً.

ترك "إيدي هولاند" قسم المحاسبة وقال بضع كلمات لسكرتيه ثم غادر.
قاد لعشرين دقيقة ثم أوقف الـ"تويوتا" الخضراء في مرأب ضخم، أوقف

المحرك واسترخى في الكرسي، أغمض عينيه وظل ساكنًا هكذا في انتظار أن يحدث شيء يجعله يستدير عائدًا ولا يكمل مهمته، لكن لم يحدث شيء.

بعد وهلة فتح عينيه ونظر حوله، كان مكانًا جميلًا، هناك مبنى كبير يبدو مثل صخرة مسطحة، ويحيط به عشب أخضر. نظر إلى الممرات الضيقة بين شواهد القبور المرصوفة في صفوف متوازية، أشجار كثيفة أغصانها مائلة، راحة، سكون، لا يوجد مخلوق، أو صوت. خرج من السيارة على مضض، وأغلق الباب بعنف على أمل أن يسمعه أحد، فيأتي من مبنى المحرقة ليسأله عما يفعل هنا، على الأقل سيسهل الأمر عليه، لكن لم يأت أحد.

سار بين الممرات وهو يقرأ الأسماء على شواهد القبور، لكنه في الواقع كان متنبهًا للتواريخ، وكأنه يبحث عن شخص ليس كبير السن، شخص قد يكون في الخامسة عشرة، مثل "آني"، وجد الكثيرين بهذه المواصفات.

أدرك بعد وهلة أن الكثير من الناس مروا بموقفه نفسه وسبقوه، اتخذوا مجموعة من القرارات، مثل أن يحرقوا جثة ابنهم أو ابنتهم، وأن يختاروا شاهد القبر الذي يوضع فوق جرة الرماد، وأي نوع من النباتات يجب زراعته حول القبر. لقد أحضرا أزهارًا وموسيقى في الجنازة، وأخبرا القس عن ابنتهما لكي تكون الجنازة مخصصة لها بقدر المستطاع. ارتجفت يداه، فوضعهما في جيبه، كان يرتدي معطفًا قديمًا بطانته متهالكة، تحسس زرًا في جيبه، ويبدو أنه هناك منذ سنوات.

كانت المقبرة شاسعة، نظر إلى طرفها بالقرب من الشارع، فلمح رجلًا يرتدي معطفًا أزرق داكنًا ويسير بين القبور، ربما كان يعمل هناك. اتجه نحو الرجل مباشرةً بلا تردد وهو يرجو أن يكون من النوع الثرثار، لم يكن اجتماعيًا بطبعه، لكن ربما يتوقف الرجل ويحدثه عن الطقس مثلًا، دائمًا هناك

حديث عن الطقس، نظر إلى السماء ولاحظ أنها غائمة قليلاً، والجو معتدل مع بعض النسيم.

- مرحباً!

توقف الرجل ذو المعطف الأزرق.

تنحنح "هولاند" وقال:

- هل تعمل هنا؟

أوماً الرجل وأشار إلى المحرقة وقال:

- نعم. يمكنك القول أنني المشرف هنا.

ابتسم له الرجل بود وكأنه لا يخشى شيئاً في الدنيا بعدما رأى الكثير من البشر.

- أنا أعمل هنا منذ عشرين عاماً، إنه مكان جميل لتمضية الوقت، ألا تظن؟

كان يتصرف بأريحية ووداً. أوماً له "هولاند" وتمتم:

- نعم. وها أنا أتجول هنا أفكر في المستقبل وما إلى ذلك.

ثم ضحك بتوتر وأضاف:

- عاجلاً أو آجلاً سينتهي بنا في الأرض تحت التراب، لا مفر من ذلك.

ضم قبضتيه في جيبه وتحسس الزر المنسي.

- أنت محق. هل لديك أفراد من عائلتك هنا؟

- لا، ليس هنا. إنهم مدفونون في مقبرة العائلة في مسقط رأسي، لا نقوم

بتقليد حرق الجثث في عائلتي، لا أعرف حتى ما الغاية من الحرق، أعني أنه لا

يوجد فرق في الموت، لكن على الإنسان أن يقرر. لست عجوزاً لكن عليّ أن أقرر

ما إذا كنت أريد الدفن أم الحرق.

لم يعد الرجل يبتسم، نظر إلى الرجل العريض ذي المعطف الرمادي، لا بدّ

أنه تنازل عن كبريائه لكي يبوح بما يفكر، لدى الناس أسباب كثيرة للتجول

بين القبور، وهو لم يفتعل مشكلات معهم أبداً. قال:

- إنه قرارٌ مهم على ما أظن، عليك أن تأخذ وقتك في التفكير، يجب أن يفكر الناس أكثر في موتهم.

بدا "هولاند" مرتاحًا وقال:

- نعم، صحيح؟

أخرج يديه من جيبه ولوح بهما وواصل وهو يفكر في كلامه:

- لكن الإنسان عادةً يتردد في التفكير في هذه الأمور، ربما يخاف من أن يراه الناس مجنونًا أو مضطربًا. ماذا لو أراد شخص أن يعرف أكثر عن عملية الحرق؟

قال المشرف وهو يتحرك بضع خطوات:

- لدى الناس الحق في المعرفة، لكنهم لا يسألون أبدًا، أو لا يريدون المعرفة، لكن لو أراد بعض الناس أن يسألوا، فسأنفهم السبب، يمكننا أن ندخل وسأشرح لك كل شيء.

أومأ "هولاند" بامتنان، شعر بالراحة في صحبة هذا الرجل الودود، رجل من سنه، ببنية ضعيفة وشعر خفيف، سارا معًا على الحصى الذي أصدر صوتًا خفيفًا تحت أقدامهما، لامس النسيم وجه "هولاند" وكأنه يواسيه.

قال المشرف:

- الأمر بسيط في الواقع، لكن دعني أخبرك في البداية أن التابوت بأكمله وبداخله المتوفى يوضع في الفرن، لدينا توابيت خاصة للحرق، كل ما فيها مصنوع من الخشب، حتى المقابض، حتى لا تظن أننا نضع جثة المتوفى في الفرن بدون التابوت.

ثم أضاف مبتسمًا:

- لكن ربما تعرف هذا بالفعل، فمعظم الناس شاهدوا ما يكفي من الأفلام الأمريكية. أومأ "هولاند" وضم قبضتيه مجددًا.

- الفرن كبير جدًا في الواقع. لدينا اثنان، يعملان بالكهرباء مع الجاز، بذلك يولدان نارًا قوية، تصل الحرارة إلى ألفي درجة مئوية تقريبًا.
رفع نظره وابتسم، وكأنه أراد أن يحصل على بعض أشعة الشمس الضعيفة.
- كل ما يرتديه المتوفى في التابوت ينتهي به المطاف في الفرن، والمجوهرات أو الأشياء التي لا تحترق توضع في جرة الرماد بعد ذلك. نخلع أجهزة تنظيم القلب والمسامير الجراحية أو الشرائح. وبخصوص المعادن الثمينة، ربما سمعت شائعات عن أنها تُسرق، لكن لا تصدق ذلك.
وأضاف بحزم:
- لا تصدق ذلك حقًا.
اقتربا من باب المحرقة.
- العظام والأسنان يتم طحنها حتى تصبح بودرة رمادية تشبه الرمال.
عندما ذكر الرجل الجزء الخاص بالطحن، تذكر أصابعها الرقيقة الطويلة والخاتم الفضي الصغير الذي كانت "آني" ترتديه. أرعبته الفكرة لدرجة أنه طوى أصابعه في جيبه.
- نحن نراقب العملية كلها لنعرف كم تحتاج من وقت، أبواب الفرن زجاجية، بعد ساعتين ينتهي كل شيء، ولا يبقى إلا كومة من الرماد الناعم أقل بكثير مما يظن الناس.
يراقبون العملية؟ عبر باب زجاجي؟ هل يمكن أن يختلسوا النظر ويشاهدون "آني" وهي تحترق؟
- يمكنني أن أريك الفرن إن أحببت.
- لا، لا!
ضم ذراعيه إلى جانبيه بقوة محاولاً أن يمنعهما من الارتجاف.

- الرماد يكون نظيفًا جدًا وبلا أي شوائب، يبدو مثل الرمال الناعمة، في الماضي كان يستخدم الرماد لأغراض طبية، هل كنت تعرف ذلك؟ مثلاً، كان يتم وضعه على الطفح الجلدي ليعطي نتائج إيجابية، أو حتى ابتلاعه، إنه يحتوي على أملاح ومعادن، لكننا نقوم بترشيحه قبل وضعه في الجرة. سأريك واحدة لتعرف كيف تبدو، يمكنك اختيار ما تريد، فهي تأتي بأشكال عديدة، نفضل الجرة العادية، ومعظم الناس كذلك، إنها محكمة الغلق، ويتم وضعها في القبر من خلال فتحة صغيرة، نسمي هذا "طقس دفن الجرة".

فتح الباب لـ "هولاند"، الذي دخل المبنى خافت الإضاءة.

- في الواقع كل ما نفعله هو تسريع عملية التحلل الطبيعية بشكل أكثر نظافة، جميعنا سنتحول إلى رماد في النهاية، لكن الدفن العادي يستغرق وقتاً أطول، حوالي عشرين عاماً، وأحياناً ثلاثين أو أربعين، على حسب نوع التربة. في هذه المنطقة، هناك الكثير من الرمل والطين، لذلك تستغرق وقتاً طويلاً.

قال "هولاند" بهدوء:

- يعجبني ذلك، التحول إلى رماد.

- نعم. بعض الناس يفضلون أن يتم نثر رمادهم مع الرياح، لكن هذا ممنوع في بلادنا، القانون صارم جداً بخصوص هذه المسألة، وفقاً للقانون، يجب أن يتم وضع كل جسد في أرض مقدسة.

قال "هولاند" وهو يتنحّن:

- ليست فكرة سيئة، لكن الأمر يبدو غريباً حين تتخيله، عند الدفن تحت الأرض، يتحلل الجسد، وهذا لا يبدو لطيفاً، لكن هناك فكرة الحرق.

التحلل أم الحرق؟ يا له من اختيار. ما الأفضل لـ "آني"؟

توقف قليلاً وقد شعر أن ركبتيه وشك الانهيار، لكن صبر الرجل الآخر معه شجعه على الاستمرار.

- في الواقع، إن فكرة الاحتراق تجعلني أفكر في.. أمم.. الجحيم. وحين أتخيل ابنتي..
توقف فجأة وقد احمر وجهه، وقف الرجل الآخر ساكنًا لوقتٍ طويل، ثم
ربت على كتفه وقال:

- تحتاج إلى اتخاذ القرار بشأن.. ابنتك؟ أليس كذلك؟
أوماً "هولاند" برأسه.

- عليك أن تأخذ الأمر بجديةٍ شديدة، إنها مسؤولية مضاعفة، الأمر ليس
سهلاً أبدًا.

هزَّ رأسه النحيل مؤكِّدًا على كلامه.

- خذ وقتك، لكن إن اخترت الحرق، فيجب أن توقع تعهدًا مفاده أنها لم
تكن تعارض فكرة الحرق أبدًا، إلا إذا كانت تحت الثامنة عشرة، عندها يمكنك
أن تقرر نيابةً عنها.

- إنها في الخامسة عشرة.

أغمض المشرف عينيه بضع ثوانٍ، ثم بدأ يسير مجددًا وقال:
- تعالَ معي إلى الكنيسة، سأريك إحدى الجرار.

قاد الرجل "هولاند" عبر بعض السلاالم، شعرا بيدٍ خفية تربت عليهما
وتعزلهما عن العالم. استندا على بعضهما، المشرف ليستمد القوة، و"هولاند"
ليستمد الدفء. أسفل الكنيسة كانت الجدران خشنة وبيضاء، يوجد بالأسفل
أزهار بيضاء وحمراء منسقة، وتمثال معلق للمسيح المصلوب، تماسك "إيدي"
وشعر بالدم يعود إلى وجهه، شعر براحةٍ أكثر.

الجرار مرصوفة على رفوف على الجدران، أخذ المشرف واحدة وناولها لـ "هولاند".

- هيا احملها. إنها لطيفة، أليس كذلك؟

لمس الجرة وحاول أن يتخيل ابنته ويقارن عناقها بحمل الجرة، بدت الجرة معدنية، لكنه يعلم أنها مصنوعة من مادة قابلة للتحلل، كما أنها كانت دافئة بين يديه.

- لقد أخبرتك بكل شيء ولم يعد هناك المزيد.
مرر "إيدي" أصابعه على الجرة الذهبية، بدا مرتاحًا وهو يحملها ويشعر بثقلها.
- الجرة فيها مسام لكي يدخل الهواء من التربة ويسرع من عملية التحلل الكاملة، حتى الجرة تتحلل. هناك شيء غامض ومثير في فكرة اختفاء كل شيء، ألا تظن؟

ابتسم باحترام وقال:
- نحن سنختفي كذلك، حتى هذا المبنى وهذا الطريق الممهد.
ثم أمسك بذراع "إيدي" بقوة وقال:
- أود أن أصدق بأن هناك شيئًا أفضل بانتظارنا، شيئًا مختلفًا ومثيرًا، ولم لا يكون؟

نظر إليه "هولاند" بدهشة.
اختتم الرجل كلامه:
- نضع على الجرة من الخارج اسم صاحبها.
- أومأ "هولاند" وأدرك أنه ما زال واقفًا. مر الوقت دقيقة بدقيقة، شعر ببعض الألم من الوقوف فتحرك في الممر مفكرًا في "آني". تخيل اللهب وفحيح الفرن.
قال:

- ستحمل الجرة اسم "آني"، "آني صوفي هولاند".

حين عاد إلى المنزل، كانت "أدا" منحنية على الحوض تغسل بعض البطاطس، ست حبات، اثنتين لكل واحد فيهم، ليس ثمانية كالسابق. بدت

قليلة جدًا في نظرها، ما زال الألم مرسومًا على وجهها منذ أن كانت في المستشفى والطبيب أزال الغطاء عن الجثة، بعدها التصق التعبير على وجهها كقناع ثابت. سألته بنبرة رتيبة:

- أين كنت؟

قال "هولاند":

- كنت أفكر في أنه علينا حرق "آني".

تركت البطاطس ونظرت إليه.

- حرقها؟

- كنت أفكر، لقد اعتدى شخص ما عليها وترك علامة، وأنا أريد إزالة هذه العلامة!

مال بشدة على طاولة المطبخ ونظر إليها بتوسل، إنه نادرًا ما يطلب شيء.

سألته بلامبالاة وهي تمسك البطاطس مجددًا:

- أي علامة؟ نحن لن نحرق "آني".

قال لها بصوت أعلى من ذي قبل:

- تحتاجين فقط إلى التعود على الفكرة. إنه تقليد جميل.

كررت وهي تواصل تنظيف البطاطس:

- لا يمكن أن نحرق "آني". لقد اتصلوا من مكتب المدعي العام. قالوا إننا لا

نستطيع حرقها.

هتف وهو يحرك يديه:

- لكن لمَ لا؟

- في حال احتاجوا إلى إخراج الجثة مجددًا عندما يجدون الفاعل.

الفصل السابع



أمسك "باردي سنوراسون" بمقبض الثلاجة المعدني وأخرج "آني"، خرج الدرج بسلسلة دون صوت، لم تثر جثة الفتاة في عقله أفكارًا حول حياته أو موته أو موت بناته، لم يعد يحدث هذا، إنه يأكل بشهية مفتوحة وينام بعمق في الليل، إنه يحترم بشدة حالات الوفاة والمآسي التي يتعامل معها، وتفهم بالفعل أن شخصًا ما سيفعل المثل بجسده حين يأتي وقته، لم يتغير رأيه طوال ثلاثين عامًا في عمله كطبيب شرعي.

استغرق ساعتين في الفحص، تكونت التفاصيل في عقله تدريجيًا، الرئتان مبقتان كبيض العصافير، ويخرج منهما رغوة صفراء حمرة عند الضغط على شقوق التشريح، هناك نزيف في المخ والحلق وعضلة الصدر، مما يدل على أنها شهقت بعنف طلبًا للهواء، قرأ ملحوظاته بصوت عالٍ ليسجلها، مجرد عبارات مختصرة مقتضبة، ملاحظات لا يفهمها إلا قائلها بالكاد، وأحيانًا لا يمكن فهمها على الإطلاق، لاحقًا سيقوم مساعده بإعادة صياغة كلامه إلى مصطلحات طبية دقيقة في التقرير المكتوب.

بعدما انتهى من كل شيء، أعاد قمة الجمجمة إلى مكانها، وغطاها بالجلد، وملأ الفراغ الصدري بأوراق جرائد مجمدة. أخيرًا انتهى من تخييط الجثة

ليغلقها، كان جائعًا جدًّا وبحاجةٍ إلى بعض الطعام قبل أن يبدأ في الجثة التالية، لديه أربع شطائر سلامي و"ترموس" قهوة في انتظاره في الكافيتريا. لمح شخصًا عبر الزجاج الشفاف في الباب، توقف الشخص ساكنًا للحظات، وكأنه يريد أن يستدير، خلع "سنوراسون" قفازه وابتسم. قليلون من هم بهذا الطول. اضطر "سير" إلى أن ينحني قليلًا وهو يدخل، نظر بلامبالاة نحو الدرج الجرار حيث ترقد جثة "آني" ملفوفة بمشمع. ارتدى واقي الحذاء البلاستيكي الإجباري، كان واسعًا وملونًا وشكله مضحك.

قال "سنوراسون":

- لقد انتهيت للتو، إنها هناك.

عندها نظر "سير" باهتمام إلى الجسد الراقد على الجرار.

- أنا محظوظٌ إذًا.

- هذا مشكوك فيه.

بدأ الطبيب يغسل يديه وذراعيه من المرفق ونحو الأسفل، فرك جلده وأظافره بفرشاة خشنة لدقائق عديدة، ثم غمرهما بالماء لوقتٍ مماثل، بعدها جففهما بمناشف ورقية معلقة على حامل على الجدار، بعد ذلك سحب كرسيًا وناولته إلى رئيس المحققين.

- لم يكن هناك الكثير لأكتشفه.

- لا تحطم آمالي مباشرةً، بالتأكيد هناك معلومة مفيدة؟

أزاح "سنوراسون" آلام الجوع جانبًا وجلس.

- ليس عملي تقييم المعلومات، لكننا عادةً نجد شيئًا ما، أما هي فتبدو وكأنها لم تمس.

- نحن نفترض إنه شخص قوي وسليم، وكان لديه عنصر المفاجأة، وخلع ثيابها لاحقًا.

- مجرد افتراض، لكنها لم تتعرض للاعتداء، إنها ليست عذراء، لكنها لم تتعرض للاعتداء الجنسي أو لسوء المعاملة بأي حال. لقد غرقت بكل بساطة ووضوح، تم خلع ثيابها بروية ورفق بعد وفاتها، كل الأضرار ثابتة في قميصها، ولا يبدو أنها تعرضت للشد بعنف، ربما أراد أن يفعل لها شيئاً لكن حدث ما أخافه، أو ربما شعر بالجبن أو حدث خلل في هرموناته، قد يكون أي شيء.

- أو ربما أرادنا فقط أن نعتقد أنه مغتصب.

- ولم قد يفعل هذا؟

- ليخفي دافعه الحقيقي، مما يعني أنه قد يكون هناك خيط يمكن اتباعه خلف كل هذا، وأن الجريمة لم تكن وليدة اللحظة ارتكبها شخص مختل، بالإضافة إلى أنها بالتأكيد ذهبت معه برضاها، لا بد أنها كانت تعرفه أو أنه ترك لديها انطباعاً جيداً عن نفسه. وحسب فهمي، لم يكن من السهل على "آني هولاند" أن تتقبل الناس.

فتح زرَّ سترته ومال إلى الطاولة.

- هيا، أخبرني بما وجدت.

قال "سنوراسون" بصوتٍ وقورٍ مثل القسّ:

- فتاة في الخامسة عشرة، الطول 174 سنتيمترًا، الوزن 65 كيلوجرامًا، لديها الحد الأدنى من الدهون، لأن معظم الدهون تتحول إلى عضلات بسبب التمرينات الشاقة، ربما كانت شاقة جدًا بالنسبة لفتاة في الخامسة عشرة، عليهم أن يأخذوا الأمور بروية في هذا السن، لكن من الصعب التوقف غالبًا بمجرد أن يبدأوا في شيء. إذًا، لديها عضلات كثيرة، بنسبة تزيد على الكثير من الأولاد في سنّها، رثتها كانت تعمل بشكل ممتاز، مما يعني أنها استغرقت وقتًا طويلاً حتى تفقد الوعي. نظر "سيير" إلى المشمع ولاحظ أن النقش المرسوم عليه يشبه ستارة حمامه.

سأله:

- كم المدة المعتادة؟ أعني كم المدة التي يستغرقها الإنسان البالغ حتى يغرق؟
- من دقيقتين إلى عشر دقائق، حسب حالته الجسدية، كلما كانت صحته أقوى، اقتربت المدة من العشر دقائق.
- فكر "سير". عشر دقائق ضرب ستين يساوي ستمائة ثانية، فكر في كل ما يمكنه عمله في عشر دقائق، يستحم، يأكل وجبة.
- رثتها متضخمة، لو أنها تصرفت مثل معظم الناس، فلا بدَّ أنها أخذت نفسين عميقين وهي تنزل تحت الماء، يُسمى ردَّ الفعل هذا "تنفس المفاجأة"، ثم ضمت شففتيها بقوة حتى فقدت الوعي، وبعدها اندفعت كمية من الماء إلى رثتيها، وجدت في نخاع المخ والعظم آثار طحلِبٍ نهري من طحالب السيليك، ليس بكمية كبيرة، فالبحيرة لم تكن ملوثة بشدة، سبب الوفاة هو الغرق.
- ليس لديها ندوب من أي عملية، ولا تشوهات أو علامات سوء تغذية، لا وشوم أو عيوب في الجلد، هذا هو لون شعرها الطبيعي بدون صبغة، أظفارها مقصوصة وليست مطلية، ولا يوجد تحتها أي جزيئات إلا بعض الطين، أسنانها مضبوطة، لا يوجد إلا حشوة سيراميك في ضرس سفلي.
- لا يحمل دمها آثار الكحول أو أي مخدرات، لا توجد علامات للحقن، تناولت وجبة سليمة ذلك اليوم، خبز ولبن، لا يوجد أي خلل في مخها، لم تحمل من قبل. و..
- تنهد فجأة ونظر إلى "سير" وهو يضيف:
- ولم تكن لتحمل أبدًا.
- ماذا؟ ولم لا؟
- لديها ورم كبير في مبيضها الأيسر وقد بدأ ينتشر نحو كبدها، إنه ورم خبيث.
- جلس "سير" ونظر إليه وقال:
- هل تقول إنها كانت مريضة بشدة؟
- نعم. ألم تكن تعلم حقًا؟

هز رأسه وقال:

- بالتأكيد لم يكن والداها يعلمان، وإلا لقالوا شيئاً، أليس كذلك؟ هل من الممكن أنها لم تكن تعلم أيضاً؟

- عليك أن تعرف إن كانت تتابع مع طبيب، وإن كان الأمر معروفاً أم لا، لكن بالتأكيد كانت تشعر بالألم في بطنها، على الأقل أثناء الدورة الشهرية، لقد كانت تتمرن كثيراً، لذلك من الممكن أن تكون نسبة الأندورفين في دمها عالية، مما ساعد على تسكين الألم، لكن بصراحة كانت حالتها ميؤوساً منها، أشك في أنه كان من الممكن إنقاذها، إن سرطان الكبد شرس.

أوماً نحو رأس "آني" وقدميها البادية تحت المشمع وقال:

- كانت ستموت خلال أشهر بأي حال.

شنت الخبر تركيز "سير"، واستغرق دقيقة ليستجمع أفكاره.

- هل أخبر والديها؟

- قرر هذا بنفسك، لكنهما سيرغبان في معرفة ما اكتشفته.

- سيشعران أنهما فقداهما مجدداً.

- نعم، صحيح.

- سيلومان نفسيهما لعدم المعرفة.

- غالباً.

- ماذا عن ملابسها؟

- غارقة بماءٍ موحل، ما عدا معطف المطر الذي أرسلته إليك، لكن كان معها

حزام بحلية نحاسية.

- وماذا في الأمر؟

- إنها حلية كبيرة على شكل نصف قمر له عينان وفم، وجد المعمل بصمات

أصابع، نوعان من البصمات، إحداهما لـ "آني".

- ضاقت عينا "سير" وسأل:
- والأخرى؟
- للأسف، البصمة ليست كاملة، ليست خيطاً يمكن اتباعه.
- قال "سير":
- اللعنة.
- صاحب البصمة له صلة بالجريمة بالتأكيد، لكن يمكن أن تفيدنا في استبعاد بعض الناس من الاشتباه. هذا ممكن، أليس كذلك؟
- ماذا عن العلامة على رقبتها؟ هل يمكن أن تحدد إذا كان الفاعل أيمن؟
- لا. لكن بما أن "آني" كانت قوية، فمستحيل أن يكون شخصاً ضعيفاً، لا بد أنه قد وقع صراع، من الغريب أنه لا توجد عليها أي آثار.
- وقف "سير" وقال:
- بل أصبحت مليئة بآثار التشريح.
- لا، فلتنظر بنفسك، عملي فنُّ وأنا لا أتهاون فيه.
- متى يمكنني أن أحصل على التقرير مكتوباً؟
- سأبلغك حين يجهز، يمكنك أن ترسل ذلك الضابط الشاب ذا الشعر المجعد. ماذا عنك؟ هل وجدت خيطاً؟
- لا، على الإطلاق، لم أجد سبباً يدفع أي شخص لقتل "آني هولاند".

ربما اختارت "آني" عنوان أغنية تحبها لتجعلها الرمز السري، ربما نغمة الفلوت التي أحببتها كثيراً، أغنية "آني".

جلس "هالفور" بسكون أمام شاشة الكمبيوتر، ترك باب غرفة المعيشة مفتوحاً فلربما نادته جدته، أصبح صوتها ضعيفاً، وتحتاج إلى جهد كبير لتنهض من كرسيها حين يشتد الروماتيزم. اتكأ بذقنه على يديه ونظر إلى الشاشة.

"دخول مرفوض. مطلوب الرمز السري".
كان جائعًا، لكن هذا ليس من أولوياته الآن، مثل الكثير من الأشياء الأخرى.

جلس "سيير" في المركز الرئيسي يقرأ رزمة من الأوراق المليئة بالكلام، والمشبوكة بدبوس من أحد الأركان. الحروف الأولى "د. ر. ب." تشير إلى "دار رعاية بيركلي"، وهي مطبوعة على كل الصفحات. إن طفولة "هالفور" مأساوية حقًا، قضت والدته أيامها في السرير بسبب جسدها المريض الضعيف، كما أن أعصابها كانت محطمة وتتناول كمية كبيرة من المهدئات، لم تتحمل الضوء الساطع أو الأصوات العالية، لم يكن مسموحًا للأطفال بالصراخ أو الهتاف، لقد عانى "هالفور" كثيرًا بالتأكيد، من الدهش أن لديه وظيفة ثابتة وأنه يقوم برعاية جدته.

جرب "هالفور" عناوين أغاني عديدة، لكن ظلت جملة "دخول مرفوض" تظهر أمامه، مثل ذبابة تظن أنك قتلتها لكنها تظل تطن بجانبك، جرب كل الأرقام التي أمكنه التفكير فيها، كل تواريخ الميلاد، حتى الرقم التسلسلي لدراجتها، والذي وجده على المفتاح الاحتياطي الذي كان يحتفظ لها به في برطمان، كان لديها دراجة نارية من نوع "Intruder"، وقد أصر أن تترك نسخة من المفتاح لديه، ذكر نفسه بأن يعطيه إلى "إيدي"، جرب أن يكتب نوع الدراجة "Intruder" على الشاشة.

إدمان والده الكحول وأعصاب والدته المضطربة أثرا على الأسرة من البداية، كان "هالفور" وأخوه يبحثان في البداية عن أي طعام ليأكلان، في حين لم يكن هناك أي شيء، كان والدهما في المدينة على الدوام، يشتري براتبه كحولًا حتى

الثمالة، ثم تأتي الأولويات الأخرى الخاصة بأساسيات المعيشة. ساعدهما بعض الجيران دون علم والدهما، بمرور السنين، أصبح عنيقاً أكثر وأكثر، كان الولدان يختبآن في غرفتيهما ويغلقان الباب، فازدادا نحولاً وصمتاً.

على الأرجح لم تستخدم "آني" رمزاً سرياً مكوناً من أرقام، تلك الفتاة كانت ستأتي بشيء مبتكر، تركيبة من الكلمات غالباً، كلمتان أو ثلاثة لهما معنى رمزي، أو اسم، لكنه جرب الكثير، حتى اسم والدتها، على الرغم من ثقته بأنها لن تستخدمه أبداً، كما جرب اسم والد "سولفي"، "أكسيل بيورك"، وكلبه "أخيليس"، لكن النتيجة واحدة، "دخول مرفوض".

لديه أصابع نحيلة وطويلة، لا تناسب أبداً العراك مع سكير مضطرب على وشك الجنون، لا بد أن الشجار مع والده كان صعباً. ذهب الولدان باستمرار إلى قسم الطوارئ بالمستشفى، بسبب الإصابة بجروح وكدمات وبعينين حزينتين تقولان: "سأكون مطيعاً، لا تضربني". قالوا إنهما كانا يتشاجران مع أولاد في الشارع، أو وقعا من على السلم، أو سقطا عن الدراجة، كانا يحميان والدهما، كان بيتهما مكاناً قاسياً، لكنه مكان معروف على الأقل، البديل كان الملجأ أو التبني واحتمالية أن ينفصلا عن بعضهما، فقد "هالفور" وعيه باستمرار في المدرسة بسبب نقص التغذية وقلة النوم، كان الأكبر سناً، لذلك كان يترك لأخيه معظم الطعام.

فكر "هالفور" في الكتب التي قرأتها وتحدثت عنها، العناوين، وأسماء الشخصيات، والاقتباسات. لديه متسع من الوقت، شعر بأنه قريب من "آني" وهو يعمل، العثور على الرمز السري سيكون مثل إيجاد طريقه إليها، تخيل

أنها تتابع بحثه، وأنها ستعطيه إشارة إن صبر وواصل، ستأتيه رسالة منها على شكل ذكرى في عقله، مثل شيء قالتة وسيكشف عن نفسه إن بحث في ذاكرته أكثر. أخذ يتذكر الكثير من الأشياء، شعر وكأنه يزيل طبقة تلو الأخرى من شبك العنكبوت، وتحت كل طبقة ذكرى جديدة تنجلي، رحلة تخييم، جولة بالدراجة، أمسية في السينما، كل الأشياء التي فعلها. ضحكة "آني"، إنها عميقة وتكاد تشبه ضحكة الرجال، قبضتها القوية حين تضربه على ظهره وتقول: استسلم يا "هالفور"! بطريقتها المميزة، كانت تحب وتعاتب في الوقت نفسه، أي لفظة رومانسية أخرى كانت نادرة.

كلما جاءت لجنة من رعاية الطفل، ابتلع والده دواء إدمان الكحول، واستحم وحمل أخاه الأصغر في حجره. كان قويًا جدًا، ويمكنه أن يخيف أعضاء اللجنة بتعبير وجهه فقط فيتراجعون فورًا، أما والدتهما فكانت تبتسم بضعف في السرير، "توركيل" المسكينة كان لديها مسؤوليات كثيرة وهي مريضة، كانت تقول: "بالتأكيد سيتفهمون الوضع، الأطفال في سنٍ صعب". في كل مرة، كان موظفو الرعاية يغادرون بدون إثبات الوضع، كل شخص يستحق فرصة ثانية، قضى "هالفور" معظم وقته مع أمه وأخيه الصغير، لم يقم بواجبه المدرسي قط، لكنه كان يحصل على درجاتٍ عالية، لذلك كان دائمًا بارزًا. فقد والده رشده تدريجيًا، ذات يوم اقتحم غرفة الولدين حيث ينامان، في تلك الليلة كان الأخ الأصغر ينام في سرير "هالفور" كالعادة، أمسك والدهما سكينًا، رآها "هالفور" تلمع في يده، سمعا والدتهما تنن بذعرٍ بالأسفل، فجأة شعر بألمٍ حاد من نصل السكين وهو يجرح صدغه، تحرك بسرعة وشعر بالنصل يقطع لحمه، ويمزق خذه إلى نصفين، ثم يتجه نحو فمه وينحشر بين ضروسه.

عاد والده إلى الواقع فجأة، رأى الدم على الوسادة، والأخ الأصغر يصرخ.
أسرع إلى الأسفل وخرج إلى الحديقة، ثم اختبأ في كشك الأدوات وأغلق الباب
بعنفٍ من خلفه.

حكَّ "هالفور" جانب فمه، وفجأة تذكر حماس "آني" لكتاب "عالم
صوفي"، وبما أن اسمها هو "آني صوفي"، كتب العنوان، ظن أنه اختيارٌ ذكي،
لكن يبدو أنها لم تشاركه الرأي لأن الرمز غير صحيح. واصل المحاولة، قرقرت
بطنه من الجوع، وشعر بنبضٍ في صدغه ينبئ عن بداية صداع.

أغلق "سير" و"سكاري" المكتب وسارا في الممر، تحسن الطفلان في دار
رعاية "بيرلكي"، تعلق "هالفور" بقسّ كاثوليكي كان يزور الدار من آنٍ إلى
آخر، كان هذا عندما تخرج من الصف التاسع، تبنت أسرة أخاه، فأصبح وحيداً
تماماً، بعد وقتٍ اختار العيش مع جدّته، لقد اعتاد الاعتناء بشخصٍ ما، وحين لا
يفعل ذلك يشعر بأنه بلا فائدة.

قال "سكاري" وهو يهز رأسه:

- من الغريب أنهما كبرا بشكلٍ طبيعي على الرغم من الظروف.

قال "سير" بصراحة:

- وربما لا نعرف بعد كيف أصبح "هالفور" في الحقيقة، سوف نرى.

أوماً "سكاري" بحرج وهو يعبث بمفاتيح سيارته.

اشتد صداع "هالفور"، حلّ الليل أخيراً، لقد جلست جدّته بمفردها لمدة طويلة.
احمرت عيناه من النظر إلى الشاشة المتوهجة، واصل العمل أطول قليلاً، رغم جهله
التام بمدى فرصته في معرفة الرمز السري لـ "لآني"، أو حتى محتويات الملف.

ربما لديها سرٌّ، عليه أن يجده، ولديه الكثير من الوقت. في النهاية نهض على مضض وترك الشاشة مضاءة، وذهب إلى المطبخ. كانت جدّته تشاهد برنامجًا عن الحرب الأهلية الأمريكية، كانت تشجع أصحاب الزي الأزرق لأنها رأت أنهم أكثر وسامة، أما أصحاب الزي الرمادي فشعرت أن لهجتهم سوقية.

قاد "سكاري" ببطء وروية، لقد أدرك أن رئيسه يكره السرعة، كما أن الطريق كان سيئًا جدًّا، مغطى بالجليد، وضيق، ومليء بالتعرجات. ما زال الجو باردًا، وكأن شخصًا ما قد حبس الصيف في مكانٍ ما ليلهيهِ عن القدوم، اجتمعت الطيور تحت الشجر نادمة على عودتها إلى موطنها مبكرًا، توقف الناس عن زرع البذور، الأرض عارية تمامًا، وجافة، وتغطيها طبقة متيبسة جامدة لدرجة أنه لا يظهر عليها أي آثار.

وضع "هالفور" رقائق الذرة في وعاء ونثر عليها الكثير من السكر، أخذ الوعاء إلى غرفة الطعام، وفرد مفرشًا صغيرًا حتى لا ينسكب شيئًا على الطاولة، اهتزت الملعقة في يده، كان مستوى السكر في دمه منخفضًا بشدة، وهناك طنين في أذنيه.

قالت جدّته فجأة:

- بدأ رجل أسود العمل في سوبر ماركت "كو-أوب". هل رأيته؟
- لقد تغير اسمه إلى "كيوي" الآن، انتهى اسم "كو-أوب"، نعم رأيته، اسمه "فيليب".

- إنه يتحدث بلهجة "بيرجن"، لا أحب أن يتحدث بلهجة "بيرجن" بينما بشرته سوداء.

قال "هالفور" وهو يشرب الحليب والسكر بالملعقة:

- لكنه من "بيرجن" بالفعل، لقد ولد وتربى هناك، أما والداه فمن تنزانيا.

- من الأفضل أن يتحدث بلغته الأصلية.
 - لكنها لغته الأصلية، بالإضافة إلى أنك لن تفهمي شيئاً إن تحدث السواحيلي.
 - لكنني أخاف كلما سمعته.
 - ستعتادينه.
- هكذا يتحدثان مع بعض عادةً، غالباً يتفقان، تحدثه جدّته عن مخاوفها، فيلتقط "هالفور" تلك المخاوف بسهولة ويعيد تشكيلها ويخلصها منها بذكاء.

اقتربت السيارة من البيت، بدا منفراً عن بعد، لو نظرت إليه من أعلى لاحظت كم هو معزول، وكأنه يريد الاختباء عن باقي الحي. إنه بعيد عن الطريق، وتخفيه الأشجار والشجيرات جزئياً، فيه نوافذ صغيرة عالية، السقف مغطى بألواح رمادية عازلة، الحشائش طويلة إلى حد ما.

رأى "هالفور" ضوءاً خافتاً عبر نافذة غرفة الطعام، سمع صوت السيارة، فتناثر بعض الحليب على ذقنه، لمعت مصابيح السيارة في الغرفة خافتة الإضاءة، بعد لحظات وقف الضابطان على الباب ينظران إليه.

قال "سيير":

- نحتاج إلى التحدث معك. عليك أن تأتي معنا، لكن يمكنك أن تنهي طعامك أولاً.

فقد شهيته تماماً، ولم يظن أنه سينجو منهما بسهولة، ذهب إلى المطبخ بهدوء وغسل الوعاء، ثم ذهب إلى غرفته وأطفأ الشاشة وتمتم بشيء إلى جدّته ثم تبعهما إلى الخارج، اضطر إلى أن يجلس بمفرده في المقعد الخلفي، ولم يحب ذلك، فقد أشعره أنه مقبوض عليه.

قال "سيير":

- أحاول تجميع أكبر قدر من المعلومات عن "آني"، مَنْ كانت وكيف عاشت، أريدك أن تخبرني كل شيء عنها، ماذا فعلت وقالت طوال مدة علاقتكما. كل الأفكار والتخمينات التي جاءت ببالك عن سبب انعزالها عن كل الناس، وعما حدث هناك عند البحيرة، كل شيء يا "هالفور".

- لا أعرف.

- لا بدَّ أن لديك بعض الأفكار.

- لقد فكرت في أشياء كثيرة، لكن لا شيء يبدو منطقيًا.

ساد الصمت. تأمل "هالفور" القاعدة الورقية للكتابة على مكتب "سير"، والذي على شكل خريطة العالم، وحدد بالتقريب أين يعيش.

قال "سير":

- كنت جزءًا مهمًا من حياة "آني"، أريد أن أرسم خريطة لعلاقتها بالآخرين، وأحاول معرفة الجزء الذي مثلته في حياتك.

قال "هالفور" بجفاء:

- هل هذا ما تفعله؟ ترسم خريطة؟

- هل لديك فكرة أفضل؟

- لا.

قال "سير" باقتضاب:

- والدك متوفى.

نظر "سير" إلى وجه الفتى بتمعن. شعر "هالفور" بوجود "سير" الموتر في الغرفة، إنه يستنزف قوته، خاصةً عندما تلتقي نظراتهما، لذلك جلس وهو ينظر إلى الأسفل.

- لقد انتحر. لكنك قلت إن والديك منفصلان، فهل من الصعب عليك التحدث عن الأمر؟
- أظن هذا.
- ألهذا أخفيت الحقيقة عني؟
- هذا ليس شيئاً أفخر به.
- أتفهم ذلك. هل يمكن أن تخبرني ماذا أردت من "آني"؟ بما أنك كنت تنتظرها عند محل "هورجين" يوم مقتلها؟
- بدت دهشته حقيقية.
- عذراً، لكنك مخطئ تماماً!
- قال شاهد إنه رأى دراجة نارية في الجوار في توقيتٍ مهم بينما كنت أنت على دراجتك في الخارج. قد تكون أنت.
- من الأفضل أن تتحقق من نظر ذلك الرجل بسرعة.
- هل هذا كل ما لديك؟
- نعم.
- سأتحقق منه إذاً. هل تريد شيئاً تشربه؟
- لا.
- المزيد من الصمت. أرهف "هالفور" سمعه، شخصٌ ما يضحك بالجوار، بدا كل شيء غير حقيقي. "آني" ماتت، ومع ذلك يتصرف الناس بصخبٍ وتلقائية، وكأن شيئاً لم يحدث.
- هل شعرت أن "آني" لم تكن على ما يرام؟
- ماذا؟
- هل سمعتها تشكو من ألمٍ ما مثلاً؟

- لا أحد كان يتمتع بصحة سليمة مثل "آني"، هل تقول إنها كانت مريضة؟
- للأسف لا يحق لي الكشف عن معلومات معينة لك، حتى لو كنتما مقربين، ألم تذكر شيئاً من هذا القبيل لك؟
- لا.
- لم يتحدث "سير" بلطف، بل تعمد أن يتحدث ببطء وبوضوح شديد، وأوحى شعره الأشيب بالسلطة.
- أخبرني عن عملك، ماذا تفعل في المصنع؟
- تتغير الوظائف باستمرار، أسبوع نقوم بالتغليف، وآخر نعتني بالماكينات، وثالث نقوم بالتوصيل.
- هل تحب عملك؟
- لا يحتاج إلى تفكير.
- ماذا تعني؟
- أعني أنه يمكن تأدية العمل بتلقائية بينما تفكر في أمور أخرى.
- مثل ماذا؟
- أي شيء.
- تحدث بلهجة دفاعية، ربما لم يشعر بذلك، وربما هي عادة منذ طفولته بسبب سنوات التوبيخ والضرب التي أجبرته على وزن كل كلمة.
- كيف تقضي وقتك هذه الأيام؟ أعني الوقت الذي كنت تقضيه عادةً مع "آني"؟
- اندفع قائلاً:
- أحاول أن أفهم ماذا حدث.
- هل لديك أي خيوط يمكننا اتباعها؟
- أبحث في ذاكرتي.

- لست واثقًا من أنك تخبرني بكل ما تعرف.
- لم أفعل شيئًا لـ "آني"، أنت تشكُّ فيّ، أليس كذلك؟
- بصراحة، لا أعرف. سوف تساعدني يا "هالفور"، يبدو أن "آني" قد مرت بتغيير في شخصيتها، ألا توافقني؟
- بلى.
- السبب مفهوم إلى حدٍ ما، الكثير من العوامل قد تكون مسؤولة عن هذا التغيير، فمثلًا قد يتغير الناس تمامًا عند فقد شخصٍ عزيزٍ عليهم، أو إذا مروا بتجربة صعبة، أو عانوا من مرض خطير. الشباب المعروفين بالاحترام والجد والاجتهاد قد يصبحون غير مباشرين بالمرّة إذا مروا بصدمة جسدية، حتى لو تعافوا منها، شيء آخر قد يسبب تغييرًا في الشخصية، وهو جرعة زائدة من المخدرات أو اعتداءٍ وحشي، مثل الاغتصاب.
- هل تعرضت "آني" للاغتصاب؟
- لم يجب "سيير" عن سؤاله.
- هل يبدو هذا مألوفًا لك؟
- أخيرًا قال:
- أظن أنها كانت تخفي سرًا.
- سرٌّ؟ أكمل.
- حدث شيءٌ أفسد حياتها ولم تستطع تجاهله.
- هل ستخبرني ما هو، أم أنك لا تعرف؟
- لا فكرة لديّ مطلقًا.
- من يعرف "آني" جيدًا بخلافك؟
- والدها.

- لكنهما لم يتحدثا كثيرًا مؤخرًا؟
- يمكنك أن تعرف شخصًا جيدًا دون كلام.
- فهمت. إذا يمكن لـ "إيدي" أن يعرف سبب صمتها؟
- السؤال هو هل ستقنعه بالكلام أم لا، من الأفضل أن تحضره إلى هنا بمفرده دون "أدا"، عندها سيتحدث.
أوماً "سيير" وقال:
- هل قابلت "أكسيل بيورك"؟
- والد "سولفي"؟ نعم. ذهبت مع الفتاتين لزيارته مرة.
- وما رأيك فيه؟
- لا بأس به، قال إنه يمكننا العودة مجددًا، بدا تعيسًا ونحن نغادر، لكن جن جنون "أدا" حين اكتشفت الأمر، اضطرت "سولفي" إلى أن تذهب إلى هناك سرًا، وبعد مدة لم ترغب في الذهاب مجددًا، أظن أن "أدا" حققت ما تريد.
- أي نوع من الفتيات هي "سولفي"؟
- لا يوجد ما يقال عنها، لا بد أنك عرفت بها بسرعة، فمعرفتها لا تحتاج إلى وقت.
أخفى "سيير" وجهه بين يديه وقال:
- لم لا نشرب بعض الصودا؟ الهواء جاف هنا، لا يوجد إلا مواد صناعية وزجاج عازل وبؤس.
أوماً "هالفور" واسترخى قليلًا، ثم توتر مجددًا، ربما لمحات اللطف من هذا المفتش الأشيب مجرد استراتيجيّة، على الأرجح لديه سبب للتصرف بود، لا بد أنه تدرب ودرس أساليب الاستجواب وعلم النفس، تعلم كيف يجد ثغرة في عقل الشخص ثم يغوص بداخله. انغلق الباب خلف "سيير"،

فاستغل "هالفور" الفرصة ليفرد ساقيه ونظر إلى النافذة، ثم لمح جهاز كمبيوتر على المكتب، من نوع "كومباك" الأمريكي، ربما استخدموه لمعرفة بياناته، ربما لديهم رمز سري مثل "آني"، فالمعلومات مسألة خطيرة. تساءل ما الرمز الذي يمكن أن يستخدموه، ومن فكر فيه.

عاد "سيير" ورأى "هالفور" ينظر نحو الكمبيوتر. قال:
- هذا الشيء مجرد لعبة، أنا لا أحبه كثيرًا.

- لم لا؟

- إنه لا يقف في صفّي أبدًا.

- بالطبع لا، لا يمكنه المجاملة، لهذا يمكنك الاعتماد عليه.

- لديك واحد أليس كذلك؟

- لا، لديّ جهاز من نوع "ماك"، ألعب عليه. أنا و"آني" كنا نلعب عليه معًا.
فجأة انفتح قليلاً وابتسم ابتسامة خفيفة وقال:

- لعبتها المفضلة كانت "التزلج"، تختار نوع الثلج، خشناً أو ناعماً، جافاً أو رطباً، كما تختار درجة الحرارة ووزن الزلاجات والطقس وكل شيء. لطالما ربحت "آني"، كانت تختار أصعب مسار، قمة "ديكويين" أو "ستونيز"، وتختار التوقيت منتصف الليل وسط عاصفة عاتية على ثلجٍ رطبٍ مع زلاجات طويلة. لم يكن لديّ فرصة للربح أمامها أبدًا.

نظر إليه "سيير" بحيرة وهز رأسه، سكب بعض الصودا في كوبين من البلاستيك وجلس مجدداً.

- هل تعرف "نوت جينسفل"؟

- المدرب؟ أعرف من هو، كنت أذهب إلى مباريات كرة اليد مع "آني" أحياناً.

- هل تحبه؟

هز "هالفور" كتفيه.
- أليس رجلاً محترماً؟
- أظنه يلاحق الفتيات أكثر من اللازم.
- و"آني" أيضاً؟
- لا تمزح في هذا!
- نادراً ما أفعل، كنت أسأل وحسب.
- لم يكن يجرؤ، فهي لم تسمح لأي شخص بالتقرب منها.
- كانت قوية؟
- نعم.
- لكن هناك ما لا أفهمه يا "هالفور".
أزاح كوبه جانباً ومال إلى الأمام وواصل:
- كل الناس تتكلم بشكل حسن عن "آني"، عن مدى قوتها واستقلاليتها وممارستها للرياضة، لم تهتم بمظهرها كثيراً، منطوية، لم تسمح لأحد بالاقتراب منها، على حد قولك. ومع ذلك ذهبت مع شخص ما إلى البحيرة في الغابة، بكامل إرادتها على ما يبدو، ثم..
أخفض صوته وهو يضيف:
- ثم جعلت نفسها عرضة للقتل ببساطة.
نظر إليه "هالفور" بفرع، وكأنه أدرك غرابة الموقف فجأة فامتلاً رعباً.
- لا بد أن شخصاً ما كان له تأثير عليها.
- هل كان هناك أي شخص يمكنه التأثير على "آني"؟
- ليس على حد علمي، حتى أنا لم أملك هذه القوة.
شرب "سيير" الصودا وقال:

- من المؤسف أنها لم تترك شيئاً خلفها، مذكرات مثلاً.
أحنى "هالفور" رأسه على الكوب ثم أخذ رشفة كبيرة.
قال "سير":

- لكن هل يمكن أن يكون هذا صحيحاً؟ هل من الممكن أن شخصاً ما كان يتحكم بها ولا يمكنها أن تعصاه؟ هل تورطت "آني" في شيء خطير واضطرت إلى أن تبقى سرّاً؟ هل كان هناك من يبتزها؟
- كانت "آني" ملتزمة تماماً بالقانون، لا أظنها فعلت شيئاً خاطئاً.
- يمكن أن يفعل الإنسان الكثير من الأخطاء دون أن يخالف القانون، تصرف واحد لا يصف طبيعة الشخص.
ركز "هالفور" مع كلماته بشدة.

- هل توجد مخدرات في قريتك الصغيرة؟
- يا إلهي! بالطبع، منذ سنوات، على الرغم من أنكم تأتون على فترات منتظمة، وتترددون على البار وسط المدينة، لكن لا علاقة بين هذا وذاك، فـ"آني" لم تذهب إلى هناك أبداً، حتى إنها نادراً ما كانت تشتري شيئاً من المحل المجاور له.
قال "سير":

- "هالفور"، كانت "آني" فتاة هادئة ومتحفظة وتدير حياتها بإحكام.
لكن فكر جيداً، هل بدت خائفة من شيء ما؟
- ليست خائفة بالضبط، إنما.. منغلقة على نفسها، أحياناً غاضبة، وأحياناً مستسلمة، لكن ذات مرة رأيت "آني" وهي مرعوبة حقاً. لا علاقة لهذا بالموضوع لكنني أتذكر بوضوح.
أصبح فجأة راغباً في الكلام.

- كان والداها و"سولفي" في "ترونهايم" حيث تعيش خالتها، أنا و"آني" كنا وحدنا في البيت، وكنت سأبيت معها. حدث هذا في الربيع الماضي، أولاً أخذنا جولة بالدراجات، ثم سهرنا نستمع إلى الموسيقى، كان الجو دافئاً، فقررنا المبيت في خيمة في الحديقة، جهزنا كل شيء ثم دخلنا لنغسل أسناننا، عدت إلى الخيمة أولاً، عندما عادت "آني" انحنيت أنا لأفتح كيس النوم، وجدت بداخله ثعبان، ثعباناً أسود كبيراً ملفوفاً بداخل كيس النوم. خرجنا من الخيمة بسرعة، وأسرعت لأحضر أحد الجيران من المنزل المقابل، قال إنه بالتأكد زحف إلى كيس النوم طلباً للدفع. استطاع الجار أن يقتله، لكن "آني" ارتعبت بشدة لدرجة أنها تقيأت، ومن وقتها اضطررت إلى تنفيض كيس نومها في كل مرة نذهب إلى التخييم.

- ثعبان في كيس نومها؟

ارتجف "سير" من الفكرة، وتذكر رحلات التخييم في شبابه البعيد.

- إن منطقة "فاجرلاند" تعباً بالشعابين. إنها منحدر صخري. ننشر الزبد خارج الخيمة ونمسك الكثير منهم.

- زبد؟ ولم الزبد تحديداً؟

- لأن الشعابين تأكله بشراهة حتى التخمة، عندها كل ما عليك فعله هو التقاطها.

- سمعت أيضاً أن لديكم ثعبان بحر في قاع الخليج.

- هذا صحيح. لقد رأيته بنفسه، لكنه نادراً ما يظهر، فقط عندما تكون الرياح في اتجاهٍ محدد. يظل ساكناً في البحيرة، تحت السطح مباشرةً، وحين تتغير الرياح من المد إلى الجزر، يمكنك أن تسمع زئيراً عالياً ثلاث مرات أو أربع، ثم يسود السكون مجدداً، الأمر غريبٌ حقاً. يعرف الجميع الحقيقة، إن كنت وحدك هناك، ستشعر بالتأكيد أن شيئاً يصعد من الأعماق، في أول مرة جذفت بعيداً كالمجنون دون أن أستدير ولو مرة.

- لكن لا يمكنك تحديد أي شخص يعرف "آني" جيداً ويريد أذيتها؟
- لا أحد. لقد فكرت كثيراً في كل ما حدث، لكن لا أفهم شيئاً. لا بد أن الفاعل مجنون.

نعم، ربما كان مجنوناً، أوصل "سير" "هالفور" إلى البيت وأوقف السيارة
بمهارة أمام الباب بالضبط. قال بلطف:

- أظن أنه عليك الاستيقاظ مبكراً، لكن الوقت متأخر الآن للأسف.

- لا أواجه صعوبة في الاستيقاظ باكراً.

شعر "هالفور" بأنه معجبٌ بـ "سير" وغير معجب به في الوقت نفسه، هذا محيرٌ.
خرج من السيارة وفتح باب البيت بحذر متمنياً أن تكون جدته نائمة،
وليتأكد، فتح الباب قليلاً واختلس النظر منه، فسمعها تُشخّر، ثم جلس أمام
الشاشة مجدداً ليواصل ما كان يفعله، أخذ يفكر في أشياء جديدة، وفجأة تذكر
أنها كان لديها قطعة وجدتها في كومة من الثلج، كانت مفلطحة مثل البيتزا، كتب
اسم "باجيرا"، لكن لم يحدث شيء، لم يكن يتوقع أن تنجح على كل حال. فكر
في ما يفعله وكأنه مشروع طويل الأمد، كانت هناك طرق أخرى، وبدأ يفكر في
حلٍّ بسيط بالفعل، لكنه لم يفقد الأمل بعد، بالإضافة إلى أن هذا يعد غشاً، لو
استطاع أن يعرف الرمز السري من نفسه، سيقبل شعوره بالذنب لأنه أخلَّ
باتفاقه مع "آني". حكَّ مؤخرة عنقه ثم كتب "سري للغاية"، بعدها جرب "آني
هولاند" بطريقة صحيحة ومقلوبة، لأنه خطر بباله أنه لم يجرب الاحتمالية
الأبسط على الإطلاق، والتي من غير الممكن أن تستخدمها، أو ربما استخدمتها،
"دخول مرفوض". أبعد كرسيه عن المكتب قليلاً وتمطأ، ثم وضع يده على رقبته
مجدداً، شعر بألمٍ وكأن شيئاً يخزه، لم يكن هناك شيء، أغمض عينيه لكن
الشعور استمر، استدار فجأة ونظر عبر النافذة، فجأة وقف واستدار، شعر بأن
شخصاً يراقبه، فأحس بقشعريرة باردة، وأطفأ الأنوار. سمع صوت خطوات

أقدام تتراجع في الخارج، وكأن شخصاً يهرب، اختلس النظر بين الستائر لكنه لم ير شيئاً، كان واثقاً من أن شخصاً كان يراقبه، لقد شعر به، هذا مؤكد، حواسه أنبأته بذلك. أغلق الكمبيوتر وخلع ثيابه، ثم مدد جسده تحت الأغطية، استلقى في السرير بصمتٍ كالقار، وأرهدف السمع. حلّ صمتٌ مطبق، لم يسمع حتى حفيف الأشجار، بعد دقائق عديدة سمع محرك سيارة.



الفصل الثامن



لم يسمع "نوت جينسبول" صوت السيارة لأنه كان يعمل بالمتقارب، كان يحاول تثبيت رفّ لكي يترك عليه حذاءه الرياضي المبتل بعد التمرين لكي يجف. عندما توقف للحظات سمع جرس الباب، نظر عبر النافذة ورأى "سيير" أمام الباب، كان يشعر بأنهم قادمون، انتظر لحظة ليستجمع نفسه، فرد ثيابه ومشط شعره، لقد توقع أسئلة كثيرة بالفعل، شعر أنه مستعد.

فكرة واحدة سيطرت على عقله: هل اكتشفوا الاغتصاب؟ هذا بالتأكيد سبب قدومهم. فالمجرم سيظل مجرمًا، إنه يعرف هذا المبدأ جيدًا. رسم تعبيرًا مجهّدًا على وجهه، ثم أدرك أن ذلك قد يجعلهم يشكون به، فرسم ابتسامة، ثم تذكر أن "آني" ميتة، فعاد إلى التعبير المجهد.

- الشرطة. هل يمكننا الدخول؟

أومأ "جينسبول" وقال:

- عليّ فقط أن أغلق الباب، باب غرفة الغسيل.

لوح لهما بالدخول واختفى لوهلة ثم عاد بسرعة. نظر إلى "سكاري" بقلق، فلقد أخرج مفكرة من جيب سترته. كان "جينسبول" أكبر سنًا مما اعتقدا، ربما في الخمسين، وهو غليظ البنية، لكن وزنه موزع جيدًا، فجسده قوي

وعضلي، ويبدو عليه الصحة وحسن التغذية، والدماء تجري في وجهه، لديه
شعر أحمر كثيف، وشارب أنيق مشذب جيداً.

- أظن أنكما هنا لأمرٍ يتعلق بـ "آني"؟
أوماً "سيير".

- لم أشعر بصدمةٍ هكذا في حياتي، كنت أعرفها جيداً، ولديّ سبب مقنع
لقول هذا، لكن مضى وقت طويل منذ أن تركت الفريق، كانت مأساة، لأنه لم
يستطع أحد تعويضها قط، والآن لدينا حمقاء تتفادى الكرة كلما اتجهت
نحوها، لكنها على الأقل تملأ نصف المرمى.
توقف عن الثرثرة واحمر وجهه بحرج قليلاً.

قال "سيير" بسخرية أشد مما تعمد:

- نعم، إنها مأساة حقيقية، هل مضى وقتٌ طويل منذ أن رأيتهما؟
نظر إلى "سيير" ورد:

- كما قلت، لقد غادرت الفريق، في الخريف الماضي، في نوفمبر على ما أذكر.
- عذراً، لكن هذا غريب، لقد كانت تعيش على بعد أقل من كيلومتر من هنا،
أليس كذلك؟

- نعم، لا. أعني كنت أمر بجانبها بالسيارة من آنٍ إلى آخر، ظننتك تقصد
آخر مرة تعاملت معها مباشرةً على وجه الدقة، لكنني رأيتهما منذ ذلك الوقت
بالطبع، في وسط البلد، ربما في محل البقالة.

- دعني أسألك إذًا، متى رأيت "آني" آخر مرة؟
أخذ "جينسبول" يفكر ثم قال:

- لا أعرف إن كنت أتذكر، لا بدّ أنه قد مضى وقت طويل.
- لدينا الكثير من الوقت.

- أسبوعان أو ثلاثة، عند مكتب البريد على ما أظن.

- هل تحدثت معها؟
- قلت مرحباً فقط، لم تكن كثيرة الكلام مؤخراً.
- لماذا تركت "آني" الفريق؟
- هز كتفيه وقال:
- ليتني أعرف، لقد ضغطتُ عليها كثيراً لتغيّر رأيها، لكن بلا فائدة، لقد اكتفت تماماً، لا أصدق ذلك حقاً، لكن هذا ما قالته، قالت إنها تريد ممارسة الجري بدلاً من كرة اليد، وهذا ما فعلته ليلاً ونهاراً. مررت بها كثيراً على التلّ، تجري بأقصى سرعة بساقيها الطويلتين وبحذاء رياضيّ غالٍ، لم يدخر "هولاند" قرشاً عندما يتعلق الأمر بتلك الفتاة.
- ظل ينتظر أن يصدماه بذلك الموضوع اللعين، فلا يمكن تجنبه.
- هل تعيش هنا وحدك؟
- لقد انفصلت عن زوجتي منذ مدة، أخذت الأولاد وغادرت، لذلك أعيش وحدي الآن، وأحب حياتي هكذا، ليس لديّ وقت فراغ كافٍ بعدما أنتهي من عملي ومن التمرينات. أنا أدرب فريق الفتیان أيضاً، وألعب في فريق الكبار، أقضي نصف يومي في الاستحمام مرات كثيرة.
- قلت إنك لم تصدقها حين قالت إنها سئمت، ما السبب الرئيسي في رأيك إذا؟
- لا فكرة لديّ، لكن كان لديها حبيب، والتمرينات تأخذ وقتاً طويلاً. لم يكن رياضياً بالمناسبة، إنه نحيل بساقين هزيلتين، شاحب وضئيل مثل الفاصوليا البيضاء، كان يأتي إلى المباريات بين حين وآخر، يجلس كالحجر ولا ينطق بكلمة، فقط يشاهد الكرة ذهاباً وإياباً، وحين يغادران لم تكن تسمح له حتى بحمل حقيبتها، لم يكن مناسباً لها، فهي أقوى منه.
- لكن ظلاً مرتبطان حتى النهاية.
- حقاً؟ لكل شأنه الخاص.

أوماً "سير" واحتفظ بأفكاره لنفسه.

- عليّ أن أسألك هذا السؤال، أين كنت يوم الإثنين الماضي بين الحادية عشرة صباحاً والثانية ظهراً؟

- الإثنين؟ هل تقصد.. ذلك اليوم؟ في العمل بالطبع.

- وهل يمكنهم تأكيد ذلك؟

- أقود السيارة معظم الوقت، فلدينا طلبيات كثيرة.

- إذاً كنت في سيارتك؟ وحدك؟

- كنت في شاحنتي لجزء من الوقت، أوصلت خزانتي إلى بيت في "رودانجين"، يمكنهم تأكيد هذا الجزء.

- متى كنت هناك؟

- بين الواحدة والثانية ظهراً على ما أظن.

- كن دقيقاً أكثر يا "جينسبول"؟

- هممم.. أظن الساعة كانت أقرب إلى الثانية ظهراً.

- قام "سير" بحسابات سريعة في عقله ثم قال:

- والساعات التي قبلها؟

- حسناً، لقد دخلت وخرجت من أماكن عديدة، استيقظت متأخراً ذلك اليوم، وقضيت نصف ساعة في صالون للحصول على السمرة، نتدبر وقتنا بأنفسنا. أحياناً أقوم بعمل إضافي ولا ألتقي عليه أجراً، لذلك لا أشعر بالذنب حين أتهرب من العمل، حتى رئيسي يقوم بـ..

- أين كنت يا "جينسبول"؟

- تنحني وقال:

- بدأ يومي متأخرًا، ذهب بعضنا إلى المدينة ليلة الأحد، هذا سخييف بالطبع،
مَن الذي يخرج إلى المدينة ليلة الأحد علمًا بأنه عليه الاستيقاظ للعمل في اليوم
التالي، لكن هكذا سار الأمر. لم أعد إلى البيت إلا في الواحدة والنصف صباحًا.

- مَن كان معك؟

- صديق، اسمه "إريك فريزنر".

- "فريزنر"؟ جار "آني"؟

- نعم.

- إذًا..

أومًا "سير" لنفسه ونظر إلى المدرب الجالس على الأريكة، وإلى شعره
الكثيف المموج ووجهه المسمر، وقال:

- هل كانت "آني" فتاة جذابة في رأيك؟

عرف "جينسبول" إلى أين يتجه الحوار.

- ما هذا الحوار؟

- أجب من فضلك.

- بالطبع كانت كذلك، لقد رأيت صورتها.

قال "سير":

- نعم. لم تكن جميلة وحسب، بل بدت أكبر من سنّها، ناضجة بشكلٍ ما، أكثر
من معظم المراهقات. ألا توافق؟

- نعم. أظن هذا، لكنني اهتمت أكثر بمهارتها الرياضية.

- بالطبع، هذا منطقي، وهل قلت عكس هذا؟ هل سبق أن دخلت في صدامٍ

مع الفتيات؟

- أي نوع من الصدام؟

قال "سير" متعمدًا:

- أي نوع، لا يهم.
- بالطبع فعلت، فالمرافقات متقلبات المزاج، لكنها المشكلات المعتادة: لم ترغب واحدة في استبدال "آني" كحارسة مرمى أو الجلوس في مقاعد البدلاء، ضحكات صاخبة متواصلة، أحباءهم ينتظرون على المقاعد.
- ماذا عن "آني"؟
- ماذا عنها؟
- هل اختلفت مع "آني" من قبل؟
- شك ذراعيه وأوماً قائلًا:
- نعم، فعلت. في اليوم الذي اتصلت بي، وأخبرتني برغبتها في ترك الفريق، اندفعت ببعض الكلمات اليائسة التي ما كان عليّ قولها، وربما اعتبرتها مجاملة، من يدري؟ أنهت المحادثة وأغلقت الخط في وجهي، ثم سلمت زي الفريق في اليوم التالي، وأنهت الأمر تمامًا.
- وهذه هي المرة الوحيدة التي تشاجرتما فيها؟
- نعم، صحيح، إنها المرة الوحيدة.
- أوماً "سيير" إلى "سكاري"، انتهت المحادثة وسارا إلى الباب، وتبعهما "جينسبول"، شعر بغضبٍ شديد حاول كتمانته ولم يستطع، فقال بانزعاج بينما يفتح "سيير" الباب:
- كونا صريحين، لماذا تتظاهرا بأنكما لم تبحثا في سجلي؟ ألا تظنان أنني ذكي كفاية لأعرف أن هذا أول ما فعلتماه؟ لهذا جئتما، أليس كذلك؟ أعرف فيم تفكران.
- استدار "سيير" ونظر إليه.
- هل لديك أدنى فكرة ماذا سيحدث لفريقي إن انتشر الخبر؟ سيمنعون الفتيات من الخروج، سينهار البرنامج الرياضي بالكامل كبيتٍ من ورق، وسيصبح تعب السنين هباءً منثورًا!

علا صوته وهو يتكلم:

- هذا المكان يحتاج إلى شيء واحد، برنامج رياضي جيد، ومن لا يشترك في نشاط رياضي، يقضي وقته في البارات ويشترى مخدرات، هذا هو البديل الوحيد، هذا ما سيحدث إن نشرتما ما تعرفاه، بالإضافة إلى أن تلك الواقعة مر عليها إحدى عشرة سنة!

قال "سيير" بهدوء:

- لم أقل كلمة عنها، وربما يمكن أن يظل الأمر سرًا إن أخففت صوتك.
سكت "جينسبول" على الفور واحمر وجهه، تراجع إلى الصالة وأغلق "سكاري" الباب خلفهما.

- يا إلهي! إنه ينفجر كاللغم، مع فارق أن لديه شعرا وشاربًا.

قال "سيير":

- لو كان لدينا عدد كافٍ من الرجال لجعلت واحدًا يراقبه.

نظر إليه "سكاري" بدهشة وقال:

- ولماذا؟

- غالبًا لأزعجه.

استلقى "فريزنر" على ظهره في القارب الذي يضعه في غرفة المعيشة، وهو يشرب "هانسا بريميوم"، ومع كل رشفة كان يسحب نفسًا من السجارة، كان تركيزه بالكامل منصبًا على الكتاب الذي يقرأه ويسنده على ركبتيه. جرى تيار هادئ من البيرة والنيكوتين في دمه، بعد وهلة ترك البيرة وذهب إلى النافذة، من هناك يمكنه أن يرى حتى غرفة نوم "آني"، كانت الستائر مسدلة على الرغم من أن الوقت ما زال ظهرًا، وكأنها لم تعد غرفة عادية، بل ضريحًا لا يجب النظر إليه، رأى إضاءة خفيفة من مصباح واحد، ربما كان مصباح المكتب.

نظر إلى الطريق ورأى سيارة شرطة عند صندوق البريد، ها هو الضابط ذو الشعر المموج، على الأرجح سيذهب إلى منزل "هولاند" ليبلغهم آخر الأخبار. لم يبدُ عابسًا، سار بخطواتٍ رشيقة ووجهه مرفوع، جسمه طويل وممشوق، وخصلات شعره مموجة بشدة، بالتأكيد كان على قيد شعرة ويرفضوا انضمامه بحسب لوائح المظهر. استدار يسارًا فجأة ودخل حديقة منزله، عبس "فريزنر"، ونظر إلى الشارع تلقائيًا ليتأكد إن كان قد لاحظ أحد هذه الزيارات، نعم، كان "إيزاكسين" في حديقته يجمع أوراق الشجر المتساقطة.

قال "سكاري": مرحبًا. ثم اتجه إلى النافذة كما فعل هو منذ قليل، وقال:
- أنت تطل مباشرةً على غرفة نوم "آني".

- نعم، هذا صحيح.

واصل "فريزنر":

- في الموقع أنا عجوز منحرف، أقف هنا بلهفة وشهوانية بانتظار أي لحظة، لكنها لم تكن من النوع الاستعراضي، كانت تغلق الستائر قبل أن تخلع سترتها، لكن كان يمكنني رؤية ظلها على الأقل إن أضاءت نور الغرفة الأساسي، وإن كانت الستائر مفرودة بدون ثنيات كثيرة، منظر لا بأس به.

ابتسم عندما رأى تعبير "سكاري"، وقال:

- إن أردت الصراحة، وبالتأكيد تريدها، لم أرغب أبدًا في الزواج، لكنني أفضل لو حصلت على طفل أو اثنين لحمل اسمي، ويا حبذا لو كانوا من "آني"، كانت من النساء التي يرغب الرجل في جعلها حامل، إن كنت تفهم قصدي.

ما زال "سكاري" صامتًا، وقف ساكنًا يلوك حبة سمسم كانت محشورة في ضرسه طويلًا وتحررت أخيرًا.

- كانت طويلة ورشيقة، بكتفين عريضتين وساقين طويلتين وعقل ذكي، جميلة كجنينة من غابة "فينسكوجين". باختصار، جيناتها ممتازة.

- كانت مجرد مراهقة.
- كلهم يكبرون في النهاية، ما عدا "آني" للأسف. بصراحة، أنا أقترّب من الخمسين، لديّ الخيالات نفسها التي تراود أي رجل، لكن كعزب، فأنا لديّ امتيازات أيضاً، لا زوجة تصرخ عليّ من المطبخ إن نظرتُ إلى النساء بغزل. لو أنك تعيش هنا في البيت المقابل تماماً، فكنت ستلقي نظرة إلى بيتها من آنٍ إلى آخر بالتأكد. إنها ليست جريمة، أليس كذلك؟
- لا. أنا أخالفك الرأي.
- نظر "سكاري" إلى القارب وزجاجة البيرة النصف الفارغة، فحصه بنظره وتساءل إن كان كبيراً بما يكفي لـ..
- قاطع "فريزنر" أفكاره وقال:
- هل اكتشفتم شيئاً؟
- بالطبع، هناك الكثير من "الشهود الصامتين"، أعني الكثير من التفاصيل الصغيرة، كل شخص يترك خلفه أثراً بالتأكد.
- راقبه "سكاري" بينما يتحدث، كان الرجل واقفاً ويضع يده في جيبه، لاحظ "سكاري" عبر نسيج البنطلون أن قبضته مضمومة.
- فهمت. بالمناسبة، هل تعرف أن هناك رجلاً مجنوناً في القرية؟
- عذراً؟
- هناك شاب مصاب بخللٍ دماغي يعيش مع والده في "كوليفيين"، إنه الواضح إنه مهتم كثيراً بالفتيات.
- "رايموند ليك". نعم، نعرفه، لكنه ليس مصاباً بخللٍ دماغي.
- حقاً؟
- إنه فقط لديه وفرة في الكروموزومات.
- بل يبدو وكأنه يعاني من نقصٍ في شيءٍ ما.

نظر "سكاري" مرة أخرى إلى بيت "هولاند" وإلى الغرفة ذات الستائر المسدلة.

- لماذا قد يزحف ثعبانٌ إلى حقيبة نومٍ في رأيك؟

فتح "فريزنر" عينيه بدهشة وقال:

- أنتم تعرفون الكثير، سألت نفسي السؤال نفسه، لقد نسيت الأمر كله في الواقع. كان الأمر درامياً قليلاً، لكن كيس النوم يعد مكاناً مثاليًا للبيات الشتوي، صحيح؟ إنه من نوع "أجونجلاك"، مغطى بالريش وما إلى ذلك. كنت جالساً هنا في القارب أشرب الويسكي، عندما جاء ذلك الفتى يرن الجرس، أظنهما رأيا النور مضاءً عندي، كانت "آني" واقفة في ركن غرفة المعيشة ووجهها شاحبٌ مثل لون الطباشير، كانت شجاعة وقوية بطبعها، إلا في تلك المرة، كانت مرعوبة.

سأله "سكاري" بفضول:

- كيف أمسكته؟

- هذا بسيط يا عزيزي، استخدمت دلوًا، أولاً صنعت فتحة في قاعه باستخدام مثقاب، بحجم عملة معدنية، ثم تسللت إلى الخيمة، لم يكن الثعبان في كيس النوم عندها، بل زحف إلى ركن الخيمة وتكور على نفسه. كان كبيرًا، وضعت الدلو عليه وضغطت عليه بقدمي، ثم رششت "بايجون" في الفتحة.

- ما هذا؟

- طارد حشرات قوي جدًا، لكن لا يمكنك شراءه من المحلات. فقد الثعبان وعيه على الفور.

- كيف تحصلت عليه إذا؟

- أعمل في شركة "أنتيسيميكس" لمكافحة الحشرات، الذباب والصراصير وكل أنواع الحشرات.

- فهمتُ، ماذا حدث إذا؟

- كان مع حبيبها النحيل سكين، قطعت الثعبان إلى نصفين ووضعت في كيس بلاستيكي ورميته في القمامة، شعرت بالأسف حقًا على "آني"، من وقتها وهي تخاف النوم حتى في سريرها.
هز رأسه بأسى ثم قال:
- لكنك لم تأتِ إلى هنا لتحدثني عن عملي البطولي، أليس كذلك؟ لماذا أنت هنا بصراحة؟

مرر "سكاري" يده في شعره وقال:
- حسنًا. يقول رئيسي دائمًا إنه علينا التأكد من أي شيء مرتين.
- كلامي لن يتغير، لكنني ما زلت لم أستوعب أن أحدًا قد قتل "آني"، إنها فتاة طبيعية ومثالية، كانت تعيش في هذه القرية وهذا الشارع، حتى أهلها لا يفهمون ما حدث، الآن سيتركون غرفتها مهجورة لسنوات، تمامًا كما تركتها، سمعت عن هذه العادة. هل تظن أن الأسرة تتمنى في أعماقها أن تظهر ابنتهم فجأة؟
- ربما. هل ستذهب إلى الجنازة؟

- القرية كلها ستذهب، هذا ما يحدث حين تعيش في مناطق صغيرة، لا فائدة من محاولة الاحتفاظ بأي أسرار، يشعر الناس بأن لديهم الحق في المعرفة، هذا له مزاياه وعيوبه، من الصعب أن تحتفظ بسر.

قال "سكاري":

- هذا قد يفيدنا إن كان القاتل من هنا.
ذهب "فريزنر" إلى القارب وأخذ زجاجة البيرة وشربها.
- هل تظن أنه من هنا؟
- لنقل إننا نأمل هذا.
- أما أنا فلا. لكن لو كان، فأتمنى أن تمسكوه بسرعة. يا إلهي! أظن أن منازل الشارع العشرين قد عرفوا أنكم زرتهم للمرة الثانية.

- هل هذا يزعجك؟
- بالطبع. فأنا أود مواصلة حياتي هنا ببساطة.
- لا يوجد ما يمنعك.
- سنرى. الرجل العزب يكون عرضة أكثر للشائعات.
- ولماذا؟
- لأنه من غير الطبيعي ألا يكون للرجل امرأة، يتوقع الناس أن يرتبط الرجل عندما يصل إلى سن الأربعين مثلاً، وإن لم يفعل، يشكّون في وجود سببٍ خلف ذلك.
- تبدو الآن مصاباً بالارتياح.
- أنت لا تفهم كيف يكون الوضع حين تعيش ملاصقاً للجيران، ستحل أوقاتٌ صعبة على الكثير من الناس.
- هل تفكر في شخصٍ معين؟
- بصراحة، نعم.
- "جينسفول" مثلاً؟
- لم يجب "فريزنر"، لكنه وقف يفكر لوهلة، رمى "سكاري" بنظرة جانبية، ثم عقد العزم وأخرج يده من جيبه وهو يمسك شيئاً وقال:
- أردت أن أريك هذا.
- نظر "سكاري" إلى ما بدا وكأنه رباط شعرٍ مطاطي، لونه أزرق ومطرز بحباتٍ من الخرز.
- قال "فريزنر" وهو ينظر إليه:
- إنه خاص بـ"آني"، وجدته على أرضية السيارة في الجزء الأمامي، محشوراً بين المقعد والباب، كان هذا منذ أسبوع عندما أوصلتها إلى المدينة، لقد أوقعتها في السيارة.

- لماذا تعطيه لي؟
سحب نفساً عميقاً وقال:
- كنت أستطيع الاحتفاظ به أو إحراقه في المدفأة دون قول كلمة، لكن أردت
أن أريك بأنني صريح وألعب على المكشوف.
قال "سكاري":
- لم أفكر بعكس ذلك.
ابتسم "فريزنر" وقال:
- هل تظنني غيبياً؟
قال "سكاري":
- ربما تحاول أن تخدعني، ربما أنت متواطئ في الجريمة، وكل هذا
الاعتراف الجميل مجرد تمثيلية بارعة، سأخذ رباط الشعر معي، وسأضعك في
حساباتي أكثر من ذي قبل.
شحب وجه "فريزنر" ولم يقاوم "سكاري" ضحكته. سأله:
- من أين جئت باسم قاربك؟ إنه غريب بالنسبة لقارب، "ناركو
ترافيكانتي"؟
- أسميته من وحي اللحظة. لكنه جميل، أليس كذلك؟
كان يحاول تمالك نفسه بعد كلام الضابط، ونظر إليه بقلق.
- هل أبحرت به من قبل؟
- أبداً، فأنا أصاب بدوار بحرٍ شديد.

أعطى المدعي العام للمنطقة الإذن بدفن "آني هولاند". نظر "إيدي هولاند"
إلى ساعته وحسب أنه تبقى ما يزيد على أربع وعشرين ساعة على تغطية
التابوت بالتراب، تراب فوق "آني"، تراب مليء بالأغصان الجافة والحصي

والديدان. وضع في جيبه ورقة صغيرة ينوي أن يقرأ كلماتها القليلة عندما يقفون بجانب النعش بعد المراسم، فسيحزن طوال حياته لو وقفوا هناك دون أن يقدرُوا على التفوه بكلمة.

مرر إصبعه على جبهته ثم حركه على صدغه وقال:

- أتساءل إن كانت "سولفي" لديها مشكلة صغيرة، لا أقصد مشكلة من النوع الذي يظهر بالفحص الطبي مثلاً، لقد تعلمت ما عليها تعلمه في الدنيا، لكنها ساذجة قليلاً، تفكر بمنظورٍ واحد، يجب ألا تتحدث مع "أدا" بهذا الشأن. سأله "سيير":

- هل ستنكر أن "سولفي" لديها مشكلة؟

- إنها تقول دائماً: "لو لم تستطع إيجاد شيء، فهو غير موجود". كما تقول "إن الناس مختلفون".

استدعاه "سيير" إلى مكتبه، ما زال يبدو "هولاند" تائهاً في حزنه.

- عليّ أن أسألك بضعة أسئلة، لو قابلت "آني" "أكسيل بيورك" في الطريق، هل كانت ستركب سيارته؟

اندهش "هولاند" من السؤال.

- هذا أبشع شيء سمعته.

- لقد حدثت جريمة بشعة بالفعل، أجب عن سؤالي، أنا لا أعرف هؤلاء الناس كما تعرفهم، وأعتبر هذه ميزة في الواقع.

- والد "سولفي"، نعم، أظن هذا. لقد ذهبت إلى منزله مرتين أو ثلاث مرات، لذلك كانت تعرفه. على الأرجح كانت ستركب سيارته لو سألتها، ولم لا؟

- ما العلاقة التي تجمعك به؟

- لا تجمعنا علاقة أصلاً.

- لكنك تحدثت معه؟

- بالكاد. لطالما منعت "أدا" من الدخول بحجة أنه يحاول اقتحام البيت عنوة.
- وما رأيك في هذا؟
تململ بانزعاج وكأن ضعفه واضح.
- هذا غباء، لم يرد أن يفسد حياتنا، بل أراد فقط أن يرى "سولفي" مرة كل مدة، والآن خسر كل شيء، حتى وظيفته.
- ماذا عن "سولفي"؟ هل رغبت في رؤيته؟
- أخشى أن "أدا" قد دمرت أي رغبة كانت لديها، يمكنها أن تكون قاسية جدًا، أظن أن "بيورك" قد استسلم، لقد حضر الجنازة واستطاع رؤيتها على الأقل. كما ترى، من الصعب معارضة "أدا"، ليس لأنني أخاف منها مثلاً..
أطلق ضحكة ساخرة وأضاف:
- لكنها تغضب بشدة، لا يمكنني الشرح، إنها تغضب بشدة حقًا، ولا أعرف كيف أتصرف معها.
صمت مجددًا وجلس "سيير" منتظرًا وهو يتخيل كيفية التعامل بين هؤلاء الأشخاص. كيف تتشابك آلاف الخيوط على مدى سنوات، حتى تشكل أخيرًا شبكة قوية متينة لا يستطيع أن يفلت منها الشخص، هذا مذهل. كيف للإنسان أن يقاوم بشدة رغبته في سحب السكين وقطع الشبكة لتحرير نفسه على الرغم من توقه إلى الحرية، على الأرجح يرغب "هولاند" في الخروج من شبكة "أدا"، لكن آلاف الروابط الصغيرة تمنعه، لقد اتخذ قراره، سيجلس بين هذه الخيوط اللزجة لبقية حياته، وهذا القرار جعله ينكمش في نفسه حتى أصبح جسده الثقيل متراخيًا وضعيفًا.
سأله "هولاند" بعد وهلة:
- أليس لديك جديد إذا؟
رد "سيير":

- للأسف لا، لا يوجد إلا عدد كبير من الناس يتحدثون بحبٍ وود عن "آني"، هناك بعض البيانات جمعناها من المعمل الجنائي، لكنها لم تمنحنا أي خيوطٍ لاتباعها، ولم نجد دافعًا واضحًا. لم تتعرض "آني" للاعتداء الجنسي أو الإساءة بأي شكل، لم يلحظ أحد شيئًا قد يكون ذا فائدة في منطقة "كولين" في يوم الجريمة، وكل من قاد سيارة في ذلك الطريق تم التعرف عليه والتحقق منه، باستثناء سيارة واحدة لم يكن وصفها دقيقًا لذلك لم نستطع التوصل إلى شيء، الدراجة النارية التي شوهدت عند محل "هورجين" بدت وكأنها تبخرت بلا أثر، ربما كان سائحًا يمر بالمكان وحسب، لم يرَ أحد رقم اللوحة، أرسلنا غواصين في البحيرة للبحث عن حقيبتها لكن بلا فائدة، لذلك افترضنا أنها بحوزة القاتل. ليس لدينا حجة كافية للقبض على أي شخص، ربما عرفت "آني" معلومات حساسة بالمصادفة، وتم قتلها لضمان سكوتها، لا بد أن المعلومات شديدة الخطورة لدرجة أنها أدت إلى وفاتها. كانت عارية لكنها لم تُمس، مما يعني أن القاتل أراد توجيه تفكيرنا إلى أنها جريمة اغتصاب، على الأرجح لإبعاد تفكيرنا عن الدافع الحقيقي، لهذا نحن مهتمون بماضي "آني".

توقف وحكَّ ظهر يده حيث لديه بقعة حمراء بحجم قطعة نقود معدنية.
- أنت واحد من أكثر الأشخاص الذين عرفوها جيدًا، وبالتأكيد راودتك آلاف الأفكار عن هذا الأمر. يجب أن أسألك مجددًا إن كان هناك شيء في ماضي "آني" قد أدهشك: مواقف، معارف، آراء، انطباعات.. أي شيء. لا تفكر في شيء محدد، بل أي شيء قد أزعجك، ابحث عن أصغر التفاصيل مهما بدت سخيفة: مثل ردِّ فعلٍ لم تتوقعه منها، تعليقات، تلميحات، حقائق. لقد مرت "آني" بتغييرٍ في شخصيتها، لديَّ شعور أن السبب ليس مجرد هرمونات مراهقة، هل تؤكد ذلك؟
- تقول "أدا"..
قاطعته "سير" وهو ينظر إليه مباشرةً:

- ماذا تقول أنت؟ لقد رفضت "هالفور"، وتركت فريق كرة اليد، ثم أصبحت منطوية. هل حدث شيء في ذلك الوقت؟ شيء خارج عن المألوف؟
- هل تحدثت مع "جينسبول"؟
- نعم، فعلنا.
- حسنًا، لقد سمعت شائعات، لكن ربما ليست صحيحة، تنتشر الشائعات بسرعة هنا.
- احمر وجهه بحرجٍ قليلًا. سأله "سير":
- ما الذي تريد قوله؟
- سمعت "آني" تقول إنه كان في السجن منذ مدةٍ طويلة، لا أعرف السبب.
- هل كانت "آني" تعرف؟
- هل كان في السجن بالفعل؟
- هذا صحيح، لكن لم أظن أن هناك من يعرف بذلك، نحن نتحقق من جميع معارف "آني" لنتحقق من أدلة براءتهم، لقد تحدثنا مع أكثر من ثلاثمائة شخص، لكن للأسف لم نجد من بينهم مشتبهًا به.
- قال "هولاند":
- هناك رجل يعيش على تل "كوليفيين"، إنه ليس بكامل عقله، سمعت إنه يحاول التقرب من الفتيات هنا.
- قال "سير" بصبر:
- لقد تحدثنا معه أيضًا، إنه من عثر على "آني".
- نعم، هذا ما ظننت.
- لديه دليل براءة.
- المهم أن يكون قويًا.

فكر "سير" في "رانهيلد" ولم يخبر "هولاند" أن دليل براءته هي فتاة في السادسة من العمر.

- لماذا توقفت عن مجالسة الأطفال في رأيك؟

- أظنها كبرت على هذا الموضوع وحسب.

- لكنني عرفت أنها أحببت رعاية الأطفال حقًا، لهذا أظن الأمر غريبًا بعض الشيء.

- لسنوات لم تفعل شيئًا غير ذلك، كانت تقوم بواجبها المدرسي، ثم تخرج لترى إن كان أحد الجيران العجائز يحتاج إلى من يدفع كرسيه المتحرك، ولو وجدت شجارًا بين الأطفال كانت تهدئ الجميع، عندها الطفل البائس الذي بدأ الشجار كان يعترف، وبعدها تسامحه وتهدأ الأمور، كانت تجيد تهدئة الناس، كان لديها تأثير قوي، والجميع يطيعها، حتى الفتیان.

- أي شخصية دبلوماسية؟

- بالضبط، أحببت حل المشكلات، لم تتحمل الصراعات العالقة، لو واجهت "سولفي" مشكلة، كانت دائمًا تجد الحل، كانت مثل الوسيط، لكنها.. فقدت اهتمامها بهذا أيضًا، لم تعد تتدخل في شيء كعادتها.

- متى حدث هذا؟

- في الخريف الماضي.

- ماذا حدث في الخريف الماضي؟

- لقد أخبرتك بالفعل، لم ترغب في مواصلة اللعب في الفريق، لم تعد اجتماعية كالسابق أيضًا.

- لكن لماذا!

رد بيأس:

- لا أعرف. صدقني لا أفهم.

- حاول أن تنتظر أبعد من نفسك ومن أسرتك، أبعد من "هالفور" والفريق والمشكلات مع "أكسيل بيورك". هل حدث شيء في القرية ذلك الوقت؟ أي شيء قد لا يتعلق بكم مباشرة؟

فرد "هولاند" يديه وقال:

- حسنًا، على الرغم من أن هذا لا علاقة له بالموضوع، أحد الأطفال الذين جالستهم توفي في حادثة مأساوية، لم يساعد هذا في تحسين الموقف، لم ترغب "آني" في المشاركة في أي شيء بعدها، كل ما فكرت فيه هو ارتداء حذائها والجري في الشارع بعيدًا عن البيت.

دق قلب "سير" بعنف، واتكأ على مرفقيه على الطاولة وسأله:

- ماذا قلت للتو؟

- أحد الأطفال الذين كانت تعتني بهن توفي في حادث، اسمه "إيسكيل".

- هل حدث ذلك بينما كانت "آني" تجالسه؟

نظر إليه مفزوعًا وقال:

- لا، لا! هل أنت مجنون! كانت "آني" حريصة جدًا أثناء رعاية الأطفال، لم تدعهم يغيبون عن نظرها ولو للحظة.

- كيف حدث الأمر إذًا؟

- في بيته. كان عمره سنتين فقط، صُدمت "آني" بشدة، كلنا كذلك، بما أننا كنا نعرفه.

- ومتى حدث هذا؟

- في الخريف الماضي كما أخبرتك، في الوقت الذي انسحبت فيه من كل شيء. بصراحة، حدث الكثير وقتها، لم تكن أيامًا جيدة بالنسبة لنا، ظل "هالفور" يتصل، و"جينسفل" أيضًا، و"بيورك" كان يضغط علينا بشأن "سولفي"، وأصبحت الحياة مع "أدا" لا تطاق.

- صمت فجأة وكأنه شعر بالحرَج فجأة.
- متى حدثت الوفاة يا "إيدي"؟
- في نوفمبر على ما أظن، لا أتذكر التاريخ بالضبط.
- هل حدث ذلك قبل أم بعد تركها للفريق؟
- لا أذكر.
- إذاً سنواصل الحديث إلى أن تتذكر، ماذا كان الحادث؟
- انحشر شيءٌ في حلقة ولم يستطيعوا إخراجه، كان يأكل في المطبخ وحده.
- لماذا لم تخبرني هذا من قبل؟
- نظر إليه "هولاند" باستياءٍ وهمس قائلاً:
- لأنه من المفترض أن تحقق في وفاة "آني".
- وهذا ما أفعله، من المهم أن أستبعد بعض الأمور.
- ساد صمتٌ طويل، سال العرق على جبهة "هولاند"، وظل يفرك أصابعه باستمرار وكأنه فقد إحساسه بهم. مرت الكثير من الصور في ذهنه: "آني" وهي ترتدي بذلة تزلج حمراء وقبعة روسية، وهي ترتدي ثوب زفاف، وهي تحمل طفلاً في حجرها. صور لن يستطيع التقاطها أبداً.
- أخبرني عن "آني" وكيف استقبلت الخبر.
- فرد "هولاند" ظهره في الكرسي وتوقف ليفكر ثم قال:
- لا أتذكر التاريخ، لكن أتذكر اليوم لأننا نمنا حتى وقتٍ متأخر، كنت في إجازة ذلك اليوم، تأخرت "آني" على حافلة المدرسة، لكنها عادت إلى البيت باكراً من المدرسة لأنها لم تكن تشعر بتحسن، لم أجرؤ على إخبارها مباشرةً، ذهبت إلى غرفتها لتستلقي، وقالت إنها ستنام قليلاً.
- هل كانت مريضة؟

- نعم، حسنًا، لا. إنها لم تمرض أبدًا، كان تعبًا مؤقتًا فقط، استيقظت لاحقًا، وجلست أنا في غرفة المعيشة حاملاً همّ إخبارها، أخيرًا ذهبت إلى طرف السرير.

- و..؟

قال بتفكير:

- صُدمت، شعرت بالصدمة والرعب، استدارت وسحبت الغطاء على رأسها، أعني ما الذي يمكن أن تقوله؟ بعدها لم تُظهر مشاعرها كثيرًا، لقد حزنت بصمت، أرادت أن "أدا" أن تأخذ بعض الأزهار وتذهب إلى بيته، لكنها رفضت، لم تذهب إلى الجنازة أيضًا.

- هل ذهبت أنت وزوجتك؟

- نعم، فعلنا. انزعجت "أدا" لأن "آني" رفضت الذهاب، حاولت أن أشرح لها إنه من الصعب على الصغار الذهاب إلى جنازة، كانت "آني" في الرابعة عشرة فقط، لا يعرفون ماذا يجب أن يقولوا، أليس كذلك؟

- هل زارت قبره لاحقًا؟

- نعم. فعلت مرات عديدة، لكنها لم تذهب إلى بيتهم بعد ذلك أبدًا.

- لكنها بالتأكيد تحدثت معهما، بما أنها جالست طفلهما من قبل. صحيح؟

- أنا واثق أنها فعلت، لقد قضت معهم وقتًا طويلًا، مع الأم غالبًا. لقد انتقلت

بعد ذلك، انفصلت عن زوجها بعد فترة، بالطبع من الصعب أن يتعايش الإنسان مع مأساة كهذه، ستحتاج إلى البدء بعلاقة جديدة، لا أحد منا سيظل على حاله.

بدا كأنه انسحب من المحادثة، وكأنه جالس يحدث نفسه، وكأن الرجل

الآخر ليس موجودًا.

- "سولفي" هي الوحيدة التي لم تتغير. في الواقع، أنا مندهش من أنها

حافظت على حالها بعدما حدث، على كل حال، علينا أن نتقبل أطفالنا كما هم،

أليس كذلك؟

- و.. "آني"؟
- نعم، "آني". لم تعد كالسابق أبدًا، أظنها أدركت أن جميعنا سنموت يومًا ما. أتذكر أنني مررت بالشعور نفسه في صغري، عندما ماتت والدتي، هذا هو أسوأ شعور على الإطلاق، ليس لأنها ماتت ورحلت، بل لأنني سأموت أيضًا، وأبي أيضًا، وكل من أعرف.
- بدا وكأنه ينظر إلى شيء بعيد، استمع إليه "سير" بينما يتكئ بكلتا يديه على المكتب، ثم قال:
- علينا أن نتحدث أكثر عن هذا، لكن هناك ما يجب أن نعرفه أولاً.
- لا أعرف إن كنت مستعدًا لسماع أي شيء آخر.
- لا أستطيع أن أخفيه عنك بضمير مرتاح.
- ما هو؟
- هل تذكر إن كانت "آني" قد اشتكت من أي ألم؟
- لا.. لا. لكن قدميها كانت تؤلمها قبل أن تشتري حذاءً لامتصاص الصدمات.
- هل ذكرت من قبل أنها تشعر بالألم في المعدة؟
- نظر إليه "هولاند" بعدم ارتياح وقال:
- لم أسمعها تشكو من شيء كهذا، عليك أن تسأل "أدا".
- أسألك لأنك حسب فهمي كنت الأقرب إليها.
- نعم، لكنني لم أعرف شيئًا عن.. أمور الفتيات هذه.
- قال "سير" بصوت خافت:
- كان لديها ورم في بطنها.
- ورم.
- كبير بحجم البيضة، كان خبيثًا، وانتشر حتى كبدها.
- ارتجف جسد "هولاند" بالكامل.

- لا بدّ أنهم مخطؤون، لا أحد كان أكثر صحةً من "آني".
كرّر "سير":
- كان لديها ورم خبيث في بطنها، وخلال فترةٍ قصيرةٍ كانت ستمرض بشدة، هناك احتمال كبير أن مرضها كان سيؤدي إلى وفاتها.
قال "هولاند" بنبرةٍ عدائيةٍ قليلًا:
- هل تقول إنها كانت ستموت بأي حال؟
- هذا ما يقوله الطبيب الشرعي.
صرخ:
- هل من المفترض أن أسعد لأنها ماتت دون معاناة؟
تناثرت قطرة من ريقه على جبهة "سير". أخفى "هولاند" وجهه بين يديه وقال بصوتٍ مختنق:
- لا، لا. لا أعني هذا، لكن لا أفهم ما يحدث، كيف يوجد الكثير من الأمور التي لا أعرفها؟
- إما أنها لم تكن تعرف، أو أنها أخفت ألمها عمدًا وقررت ألا تستشير طبيبًا، فلا يوجد ذكر لهذه المسألة في سجلها الطبي.
قال "هولاند":
- قد لا تجد فيه أي شيء، فهي لم تشكو من شيءٍ على الإطلاق، لقد تلقت جرعتي تطعيم على مدى سنوات، هذا كل شيء.
- أريدك أن تفعل شيئًا آخر، تحدث مع "أدا" وأخبرها أن تأتي إلى المركز، نحتاج إلى أن نأخذ بصماتها.
ابتسم "هولاند" بإرهاق ورجع في كرسيه، لم ينم كثيرًا، وشعر بالدوار، شعر بوجه المحقق يهتز أمام عينيه، والستائر أيضًا، أم أنه مجرد تيار هواء؟ لم يكن متأكدًا.

وجدنا بصمتين على حلية حزام "آني"، إحداهما كانت لـ"آني"، والأخرى ربما تكون لزوجتك. أخبرتنا أنها كانت تخرج لـ"آني" ملابسها في الصباح، لذلك من المنطقي أن تكون بصمتها على حلية الحزام. فهم "هولاند" أخيرًا.

- من فضلك، اطلب من زوجتك أن تأتي بأسرع ما يمكن، فلتسأل على "سكاري" حين تأتي.

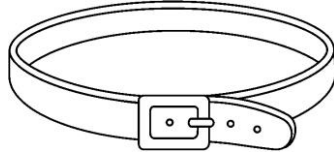
قال "هولاند" فجأة وهو يشير إلى يد "سيير":

- بخصوص الطفح الجلدي الذي لديك، سمعت أن الرماد مفيد في علاجه.

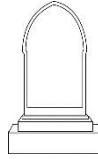
- الرماد؟

- تضع الرماد على منطقة الطفح الجلدي، الرماد أنقى مادة في العالم، كما يحتوي على الأملاح والمعادن.

لم يجب "سيير". بدا "هولاند" وكأنه يندمج مع أفكاره الداخلية، فتركه "سيير" في سلام، أصبحت الغرفة هادئة جدًا، حتى أنهما كادا يشعران بروح "آني" موجودة بينهما.



الفصل التاسع



أكل "هالفور" سجقًا وكرنبًا مسلوقًا على طاولة المطبخ، بعدها نظف المكان ووضع بطانية على جدته التي كانت تغفو على الأريكة. ذهب إلى غرفته وأغلق الستائر، وجلس أمام الكمبيوتر، هكذا أصبح يقضي معظم وقت فراغه الآن، لقد حاول مع معظم الأغاني التي كانت تحبها "آني"، كتب العناوين والأسماء المكتوبة على صف الأسطوانات الخاصة بها، ثم جرب عناوين الأفلام، لكن بدون حماس، لأنه يعلم أنها لن تختار شيئًا كهذا، بدت المهمة شاقة لا تنتهي، ربما غيرت الرمز السري مرات عديدة كما يفعلون في وزارة الدفاع لحماية الأسرار العسكرية. إنهم يستخدمون كلمة سر تتغير تلقائيًا مرات عديدة في الثانية، قرأ عن ذلك في مجلة عن التكنولوجيا، من المستحيل تقريبًا اختراق كلمة سر تتغير باستمرار. حاول أن يتذكر متى أعد هو و"آني" ملفاتهما الخاصة وأضافا إليها كلمة سر، كان هذا منذ أشهر، في الخريف الماضي. عرف أنها لن تختار شيئًا عشوائيًا، بل شيئًا ترك لديها انطباعًا، شيئًا مألوفًا وعزيزًا عليها. كان يعرف الكثير من الأشياء المألوفة لها والعزيزة عليها، لذلك واصل المحاولة، حتى سمع جدته تنادي من غرفة المعيشة وتقول إنها انتهت من قيلولتها. أخذ استراحة ليحضر لها بعض القهوة والخبز بالزبد والوافل إن كان موجودًا، ومن باب الأدب، شاهد التلفزيون معها قليلًا. لكن بمجرد أن سمحت الفرصة، تسلل عائداً إلى غرفته، وهي لم تشتك. جلس هناك حتى منتصف الليل، ثم

ذهب إلى السرير بصعوبة وأطفأ الأنوار. دائماً يستلقي بسكونٍ وقتاً طويلاً ويستمتع لأي صوت قبل أن ينام، عادةً لا يأتيه النوم على الإطلاق، فيتسلل إلى غرفة جدته ويسرق حبة منوم. لم يسمع صوت الخطوات في الخارج، فكر في "آني" بينما ينتظر أن يأتيه النوم، الأزرق لونها المفضل، الشوكولاتة المفضلة لديها هي "دوف" بالزبيب. احتفظ في ذهنه بكلمات عديدة لي تجربها لاحقاً، المهم هو ألا يستسلم. كلما وجد كلمة سرّ مناسبة، بدت له أنها الاختيار الأمثل، فيقول لنفسه: "كان عليّ التفكير فيها منذ البداية!".

في الحديقة كان الجو دافئاً وهادئاً، بدا مدخل بيت الكلب الفارغ مثل فم مفتوح بدون أسنان، لكن هذا ليس واضحاً، لذلك سيظن أي لص أنه ما زال يحوي كلباً. خلف بيت الكلب يوجد كشك أدوات، فيه كومة بسيطة من الحطب، ودراجته، وتليفزيون قديم أبيض وأسود، وكومة من الصحف ينسى دائماً إرسالها لإعادة التدوير، وهو لم يعد يقرأ الصحف المحلية، وفي الركن البعيد خلف مرتبة إسفنجية، ترقد حقيبة "آني" المدرسية.

لقد ذهب إلى "بروفان" وعاد بسرعة، ثلاثة عشر كيلومتراً، حاول أن يحتمل الألم، على الأقل في البيت. اعتادت "إليز" صبّ ماء بارد، ومناولته له بمجرد أن يخرج من الحمام، حتى وهو يلف منشفة حول خصره فقط، أما الآن فلا أحد ينتظره، ما عدا كلبه الذي رفع رأسه بلهفه حين فتح "سيير" الباب وخرج البخار. ارتدى ثيابه في الحمام، ثم أخذ زجاجة بيرة باردة وفتح الغطاء وشرب، رن جرس الباب عندما وصل إلى نصف الزجاجاة، لا يرن جرس "سيير" عادةً، لذلك اندهش. رفع يده ليهدي كلبه ثم ذهب ليفتح الباب، وجد "سكاري" واقفاً عند الدرايزين واضعاً قدمًا على السلم، وكأنه مستعد للتراجع فوراً إذا جاء في وقتٍ غير مناسب. قال:

- كنت في الحي.
- بدا مختلفًا، اختفت خصلات شعره المموجة، وأصبح شعره مقصوصًا وداكنًا أكثر، فبدأ أكبر سنًا، كما برزت أذناه قليلًا.
- قال "سير":
- قصة لطيفة، تعال.
- جاء "كولبيرج" وهو يقفز كالعادة.
- قال "سير":
- إنه متحمس قليلًا لكنه طيب.
- من الأفضل أن يكون كذلك، خاصةً مع هذا الحجم. إنه كالذئب.
- من المفترض أن يبدو كالأسد، هكذا أراد الشاب الذي مزج السلالات لينتج أول "ليونبيرجر"، كان من مدينة "ليونبيرجر" في ألمانيا، وأراد أن ينتج رمزًا للمدينة.
- أسد؟
- تأمل "سكاري" الحيوان الكبير وابتسم قائلاً:
- لا. لست بهذا الغباء لأصدق.
- خلع "سكاري" سترته وعلقها في الصالة وسأل:
- هل تحدثت مع "هولاند" اليوم؟
- نعم. ماذا فعلت أنت؟
- زرت جدّة "هالفور".
- حقًا؟
- قدمت لي قهوة وخبزًا بالزبد، وعانيت مع شيخوختها. بتُّ أعرف الآن شعور التقدم في العمر.
- وكيف هو؟

- تدهور تدريجي، خفي، عملية غير ملحوظة تقريباً، لا تكتشفها إلا في لحظات مفاجأة، فتصدمك.
- تنهد "سكاري" مثل رجل عجوز، وهز رأسه بتوتر.
- يقل معدل إنتاج الخلايا، هذا هو أساس المشكلة، يزداد ببطء باستمرار إلى أن تتوقف الخلايا عن تجديد نفسها تماماً، ثم تبدأ في الانكماش، في الواقع هذه أول مراحل التحلل، وهي تبدأ في سن الخامسة والعشرين.
- هذا صعب بالفعل، هذا يعني أنك بدأت هذه المرحلة، أظنك تبدو أكبر بالفعل.
- قاده "سير" إلى غرفة المعيشة.
- يبدأ الدم في التخثر في العروق، تتغير رائحة الأشياء ومذاقها، تظهر آثار سوء التغذية. ليس غريباً أن نموت حين نشيخ.
- ضحك "سير" ثم تذكر والدته في المستشفى وتوقف.
- كم عمرها؟
- إنها في الثالثة والثمانين، وهي خرفة تماماً.
- أشار إلى رأسه ذات الشعر المقصوص وقال:
- أظن أنه من الأفضل لو نموت أبكر من ذلك، في السبعين مثلاً.
- لا أظن أن الكثير من ذوي السبعين عاماً سيوافقونك الرأي. هل تريد مياهاً معدنية؟
- حسناً، شكرًا.
- مرر "سكاري" يده على رأسه، وكأنه يتأكد من أن شعره مقصوص بالفعل، ثم نظر إلى الرف المجاور لمشغل الأغاني، وقال:
- لديك الكثير من الأسطوانات بالفعل يا "كونراد". هل عدتها؟
- هتف "سير" من المطبخ:
- خمسمائة تقريباً.

نهض "سكاري" من كرسيه ليقراً العناوين، مثل جميع الناس، يظن أن الذوق الموسيقي يعبر عن طبيعة صاحبه.

- "ليلي دالسيث"، "إيتا جيمس"، "بيلي هوليداي"، "إديث بياف". يا إلهي! ابتسم وهتف بدهشة:

- كلها لنساء!

- نعم.

صب له "سير" المياه المعدنية.

- كلهم نساء يا "كونراد"! "إيرثا كيت"، "ليل ليندفورس"، "مونيكا زيتزلاند"، مَن هذه؟

- واحدة من أفضلهن. لكنك أصغر من أن تعرفها.

جلس "سكاري" وشرب المياه المعدنية، ثم مسح أسفل الكوب في ساق بنطلونه.

- ماذا قال "هولاند"؟

سحب "سير" كيس التبغ من تحت الصحيفة وفتحه، أخذ ورقة وبدأ يلف سيجارة.

هتف "سكاري" بدهشة:

- يا إلهي! أنت تدخن!

- مرة في اليوم، في المساء، لقد أخبرني أن "آني" عرفت أن "جينسبول" كان في السجن، ربما عرفت السبب أيضاً.

- أكمل.

- وأحد الأطفال الذين كانت ترعاهم توفي في حادث.

بحث "سكاري" عن علبة سجائره.

- حدث هذا في نوفمبر الماضي، في الوقت نفسه الذي ساءت فيه الأمور، لم ترغب "آني" في الذهاب إلى هناك مرة أخرى، رفضت حتى أن تأخذ إليهم بعض الأزهار، لم تذهب إلى الجنازة أيضاً، ولم تعد تجالس أي أطفال. لم يرَ "هولاند"

الأمر غريباً ربما لأنها كانت في الرابعة عشرة فقط، وليست كبيرة بما يكفي لاستيعاب فكرة الموت.

نظر إلى "سكاري" بينما يتحدث ولاحظ كيف أصبح تعبيره قلقاً.
- بعدما تركت فريق كرة اليد، وانفصلت عن "هالفور" مؤقتاً، وأصبحت انطوائية، بهذا التسلسل بالضبط مات الطفل، فانعزلت "آني" حول نفسها.
أشعل "سكاري" عود ثقاب وشاهد "سير" وهو يلحق طرف ورقة السيارة لكي يلصقها.

- موت الطفل كان حادثاً مأساوياً بالتأكيد، فالولد كان في الثانية من عمره فقط، وأتفهم لماذا قد يضطرب أي مراهق من هذه التجربة. كانت تعرفه جيداً وتعرف والديه لكن..

توقف ليشعل السيارة ثم أكمل:

- هل هذا هو سبب تغييرها؟

- ربما. لكنها كانت مصابة بالسرطان أيضاً، ربما قد غيّر هذا على الرغم من احتمالية جهلها بالأمر، لكنني أمل أن أجد شيئاً آخر، شيئاً يمكن أن يفيدنا في القضية.

- ماذا عن "جينسبول"؟

- من الصعب أن أصدق أن رجلاً قد يقتل شخصاً، ليضمن صمته عن جريمة اغتصاب حدثت منذ إحدى عشرة سنة وقضى عقوبته عليها، إلا إذا حاول تكرارها مجدداً وساءت الأمور.. هل لديك وقت لنذهب في جولة؟

- بالطبع. أين سنذهب؟

- كنيسة "لوندباي".

سحب نفساً عميقاً من سيجارته وحبسه قليلاً. سأله "سكاري":

- لماذا هناك بالذات؟

- لست واثقًا، أحب التجوال هناك، هذا هو السبب الوحيد.
- قال "سكاري" وهو يحكُّ بقعة من الشمع المتجمد على الطاولة:
- ربما تفكر أفضل في الخارج؟
- لطالما ظننت أن محيط الشخص يؤثر على تفكيره، وأنت تفهم أفضل حين تكون في المكان الفعلي للشيء الذي تفكر به، هذا لو أن لديك وعيًا خاصًا بالأشياء وما يمكن أن تخبرك به.
- قال "سكاري":
- نظرية مبهرة، هل تجرؤ على قولها علنًا في المركز؟
- لدينا اتفاق صامت بآلا نفعل، إن المدعي العام للمنطقة لا يهتم بمعتقداتي، إنه يعرفها ويضعها في حسبانها، لكنه لن يعترف بها أبدًا، إنه اتفاق صامت آخر.
- نفث "سيير" دخان السيجارة بعنف ونظر إلى الأعلى.
- ماذا أعطتك جدة "هالفور"، بخلاف الخبز بالزبد ومحاضرة عن الشيخوخة؟
- أخبرتني الكثير عن والد "هالفور"، كيف كان لطيفًا جدًّا في صغره، وكيف صار رجلًا تعيشا عندما كبر.
- أصدق هذا، فقد كان يضرب ولديه.
- وقالت إن "هالفور" منعزل في غرفته، ومن الواضح إنه يجلس أمام الكمبيوتر طوال المساء، وأحيانًا في الليل أيضًا.
- ماذا تظنه يفعل في رأيك؟
- لا أعرف، ربما يكتب مذكرات.
- في هذه الحالة، أود قراءتها.
- هل ستستدعيه مجددًا؟
- بالتأكيد.

أنهيا كأسيهما ونهضا. أثناء خروجهما، لمح "سكاري" صورة لـ "إليز" بابتسامتها الساحرة.

- هل هذه زوجتك؟

- آخر صورة لها.

- تشبه "جرايس كيلى"، كيف جذب عجوز متذمر مثلك امرأة بهذا الجمال؟

تفاجأ "سيير" بوقاحته الشديدة لدرجة أنه تلعثم وهو يجيب بفتور:

- لم أكن عجوزًا متذمرًا وقتها.

سارت السيارة فوق الطريق المعبّد بالحصى إلى كنيسة "لوندباي"، كانت مضاءة بنور وردي هادئ، وكأنها واقفة هنا منذ الأزل، في الواقع عمرها مائة وخمسون عامًا فقط، مجرد لحظة في الأبدية. أغلقا الباب بصمت، ووقفوا بجانب السيارة وأرهفا السمع بضع لحظات. نظر "سكاري" حوله وتقدم بضع خطوات نحو الكنيسة، ثم اتجه إلى صفوف المقابر التي في المقدمة، عشرة قبور بيضاء مرصوفة بالتساوي.

- ما هذا؟

توقفا لقراءة المكتوب على القبور.

قال "سيير":

- قبور عسكرية، جنود بريطانيون وكنديون، قتلهم الألمان هنا في الغابة في التاسع من أبريل 1940. يضع الأطفال زهورًا بيضاء على القبور في السابع عشر من مايو، هذا ما أخبرتني به ابنتي "إنجريد".

- "ضابط مقاتل من سلاح الطيران الملكي"، أ. ف. لو ميستري "من كندا، كل شيء وله قدر. لقد قطع مسافة طويلة لهذا العمل البطولي القصير. نظر "سكاري" حوله وقال:

- جاء من كندا بزيه العسكري الجديد ليقا تل في صف العدالة، ففوجئ بالرصا ص والموت.

تم دفن "آني" على أطراف المقبرة، بالقرب من حقل شعير واسع، ذبلت الزهور وبدأت تتحلل، نظر الضابطان إلى الأزهار وغرق كلُّ منهما في أفكاره، ثم بدأ بقراءة النقوش على باقي القبور. هناك صفان خلف قبر "آني"، وجد "سيير" ما يبحث عنه، شاهد قبر صغير مقوس من أعلى، وعليه كتابة بخط جميل، انحنى "سكاري" وقرأ: "عزيزنا" إيسكيل".
أوماً "سيير" وقال:

- "إيسكيل يونا س"، ولد في الرابع من أغسطس 1992، وتوفي في السابع عشر من نوفمبر 1994.

- "يونا س"؟ تاجر السجاد؟

- ابن تاجر السجاد، لقد انحسر شيءٌ في حلقه فمات خنقًا، انهار زواجه بعد وفاة طفله، هذا ليس غريبًا، بل شائعًا جدًّا، لكن "يونا س" لديه ابن أكبر سنًّا يعيش مع والدته.

- هناك صور لولدين معلقة على الجدار.

ثم وضع يديه في جيبه وقال:

- ما هذه الفجوة؟

- لا بدَّ أن شخصًا ما سرق شيئًا من على شاهد القبر، ربما كان تمثال طائر أو ملاك، هذا ما يضعونه عادةً على قبور الأطفال.

- من المؤسف أنهم لم يستبدلوه، يبدو قبرًا صغيرًا هشًّا، إنه مُهمَلٌ تقريبيًا. ظننت أن العجا ئز فقط هم من يتعرضون للنسيان.

استدارا ونظرا إلى الحقول المحيطة بالمقبرة من كل الجهات، ومضَّ الضوء القادم من بيت القسِّ القريب وسط الغروب الأزرق.

- أظن أن الخروج من هنا ليس سهلاً، انتقلت الأم إلى "أوسلو"، يا لها من مسافة طويلة عن هنا.

- أما "يونا" فيسكن على بعد دقيقتين.

نظر "سكاري" في الاتجاه الآخر، نحو تلة "فاجرلاند"، حيث تلمع البيوت تحت قمة "كولين".

قال "سير":

- يمكنه أن يرى الكنيسة من نافذة غرفة معيشته، أتذكر أنني رأيته حين كنا في بيته، ربما نال كفايته.

- لا بد أن كلبته قد ولدت جراءها الآن.

لم يجب "سير".

- إلى أين سنذهب بعد ذلك؟

نظر إلى القبر الصغير وقال عابساً:

- لا أعرف، لكن هذا الصغير قد توفي، وبعدها تغيرت "آني"، لماذا تأثرت إلى هذا الحد؟ كانت فتاة قوية نشيطة، ألا يفترض بالأشخاص الأصحاء الطبيعيين أن يتخطوا الأزمات بسرعة؟ أليس في طبيعتنا أن نتقبل الموت ونواصل الحياة، على الأقل بعد مرور الزمن؟

صمت بحيرة، ثم انحنى وفحص القبر العاري من الزينة، وأخذ يرتب الأوراق المبعثرة بشروء.

سأله "سكاري":

- إذاً، حقيقة تصرفها بهذه الطريقة على الرغم من شخصيتها القوية، تعني شيئاً ما؟

- لست واثقاً مما أفكر.

- كيف يمكن لأي شخص أن يسرق من قبر؟

- قال "سيير" وهو يقف:
- عدم استيعابك للأمر يدل على طبيعتك الطيبة.
- سارا إلى السيارة.
- سأله "سكاري":
- هل تؤمن بوجود رب؟
- زم "سيير" شفتيه بشدة وقال:
- لا. لا أظن أنني أفعل، بل أؤمن بوجود.. نوع من القوى.
- ابتسم "سكاري".
- سمعت عن هذا من قبل، فكلمة "قوى" مقبولة أكثر، من الغريب أنه يصعب علينا تسميتها، لكن من الواضح أن كلمة "رب" مشحونة بالكثير من المعاني بالفعل. إذًا، إلى أين تقودنا هذه "القوى" في رأيك؟
- قال "سيير":
- قلت "قوى" ولم أقل إن لها "مشيئة".
- إذًا، هل تؤمن بوجود "قوى" لكن دون مشيئة؟
- لم أقل هذا أيضًا، قلت ببساطة إنه توجد "قوى"، سواء تقودها مشيئة أم لا، هذا سؤال مفتوح.
- لكن قوى بدون مشيئة ستكون مُحِبطة جدًا، ألا تظن؟
- ألا تيأس أبدًا! هل هذه محاولة خرقاء لإثبات إيمانك؟
- نعم.
- يا إلهي! يا لجهل الإنسان.
- فكر "سيير" في هذا الموقف المفاجئ، وقال:
- لم أفهم فكرة الإيمان أبدًا.
- ماذا تعني؟

- لا أفهم ما المطلوب من الإنسان لكي يحصل عليه.
- إنها مسألة سلوك، تختار أسلوبك في الحياة، والذي يعود عليك بالفائدة والفرح بمرور الوقت، إنه يمنحك صلة مع الماضي، ويعطي معنى للحياة والموت، ويطمئنك بشدة.
- أختار أسلوب حياة؟ ألم يخبروك عن طريق الخلاص المحدد؟
- أطلق "سكاري" ضحكة مجلجلة تفوح منها رائحة البحر والميناء والماء المالح.
- الناس يعقدون الأمور البسيطة، ليس عليك أن تفهم كل شيء، المهم هو أن تشعر، أما الفهم فيأتي بالتدريج.
- قال "سيير":
- هذا يناسبني.
- قال "سكاري" مبتسمًا:
- أعلم هذا. أنت لا تؤمن بالرب، لكنك تتخيل بوضوح بوابات الجنة، وتظن نفسك قادرًا على التسلل خلسة دون أن ينتبه إليك القديس "بطرس".
- ضحك "سيير" بشدة من أعماق قلبه، وفعل شيئًا لم يتوقع أن يفعله أبدًا، وضع ذراعيه على كتفي "سكاري" في عناقٍ خفيف.
- وصلا إلى السيارة، وأزال "سكاري" ورقة شجر علقت بمساحات الزجاج الأمامي.
- قال "سكاري":
- لو كان قبر طفلي، لاشتريت تمثالًا جديدًا وثبته على القبر.
- أدار "سيير" محك الـ"بيجو" القديمة وترك العنان للمحرك بينما يجلس في صمت، ثم قال:
- وأنا أيضًا.

ما زال "هالفور" جالسًا على الكمبيوتر، لم يظن الأمر سهلًا، لأن حياته لم تكن سهلة أبدًا. قد يستغرق الأمر شهرًا، لكنه لم يتراجع، ظل يراجع كل ما يتذكر أنها قرأته أو استمعت إليه، جرب عناوين عشوائيًا، وأسماء شخصيات من كتاب، وكلمات أو جمل محددة كانت تستخدمها باستمرار. أحيانًا يجلس أمام الشاشة ينظر إليها وحسب، لم يعد يهتم بأي شيء، لا بالتليفزيون أو بمشغل الأغاني، أصبح يجلس وحده في صمت ويتذكر الماضي، البحث عن الرمز السري صار عذره للعيش في الماضي، وتجنب التفكير في المستقبل. لم يعد هناك ما يتطلع إليه بأي حال، لا توجد إلا الوحدة. علاقته بـ"آني" كانت أجمل من أن تدوم، كان عليه توقع هذا، عادةً كان يتساءل إلام تقود علاقتهما وكيف ستنتهي.

لم تقل جدته شيئًا، لكن لها رأيًا بالتأكيد. كأن يفعل شيئًا مفيدًا، مثل جُرّ العشب خلف البيت أو جمع الأوراق من الحديقة، وربما تنظيف كشك الأدوات، هذا ما يفعله معظم الناس في الربيع، يتخلصون من آثار الشتاء، يحتاج حوض الأزهار أمام المنزل إلى إزالة الحشائش، لقد خرجت بنفسها ولاحظت أن زهور التوليب تختنق من نبات الهندباء والحشائش. كلما ذكرت له الأمر، أومأ بشرود وعاد لما يفعله، في النهاية استسلمت وفهمت أن أيًا كان ما يفعله فهو بالتأكيد في غاية الأهمية. بذلت مجهودًا كبيرًا لكي تربط حذاء رياضيًا، وتحجل إلى الخارج مستندة على عكاز واحد، إنها لا تخرج إلى الحديقة عادةً، نادرًا ما تستطيع الذهاب إلى البقالة على الأكثر. استندت بكل ثقلها على العكاز، وشعرت بالاستياء من مرحلة الانهيار التي وصلت إليها، لكن ليست وحدها، فكل شيء يذبل ويشيخ: المباني، والحديقة.. أو ربما نظرها هو ما ضعف. عبرت الحديقة وفتحت باب كشك الأدوات، استسلمت لرغبة مفاجئة للنظر بداخله، ربما أثاث الحديقة ما زال صالحًا للاستخدام، على الأقل يمكن وضعه أمام البيت كديكور، سيبدو مريحًا، بالتأكيد أخرج الجميع أثاثهم منذ وقتٍ طويل، بحثت عن مفتاح النور في الجدار وأضاءته.

الفصل العاشر



تمتلك "أستريد يونس" محلًا لبيع منتجات الصوف في غرب أوسلو. كانت تجلس على ماكينة حياكة وتعمل على شيء ناعم، وكأنه لرضيع. سار في الغرفة وتنحنح، ثم توقف خلفها ليبيدي إعجابه بعملها بتعبير غريب قليلاً على وجهه. قالت وهي تبتسم:

- أنا أصنع بطانية لوضعها في عربة طفل، أصنعها حسب الطلب. نظر إليها بدهشة في البداية، كانت أكبر من زوجها السابق بفارق كبير، لكنها باهرة الجمال، ولوهلة أذهله جمالها، لم يكن جمالاً بسيطاً هادئاً مثل "إليز"، بل جمالاً أخاذاً واضحاً، وقف ينظر إليها رغماً عنه، عندها لاحظ عطرها، ربما لأنها أشارت نحوه، رائحتها تشبه رائحة الحلوى مع رائحة فانيليا خفيفة، قال:

- "كونراد سيير"، من الشرطة.

ابتسمت قائلة:

- هذا ما ظننت، أحياناً أتساءل لماذا من السهل معرفتكم، على الرغم من عدم ارتداء الزي الرسمي.

احمر وجهه قليلاً وتساءل إن كان قد اكتسب وقفة محددة أو طريقة معينة في ارتداء ملابسه من طول عمله في الشرطة، أو أنها قد تكون أذكى من معظم الناس.

وقفت وأطفأت المصباح الخاص بالعمل.

- تعال إلى الغرفة الخلفية، إنها مكتبي الصغير حيث أتناول غدائي.

تحركت بطريقة أنثوية جدًا.

- ما حدث لـ "آني" أمرٌ بشع لا أستطيع التفكير فيه. أشعر بالذنب لعدم حضوري الجنازة، لكن بصراحة، لم أستطع مواجهة الموقف، لقد أرسلت زهورًا.

أشارت إلى كرسي ليجلس، نظر إليها وأحس تدريجيًا بشعورٍ قد نسيه تقريبًا، كانت امرأة جميلة، ولا يوجد غيرهما في الغرفة لكي يشتت انتباهه، ابتسمت له وكأنها انتهت للفكرة نفسها، لكنها لم تفقد هدوءها، فهي اعتادت جمالها. قالت:

- عرفت "آني" جيدًا، قضت الكثير من الوقت في بيتنا، واعتنت بـ "إيسكيل"، كان لدينا ابن توفي العام الماضي، اسمه "إيسكيل".

- أعرف.

- لقد تحدثتم إلى "هينينج" بالطبع. للأسف، فقدنا التواصل معها بعد ذلك، لم تعد تأتي لرؤيتنا. مسكينة، شعرت بالأسف عليها، كانت في الرابعة عشرة فقط، وفي هذا العمر لم تكن تعرف ماذا تقول.

أوماً "سير" وهو يعبث بأزرار سترته، صار الجو حارًا فجأة في المكتب الضيق. سألته:

- هل لديك أدنى فكرة عن من يكون الفاعل؟

- لا. نحن نجمع المعلومات حاليًا، بعدها سننتقل إلى ما نسميه مرحلة التخطيط.

قالت وهي تنظر إلى الأسفل، إلى يديها:

- أخشى أنني لن أفيدك كثيرًا. لقد عرفتُها جيدًا، كانت فتاة محبوبه، أذكى وألطف من معظم الفتيات في عمرها، لم تكن ساذجة قط، تدربت بجهد

لتحافظ على لياقتها، كما اهتمت بدراستها. كانت جميلة أيضًا، كان لديها حبيب، فتى اسمه "هالفور"، لكن ربما انفصلا؟

- بلى، ظلاً معاً للنهاية.

صمت قليلاً في انتظار ردِّ فعلها.

- ماذا تريد أن تعرف؟

لم يجب، بل تأملها قليلاً، قوام رشيق متناسق، وعينان داكنتان، كل ملابسها مُحَاكَة، وكأنها إعلان كبير لمحلها، بذلة جذابة، بتنورة مستقيمة، وسترة على مقاسها بالضبط لونها أحمر قانٍ، ومحددة بخطوط خضراء وصفراء على الأطراف، حذاء أسود بكعب قصير، تصفيفة شعر بسيطة وملساء، طلاء شفاه أحمر يناسب لون البذلة، أقراط برونزية على شكل رأس سهم، مخفية قليلاً تحت شعرها الداكن. إنها أصغر من "سير" ببضعة سنوات، وقد بدأت تظهر خطوط خفيفة حول عينيها وفمها، من الواضح أنها أكبر من زوجها السابق، لا بدَّ أنها قد ولدت ابنها "إيسكيل" في أواخر شبابه. قال:

- لا أبحث عن شيء محدد. إذًا، جاءت "آني" إلى منزلك مرات عديدة لرعاية

"إيسكيل"؟

- مرات عديدة في الأسبوع، لم يرغب أحد في مجالسته، فهو كان صعب

المراس، لكن ربما سمعت ذلك بالفعل.

كذب قائلاً:

- نعم، سمعت.

- كان نشيطاً جداً لدرجة تكاد تكون غير طبيعية، كان لديه فرط حركة كما

يقولون، يتحرك باستمرار ولا يهدأ.

ابتسمت بحزنٍ وقالت:

- أرجو أن تفهم أنه ليس سهلاً الاعتراف بذلك، لكنه كان طفلاً صعباً بكل صراحة، كانت "آني" أحد القلائل الذين أمكنهم التعامل معه.

توقفت وفكرت قليلاً ثم قالت:

- زارتنا كثيراً. أنا و"هيننج" كنا دائماً متعبين، لذلك كانت زيارتها لنا نعمة، دائماً مبتسمة وتعرض مجالسة الطفل. كان يجلس في عربته، ونعطيها بعض المال لكي يستطيع الخروج إلى البلدة وشراء أي شيء، حلوى أو آيس كريم مثلاً، يستغرق ساعة أو ساعتين، أظنها كانت تتعمد ألا تتعجل. بين حين وآخر كانا يركبان الحافلة إلى المدينة ويغيبان طوال اليوم، يتجولان بالقطار الصغير في السوق. كنت أعمل في المناوبة الليلية في المستشفى، وعادةً أحتاج إلى النوم في النهار، لذلك كان قدومها راحةً لي. لدينا ابن آخر، "ماني"، لكنه كان أكبر من أن يخرج وهو يدفع عربة أطفال. بأي حال، لم يرغب في ذلك وتملص من الأمر كعادة الأولاد.

ابتسمت مجدداً وغيّرت جلستها على الكرسي، كلما تحركت، شمّ رائحة فانيليا، ظلت تراقب باب المحل بينما تتحدث، لكن لم يدخل أحد، بدا أن التحدث عن ابنها يجعلها غير مرتاحة، فلقد نظرت عيناها إلى كل شيء ما عدا وجه "سيير"، دارتا مثل عصفور محبوس في مكانٍ ضيق، يتحرك من رف الصوف إلى الطاولة إلى واجهة المحل. سألتها "سيير":

- كما كان عمر "إيسكيل" عند وفاته؟

همست بارتجاف:

- سبعة وعشرون شهراً فقط.

- هل وقع الحادث في وجود "آني"؟

نظرت إلى الأعلى وقالت:

- لا، حمدًا لله. هذا من حسن حظها، وإلا ما كانت لتحتفل، كان الأمر صعبًا بما فيه الكفاية على "آني" المسكينة، لم يكن ينقصها أن يؤنبها ضميرها أيضًا.
- صمت "سير" وتنفس بهدوء قدر المستطاع ثم قال متبعًا أسلوبًا مختلفًا:
- لكن.. ما نوع الحادثة؟
- ظننتك تحدثت مع "هينينج".
- نعم، لكنه لم يدخل في التفاصيل.
- انحشر طعامٌ في حلق "إيسكيل"، كنت في السرير بالأعلى، و"هينينج" يحلق ذقنه في الحمام ولم يسمع شيئًا، لكن "إيسكيل" لم يستطع الصراخ بأي حال بسبب الطعام المحشور في حلقه، كان مربوطًا في كرسيه بحزام، من النوع الذي يجلس فيه الأطفال في هذا السن لحمايتهم، كان يتناول الفطور.
- أعرف هذا النوع، فلديّ ابنة وحفيد.
- ابتلعت ريقها وواصلت:
- وجده "هينينج" متدليًا من الحزام ووجهه أزرق، استغرقت سيارة الإسعاف عشرين دقيقة للوصول، وعندها كان الأوان قد فات.
- هل جاؤوا من المستشفى المركزي؟
- نعم.
- نظر "سير" إلى واجهة المحل فرأى امرأة تنظر بإعجاب إلى سترة تعلقها السيدة "يونا" في النافذة.
- حدث الأمر صباحًا؟
- في الصباح الباكر.
- وكنت نائمة طوال الوقت؟
- نظرت بدهشة إلى عينيه مباشرة وقالت:
- ظننتك جئت للتحدث عن "آني".

قال:

- يمكنك إخباري ما تريدين عن "آني".
- ثم شعر بانقباض في قلبه. لم تجب، بل جلست وشبكت ذراعيها وقالت:
- هل تحدثت مع كل سكان "كريستالين"؟
- نعم، فعلنا.
- إذا فأنت تعرف كل هذا بالفعل؟
- نعم، صحيح. لكن ما يهمني هو رد فعل "آني" على الحادثة، لقد تأثرت بشدة.
- قالت بنبرة فيها حدة:
- هذا ليس غريباً عندما يموت طفل في الثانية، كانت تعرفه جيداً. لقد تعلقا ببعضهما كثيراً، ولطالما افتخرت بكونها الوحيدة التي تستطيع التعامل معه.
- لا أظن الأمر غريباً، أنا فقط أحاول أن أفهمها وأعرف طبيعتها.
- أخبرتك بالفعل، أنا لا أرفض التعاون معك، لكن من الصعب التحدث عن الأمر.
- نظرت إليه مباشرة وأضافت:
- لكن.. أنت تبحث عن مغتصب، صحيح؟
- لست واثقاً.
- حقاً؟ هذا ما افترضته مباشرةً عندما قالوا إنهم وجدوها عارية، كل الصحف تشير إلى أنها جريمة جنسية.
- احمر وجهها وهي تفرك أصابعها بحرج وقالت:
- ماذا قد تكون إذا؟
- هذا هو السؤال. حسب علمنا، ليس لديها أعداء، لكن إن لم يكن الدافع هو الجنس، إذا ما هو؟
- المجرمون ليسوا عقلانيين، أعني أنهم مجانين، لا يفكرون مثلنا.
- لا نعرف مدى جنونه. كم دام زواجك؟

- خمس عشرة سنة، كنت حاملاً بـ"ماني" حين تزوجنا، "هينينج" أصغر مني بكثير.
- قالتها وكأنها أرادت تأكيد شيءٍ قد يفاجئه.
- أما "إيسكيل" فجاء بعد نقاشٍ طويل، لكننا كنا متفقين تمامًا.
- هل فكرتم فيه متأخرًا؟
- نعم.
- نظرت إلى السقف وكأنها تراقب شيئاً مثيراً للاهتمام.
- إذًا، ابنك الأكبر في السابعة عشرة الآن؟
- أومأت.
- هل يتواصل مع والده؟
- نظرت إليه باستنكارٍ وقالت:
- بالطبع يفعل! عادةً يذهب إلى "لوندباي" لزيارة أصدقائه القدامى، لكن الأمر ليس سهلاً علينا بعد كل ما حدث.
- هل تزورين قبر "إيسكيل" عادةً؟
- لا. لكن "هينينج" يفعل، الأمر صعبٌ عليّ، يكفي أن أعرف أن هناك من يعتني به.
- فكر في القبر المهمل، ثم انفتح الباب ودخل شاب إلى المحل، نظرت إليه السيدة "يونا".
- "ماني"! أنا هنا!
- استدار "سير" وتفحص ابنها، إنه يشبه والده كثيرًا، لكنه بنيته أشد.
- توقف عند الباب وكأنه يتردد في الكلام، كان وجهه جامدًا وشاردًا، يناسب شعره الأسود وعضلات ذراعيه البارزة. قال "سير" وهو ينهض:
- عليّ الذهاب يا سيدة "يونا"، أعذريني إن احتجت إلى المجيء مجددًا.

أومأ إلى الأم والابن بتحيةة ثم غادر، راقبته السيدة "يونا" طويلاً ثم نظرت إلى ابنها بحزن وقال:

- إنه يحقق في مقتل "آني"، لكن كل ما أراد التحدث عنه هو "إيسكيل".

وقف "سير" خارج المحل للحظة، رأى دراجة نارية مركونة بجانب المدخل، ربما تخص "ماني يونا"، "كاواساكي" كبيرة، هناك شابة تستند بمؤخرتها على المقعد، لم تلحظه لأنها كانت تركز على أظافرها، ربما كسرت واحداً منها وتحاول إنقاذ الموقف بحكّ الجزء المكسور بظفر آخر، كانت ترتدي سترة جلدية حمراء مغطاة بقطع معدنية لامعة، وشعرها أشقر وكثيف مثل شعر تماثيل الملائكة التي كانوا يعلقونها على شجرة الكريسماس في صغره، ثم نظرت إلى الأعلى، فابتسم لها وعدل سترته. قال وهو يعبر الشارع:

- مرحباً يا "سولفي".

قاد ببطء وهو يرتب أفكاره بنظام، "إيسكيل يونا"، طفل صعب المراس لم يستطع أحد التعامل معه غير "آني"، فجأة مات وحيداً وهو مربوط في كرسيه دون وجود من يساعده، فكر في حفيده وارتجف بينما يدخل في طريق "لوندباي" متجهاً إلى بيت "هالفور".

كان "هالفور" بانتزراً واقفاً في المطبخ يغسل مكرونة "إسباجيتي" بماء بارد، نسي أن يأكل حتى شعر بالدوار، وقرص المنوم الذي أخذه ليلاً سبب له شعوراً بالكسل والخمول، لم يسمع صوت السيارة التي توقفت أمام البيت بسبب صوت الماء المندفَع من الصنبور، لكنه سمع صوت جدّته وهي تغلق الباب، وتتمتم بشيء لنفسها، بينما تسير بحذائها الرياضي ذي الخطوط

السوداء، بدا منظرها مضحكاً. يوجد على طاولة المطبخ زجاجة كاتشب ووعاء جبن مبشور، تذكر أنه قد نسي إضافة الملح، كانت جدته تتأوه في غرفة المعيشة، ثم قالت:

- انظر ماذا وجدت في كشك الأدوات يا "هالفور"!
ارتطم شيء بالأرض، فنظر من المطبخ. قالت:
- إنها حقيبة مدرسة قديمة، فيها كتب. من الممتع أن أرى الكتب المدرسية القديمة، لم أعرف أنك تحتفظ بها.
تقدم "هالفور" خطوتين ثم توقف فجأة، تدلى من حزام الحقيبة فتاحة زجاجات عليها شعار "كوكاكولا"، همس قائلاً:
- إنها حقيبة "آني".

- سَرَبَ أحد الأقلام حبره الأزرق عبر جلد الحقيبة، فتلطح الجيب ذي السحاب بالبقع.
- هل تركتها هنا؟
قال بسرعة:

- نعم. سأضعها في غرفتي حالياً ثم أخذها لـ "إيدي" لاحقاً.
نظرت إليه جدته وبدا على وجهها تعبيراً قلقاً، فجأة ظهر شكل مألوف في الصالة خافتة الإضاءة. شعر "هالفور" بقلبه يغوص في قدميه، تجمد مكانه والحقيبة متدلية من يده. قال "سير":
- "هالفور"، عليك أن تأتي معي.
ترنح "هالفور" وحرك قدمه حتى لا يسقط، شعر بالسقف يضيق عليه حتى يسحقه. قالت جدته بتوتر:
- يمكنك أن تأخذ الحقيبة إلى بيت "آني" في الطريق.

أخذت تلف خاتم زواجها الواسع عليها، لم يجب "هالفور". بدأت الغرفة تدور به، وسال عرقه بغزارة بينما يقف مرتجفاً وهو يمسك الحقيبة، لم تكن ثقيلة لأن "آني" أزالَت معظم محتوياتها، بداخلها رواية The Wreath لـ"سيجريد أندسيت"، وهي سيرة ذاتية جديدة، ومفكرة ومحفظتها التي تضم صورة له من الصيف الماضي حين كان مسمراً ووسيمًا، بشعرٍ أثرت عليه الشمس، لا يشبه نفسه الآن، بعرقٍ على جبينه ووجهٍ شاحبٍ من الخوف.

كان الوضع مؤثراً، في العادة يواجه كل ما يأتي في طريقه من متاعب، لكنه الآن وقع على حين غرة. قال "سير":

- بالطبع تدرك أن قدومك شيء ضروري.

- نعم.

رفع "هالفور" إحدى ساقيه ونظر إلى حذائه الرياضي، الأربطة متهاكة والنعل كاد يتفكك.

- حقيبة "آني" المدرسية كانت موجودة في كشك الأدوات في بيتك، مما يربطك مباشرةً بالجريمة. هل تفهم ما أقول؟

- نعم، لكنك مخطئ.

- بما أنك حبيب "آني"، فأنت مشتبه به. المشكلة هي أننا لم نستطع اتهامك بأي شيء، أما الآن، فجَدَّتْك قامت بالعمل نيابةً عنا، أنا واثق بأنك لم تتوقع هذا يا "هالفور"، بما أنها لا تتحرك كثيراً، فجأةً قررت تنظيف الكشك، من كان يتخيل حدوث هذا؟

- لا أعرف من أين جاءت! هي وجدتتها في الكشك، هذا كل ما أعرف.

- خلف مرتبة إسفنجية؟

- بدا وجه "هالفور" كئيبيًا وشاحبًا لأقصى حد، من لحظةٍ إلى أخرى يرتعش ركن فمه، وكأنه يريد أن يسقط على وجهه.
- شخصٌ ما يحاول توريطي.
 - ماذا تعني؟
 - لا بدَّ أن شخصًا قد وضع الحقيبة هناك، لقد سمعت خطوات أقدام تتسلل خارج نافذتي بالأمس.
 - ابتسم "سيير" بحزن. قال "هالفور":
 - اسخر كما تشاء لكنها الحقيقة، شخصٌ ما وضعها هناك، شخصٌ يريدني أن أتلقى اللوم، شخصٌ يعرف بعلاقتي مع "آني"، لذلك لا بدَّ أنه شخصٌ كانت تعرفه، أليس كذلك؟
 - نظر إلى المحقق بعناد. قال "سيير":
 - لطالما ظننت أن الفاعل يعرفها بالفعل، أظنه عرفها جيدًا، مثلك تمامًا.
 - أليس كذلك؟
 - لم أفعها! صدقني! لم أفعها!
 - مسح عرقه وحاول أن يهدأ.
 - هل تظن أن هناك شخصًا ما علينا التحدث معه وغفلنا عنه؟
 - لا أعرف.
 - حبيب جديد مثلاً؟
 - لم يكن هناك غيري.
 - لماذا أنت واثق؟
 - كانت ستخبرني.
 - هل تظن أن الفتيات يسرعن بالاعتراف حين يقعن في حب شخصٍ آخر؟
 - كم حبيبة عرفت يا "هالفور؟

- كانت ستخبرني، أنت لا تعرف "أني".
- لا. أفهم أنها كانت مميزة، لكنها بالتأكيد تتشابه في بعض الأمور مع باقي الفتيات، ألا تظن يا "هالفور"؟ ولو قليل؟
- لا أعرف فتيات غيرها.
- جلس في كرسيه ووضع إصبعه بين النعل المطاطي وقماش الحذاء، وبدأ يفصلهما.
- لم لا تبحث عن بصمات على الحقيبة؟
- سنفعل بالطبع. لكن ليس من الصعب تنظيفها من أي آثار، لديّ حدس قوي بأننا لن نجد بصمة واحدة، ما عدا بصماتك أنت وجدّتك.
- أنا لم ألمسها قبل اليوم.
- سنرى. العثور على الحقيبة أعطانا سببًا لنفحص دراجتك النارية، ومعدّاتك، وخوذتك، وبيتك. هل تحتاج إلى أي شيء قبل أن نواصل؟
- لا.
- اتسعت الفجوة في حذائه كثيرًا، فسحب يده.
- هل عليّ البقاء هنا الليلة؟
- أخشى هذا. لو نظرت إلى الوضع بموضوعية، ستفهم أنني مضطّر إلى احتجازك.
- إلى متى؟
- لا أعلم بعد.
- نظر إلى الفتى وقرر أن يجرب أسلوبًا مختلفًا.
- ماذا كنت تكتب على الكمبيوتر الخاص بك؟ أنت تجلس أمام الشاشة لساعات، منذ لحظة وصولك إلى البيت بعد العمل حتى منتصف الليل كل يوم، هل يمكن أن تخبرني ماذا كنت تفعل؟
- نظر إليه "هالفور" وقال:
- هل تتجسسون عليّ؟

- نحن نتجسس على الكثير من الناس مؤخرًا، هل تكتب مذكراتك؟
- أنا أَلعب فقط، شطرنج مثلاً.
- مع نفسك؟
- لا شأن لك.
- قال "سيير":
- أنصحك بإخباري ما تعرف، أنت تخفي شيئًا عني يا "هالفور"، أنا متأكد. هل كنتما اثنين؟ هل تتستر على شخص آخر؟
- ظل "هالفور" صامتًا.
- إن اتهمناك رسميًا، فقد نصادر جهازك.
- ابتسم فجأة وقال:
- افعل. لن تستطيعوا الولوج!
- لن نستطيع الولوج؟ لماذا؟
- توقف "هالفور" عن الحديث وعاد يعبث بحذائه
- لأنك وضعت عليه كلمة سرّ؟
- جفّ ريقه لكنه لم يطلب صودا، لديه بيرة في الثلاجة في بيته، جلس يفكر فيها.
- هذا يعني أنه يضم شيئًا مهمًا، بما أنك بذلت جهدك لمنع أحد من فتحه واكتشافه.
- فعلتها من باب المرح فقط.
- هل يمكن أن تجيب بأكثر من جملة؟
- لا يوجد ما يهم، مجرد خواطر أكتبها حين أشعر بالملل.
- وقف "سيير"، فتراجع كرسيه قليلاً بصمت على الأرضية الناعمة.
- تبدو عطشان، سأحضر لنا صودا.
- غادر "سيير" وأغلق المكتب على "هالفور" الذي لاحظ فتحة في حذائه ولمح جوربه السادة القذر، سمع صفارة عن بعد لكنه لم يحدد إلى أي سيارة طوارئ

تنتمي. هناك طنين متواصل في المبنى الكبير، مثل الهمهمات التي تسمعها في السينما قبل بداية الفيلم. عاد "سيير" بزجاجتي صودا وفتّاحة.

- سأفتح النافذة قليلاً، حسناً؟

أوماً "هالفور" وقال:

- أنا لم أفعلها.

أخذ "سيير" كوبين بلاستيكيين وصب فيهما الصودا، فارت الرغوة على الجوانب.

- ليس لديّ سبب لأفعل هذا.

- لم يتضح لي بعد لماذا قد ترتكب هذه الجريمة.

تنهد وأخذ رشفة من الصودا وأضاف:

- لكن هذا لا يعني أنك لا تملك سبباً، أحياناً تسيطر علينا مشاعرنا. هل

حدث لك هذا من قبل؟

لم يجب "هالفور".

- هل تعرف "رايموند كوليفيين"؟

- الفتى المصاب بمتلازمة "داون"؟ أراه في الشارع كل فترة.

- هل ذهبت إلى منزله من قبل؟

- مررت به بينما أقود، لديه أرانب.

- هل تحدثت إليه من قبل؟

- أبداً.

- هل تعرف أن "نوت جينسفول"، مدرب "آني"، دخل السجن سابقاً

بتهمة اغتصاب؟

- أخبرتني "آني".

- هل هناك من يعرف غيركما؟

- لا أعرف.

- هل تعرف الطفل الصغير التي كانت تجالسه، "إيسكيل يوناس"؟
- نظر إليه بدهشة وقال:
- نعم! لقد مات.
- أخبرني عنه.
- لماذا؟
- أجبني.
- حسنًا، كان لطيفًا.. ومرحًا.
- لطيف ومرح؟
- نشيط.
- صعب المراس؟
- ربما كان صعبًا قليلًا، ربما. فهو لم يجلس ساكنًا، أظنه كان يأخذ أدوية
- لهذه الحالة، وكانوا يربطونه بحزام كرسيه طوال الوقت، ذهبت إلى هناك بضع
- مرات عندما كانت "آني" تعتني به، كانت الوحيدة التي تستطيع التعامل معه،
- فكما تعلم.. "آني" ..
- شرب كوبه ومسح فمه.
- هل كانت تعرف والديه؟
- أعلم من هما.
- ماذا عن ابنيهما الأكبر؟
- "ماني"؟ أعرف شكله.
- هل أظهر أي اهتمام بـ "آني"؟
- المعتاد فقط. كأن ينظر إليها طويلًا كلما مرت به.
- ما رأيك في هذا يا "هالفور"؟ أعني في إعجاب الفتیان بحبيبك؟

- أولًا، كنت معتادًا على هذا، ثانيًا، لقد حرصت "آني" دائمًا على إظهار عدم اهتمامها بهم.
- ومع ذلك ذهبت مع شخصٍ ما، يبدو أن هناك استثناءً يا "هالفور".
- أدرك هذا.
- شعر "هالفور" بالتعب، فأغمض عينيه. لمعت الندبة التي على طرف فمه تحت ضوء المصباح مثل وترٍ فضي.
- هناك الكثير عن "آني" لم أفهمه، أحيانًا كانت تغضب أو تنزعج بشدة بلا سبب، وإذا سألتها عن السبب غضبت أكثر عليّ، وقالت إنه ليس سهلًا أن تفهم وتستوعب كل ما في العالم.
- سحب نفسًا عميقًا.
- إذًا، شعرت أنها تخفي شيئًا؟ وهذا الشيء يزعجها؟
- لا أعرف، أظن هذا. أخبرتُ "آني" الكثير عن نفسي، كل شيءٍ تقريبًا، وذلك لكي تطمئن وتعرف أنه يمكنها الثقة بي وإخباري بما لديها.
- لكن يبدو أن ثقتكما ببعضكما لم تكن قوية، ربما كان صعبًا عليها أن تثق بأحد؟
- "لا شيء أسوأ من انعدام ثقتها، لا شيء أبدًا".
- "هالفور"؟
- قال "هالفور" بصوتٍ خافت وهو يفتح عينيه:
- هناك شيءٌ ما عزل "آني" عن العالم كجيرةٍ مغلقة.

الفصل الحادي عشر



"شيء ما عزل "آني" عن العالم كجيرة مغلقة". كانت الجملة منمقة جدًا لدرجة أنه صدقها، أم أنه ببساطة أراد تصديقها؟ بأي حال، هناك حقيقة المدرسة التي كانت مختلفة، والشعور القوي بأن "هالفور" يخفي شيئًا، نظر "سير" إلى الرصيف الذي أمامه بينما يرتب أفكاره. أحببت "آني" مجالسة الأطفال، الطفل الذي أحببت رعايته كان صعب المراس، وتوفي، ما كان من الممكن أن تنجب أطفالًا بسبب حالتها الصحية، ولم يكن لديها الكثير من الوقت لتعيشه. كان لديها حبيب تغضب منه أحيانًا، لقد انفصلت عنه ثم عادت إليه، وكأنها لم تعرف ماذا تريد. لم ير أي صلة بين هذه الحقائق. وضع يديه في جيبه، وعبر ساحة السيارات، ركب سيارته وخرج بها إلى الشارع بمهارة، ثم قاد إلى المقاطعة التالية حيث المنطقة التي قضى بها "هالفور" طفولته. وقتها كان مركز الشرطة يتخذ من فيلا قديمة مقرًا له، أما الآن أصبح في منطقة تجارية، محاصرًا بين سوبر ماركت "ريمي" ومكتب الشؤون الداخلية. انتظر قليلًا في صالة الاستقبال وشرذ في أفكاره، حين جاء له مأمور المنطقة ومد له يده الشاحبة مليئة بالنمش، كان الرجل في أواخر الأربعينيات، نحيل، ولديه بقع على جلده وصلعته، وهناك نظرة فضولية واضحة في عينيه الخضراوين المشوبتين بالزرقة، وتطالب بمعرفة كل شيء،

فزيارة من رئيس محققي المدينة تعد حدثاً نادراً، فهم يشعرون معظم الوقت أن باقي العالم قد نسيهم.

قال "سير" وهو يتبع المأمور:

- لطفُ منك أن تمنحني وقتك.

- ذكرت جريمة قتل، "آني هولاند"؟

أوماً "سير".

- كنت أتابع القضية في الصحف. وبما أنك هنا، فأفترض أن لديك مشتبهاً به تظن أنني قد أعرفه.

أشار له بالجلوس.

- نعم، بشكلٍ ما. نحتجز شخصاً الآن، إنه مجرد فتى، لكن ما وجدناه في بيته لم يمنحنا خياراً غير القبض عليه.

- وهل كنت تفضل لو أن لديك اختياراً؟

قال "سير" وهو يبتسم:

- لا أظنه فعلها.

- فهمت. هذا يحدث أحياناً.

لم تحمل نبرته أدنى لمحة من السخرية، شبك المأمور يديه الشاحبتين الورديتين وانتظر.

قال "سير":

- في ديسمبر 1992، وقعت جريمة انتحار في منطقتك، هناك أخوان تم إرسالهما بالتوالي إلى دار رعاية "بيركلي"، والأُم انتهى بها المطاف في قسم الأمراض العصبية في المستشفى المركزي. أبحث عن معلومات عن "هالفور مانتز"، من مواليد 1976، ابن "توركيل" و"ليلي مانتز".

تعرف المأمور على الاسم، وبدأ عليه القلق فوراً، فسأله:

- لقد تعاملت مع القضية، صحيح؟

- نعم للأسف، مع ضابط شاب آخر. "هالفور"، الأخ الأكبر، اتصل بي في بيتي ليلاً، في الثالث عشر من ديسمبر، أتذكر التاريخ لأن ابنتي كانت تمثل في مسرحية مدرسية، لم أرغب في الخروج وحدي، فأخذت معي شرطياً شاباً. حين يتعلق الأمر بعائلة "هالفور"، كنا نتوقع أي شيء. قدنا إلى البيت، وجدنا الأم منكمشة تحت غطاء على أريكة غرفة المعيشة، والولدين في الأعلى، لم يقل "هالفور" كلمة، بجانبه على السرير استلقى أخوه الذي لم يجرؤ على فتح عينيه، كان الدم في كل مكان، تفقدنا الولدين لتأكد أنهما على قيد الحياة، فتنفسنا الصعداء، ثم بدأنا نبحث، أما الأب فوجدناه في كيس نومٍ قذر، ورأسه مهشمة بعدما أطلق على نفسه النار.

توقف عن الكلام، وشعر "سيير" أنه يرى صوراً لما حدث تتوالى في عينيه.
- لم يكن سهلاً أن نعرف شيئاً من الولدين، ظلاً متشبهين ببعضهما ورفضاً التحدث. لكن بعد الكثير من التودد لهما، أخبرنا "هالفور" أن والده ظل يشرب من الصباح، ودخل في نوبة هياج عنيفة، ظل يلهث باضطراب ويحطم البيت. قضى الولدان معظم اليوم في الخارج، لكن عندما حلَّ الليل، اضطرا إلى الدخول لأن الجو أصبح بارداً. استيقظ "هالفور" من النوم ليجد والده منحنيًا على سريريه ومعه سكين مشرشر، طعنه مرة ثم انتبه لفعلته، فخرج مسرعاً وسمع "هالفور" صوت الباب، بعدها سمعاه يفتح كشك الأدوات، ويغلق الباب خلفه بعنف. كان لديهم كشك خشبي قديم الطراز خلف البيت، بعد وهلة سمعنا طلقة رصاص، لم يجرؤ "هالفور" على الخروج لمعرفة ما حدث، فتسلل إلى غرفة المعيشة في الطابق السفلي واتصل بي، لكنه خمن ما حدث بالفعل، أخبرنا أنه يخشى أن يكون قد حدث مكروه لأبيه. حاولت هيئة رعاية الطفل لسنوات

أن تأخذ الوصاية على الولدين، لكن "هالفور" رفض في كل مرة، أما بعد تلك الليلة فلم يعترض.

- كيف تقبل الأمر؟

نهض المأمور وسار في الغرفة، بدا مضغوطاً ومنزعجاً. انتظره "سير" أن يتكلم، ولم يحاول كسر حاجز الصمت.

- كان من الصعب تخمين شعوره، كان "هالفور" طفلاً منطوياً جداً، لكنه بالتأكيد لم يشعر باليأس، ربما كان نوعاً من العزم، لأنه كان على وشك أن يبدأ مرحلة جديدة، وفاة والده هي نقطة التحول في حياته، لا بد أنه ارتاح. عاش الولدان في خوفٍ دائم، ولم يحصلوا على شيءٍ من احتياجاتهما.

صمت المأمور ووقف مديراً ظهره بانتظار أي أسئلة من "سير"، فهو رئيس المحققين الذي جاء طلباً للمساعدة، لكن "سير" ظلّ ساكناً، أخيراً استدار المأمور وقال:

- لم ندقق في الأمر إلا لاحقاً.

جلس في كرسيه وواصل:

- كان الأب راقداً في كيس نوم، خلع سترته وحذاءه، وطوى سترته تحت رأسه كالوسادة، لقد بدا وكأنه يستعد للنوم وليس..

سحب نفساً وأضاف:

- وليس للموت، لذلك خطر لنا لاحقاً أن شخصاً ما ربما أنهى حياته وأرسله إلى العالم الآخر.

أغمض "سير" عينيه وفرك حاجبه بشدة، فسقطت قشرة من الجلد الميت، سأله:

- هل تقصد "هالفور"؟

رد المأمور بحزن:

- نعم، أقصد "هالفور". ربما تبعه "هالفور" وراقبه حتى نام، ثم دسّ البندقية داخل كيس النوم بين يدي والده، وضغط على الزناد.
- تجمد "سير" من الاحتمال.
- وماذا فعلتم؟
- لا شيء.

فرد المأمور ذراعيه بعجزٍ وقال:

- لم نفعل أي شيء على الإطلاق، لم نجد شيئاً نربطه به، لا توجد أدلة دامغة، بندقية عيار 16 تم إطلاقها من مسافة قريبة، ثقب دخول الرصاصة أسفل الذقن، وثقب الخروج أعلى الرأس، لا بصمات على السلاح، لا خطوات أقدام مريبة خارج الكشك. على عكسك، كان لدينا خيار، لكنك قد تسميه شيئاً آخر على ما أظن، مثل خرق الواجب أو إساءة الحكم.

ابتسم "سير" وقال:

- يمكنني التفكير في أشياء أسوأ بكثير إن أردت، لكن هل تحدثتم معه على الأقل؟
- أحضرناه للاستجواب، لكننا لم نخرج بمعلومة مفيدة الأخ الأصغر كان في السادسة، ولم يعرف شيئاً، ولم يستطع تأكيد أي شيء أو نفيه. تناولت الأم جرعة كبيرة من المهدئات، والجيران لم يسمعوا الطلقة، كان منزلهم منعزلاً جداً، مكاناً بشعاً، كان محل بقالة في الأصل، مبنى من الطوب مع سلالم حجرية ونافذتين ضخمتين على جانبي الباب.

مسح أنفه بتوتر وواصل:

- لحسن الحظ، وجدنا بعض التناقضات.
- مثل؟

- لو أن "هالفور" هو من أطلق النار، لكان عليه أن يرقد بجانب والده ممسكًا بالبندقية أمام صدره، وفوهتها مرفوعة تحت ذقنه، هل يمكن لفتى في الخامسة عشرة أن يتمالك نفسه هكذا وأمامه وجه مشقوق نصفين وينزف؟
- هذا ليس مستحيلًا على شخص عاش في بيت واحد مع مختل نفسي عامًا بعد عام، بالتأكيد سيتعلم بعض الحيل، و"هالفور" فتى ذكي.
- هل كانا حبيبين؟ أعني "هالفور" والفتاة "هولاند"؟
- نوعًا ما. لست سعيدًا بنظريتك، لكنني مضطر إلى أخذها في الاعتبار.
- هل ستعلن الخبر إذا؟
- سيكون عظيمًا لو أعطيتني ملف القضية، لكن على الأغلب سيكون مستحيلًا إثبات أي شيء بعد كل هذا الوقت، لا تقلق، لقد خدمت في شرطة محلية من قبل، وأعرف كم تتعلقون بالسكان.
- نظر المأمور عبر النافذة بحزن.
- في الغالب دمّرت وضع "هالفور" بإخبارك هذه المعلومات، إنه يستحق أفضل من ذلك، فهو أطيب فتى عرفته، لقد اعتنى بوالدته وأخيه طوال تلك السنوات، وسمعت أنه يعيش مع جدّته العجوز الآن ويعتني بها.
- هذا صحيح.
- لقد وجد حبيبة أخيرًا، لكن الأمر انتهى هكذا؟ كيف حاله؟ هل يتمالك نفسه؟
- نعم. ربما لم يتوقع شيئًا من العالم غير الكوارث المتتالية.
- قال المأمور وهو ينظر إلى "سير" مباشرة:
- حتى لو أنه قتل والده، فسيكون دفاعًا عن النفس، لقد أنقذ عائلته بأكملها، كان الاختيار إما هو أو هم، وجدت صعوبة في تصديق أنه قد يقتل لأي سبب، لذا ليس عدلاً أن نستخدم هذا كدليل ضده، إنها حادثة لم نتمكن من حلّها بالكامل، لقد استخدمت ميزة الشك لصالحه وبرأته.

مسّ فمه بيده وأضاف:

- المسكينة "ليلي" لم تعرف ماذا كانت تفعل عندما وافقت على الزواج من "توركيل مانتر"، كان والدي مأمور المنطقة من قبلي، وكان "توركيل" يسبب المشكلات على أيامه أيضاً، كان مشاعباً ووسيماً، و"ليلي" كانت جميلة جداً، لكان حظهما أفضل لو لم يجتمعا، لكن هناك بعض العلاقات لا يمكن أن تنجح. ألا توافقني؟

أوماً "سيير" وقال:

- لدينا اجتماع في القسم اليوم، وسيكون علينا تقييم التهم، أخشى أن..

- نعم؟

- أخشى أنني لن أتمكن من إقناع الفريق بإطلاق سراحه، ليس بعدما عرفته.

تصفح "هولتهيمان" التقرير ونظر إليهم بصرامة وكأنه يريد أن يخرج منهم نتائج إضافية قسراً بقوة نظرتهم. لو وقف رئيس القسم في طابور سوبر ماركت، لن يشك أي شخص في أنه رجل ذو منصب عالٍ ومزاج عكر، فهو نحيل وأشيب كعشب ذابل، لديه صلعة متعركة ولامعة، ونظرة حذرة خلف عدساته اللاصقة.

- ماذا عن ذلك الشخص في "كوليفين"؟ هل تحققت منه جيداً؟

- "رايموند ليك"؟

- السترة التي كانت تغطي الجثة تخصه. قال "كارلسين": إن هناك

شائعات تدور حوله.

قال "سيير":

- هناك الكثير من هذه الأمور، أي شائعات تقصد؟

- مثل أنه يقود في الشارع لينظر إلى الفتيات بشهوة، هناك أيضًا إشاعة عن والده أنه ليس مريضًا، بل يستلقي في السرير يقرأ المجلات الإباحية، ويترك ابنه المسكين يتولى رعايته، ربما قرأ "رايموند" هذه المجلات سرًا فثارت هرموناته.
- قال "سير":
- أظن أن الفاعل من أهل المنطقة بالتأكد، وأنه يحاول تضليلنا.
- هل تصدق "هالفور"؟
- نعم. كما أن لدينا شخصًا ظهر في ساحة "رايموند" وأقنعه بأن السيارة حمراء.
- احتمال بعيد، ربما كان مجرد جوال. "رايموند" ليس بكامل عقله، أليس كذلك؟
- عض "سير" شففته وقال:
- لا أظن أن "رايموند" ذكي بما فيه الكفاية ليؤلف قصة كهذه، بل أظن أن شخصًا ما تحدث معه بالفعل.
- وهل هو الرجل الذي تسلل خارج نافذة "هالفور"، ووضع حقيبة "آني" في الكشك؟
- من المحتمل نعم.
- أنت لست ساذجًا يا "كونراد"، هل تركت أحمق ومراهقًا يثيران شفتك؟
- انزعج "سير" بشدة، لا يحب أن يتم توبيخه، لكن ربما ترك مشاعره تعميه عن الحقائق فعلًا. كان "هالفور" الشخص الأقرب إلى الضحية، كان حبيبها.
- سأله "هولتهيمان":
- هل أخبرك "هالفور" أي تفاصيل؟
- نهض من على كرسيه وجلس على المكتب، مما يعني أنه أصبح ينظر إلى "سير" من الأعلى.
- قال "سير":

- لقد سمع صوت سيارة، على الأرجح قديمة، وإحدى أسطوانات المحرك معطوبة، جاء الصوت من الطريق الرئيسي.

- يوجد انعطاف هناك، لذلك فالكثير من السيارات تبطئ سرعتها.

- أدرك هذا. لنطلق سراحه، إنه لن يهرب.

- بعد ما أخبرتنا به، قد يكون قاتلاً، ربما قتل والده بدم بارد. وضعه يبدو سيئاً يا "كونراد".

- لكنه أحب "آني" بصدق، بطريقته الخاصة الغريبة. على الرغم من أنها لم تشجعه كثيراً.

- على الأرجح فقد صبره وسيطرته على نفسه. وإن فجر رأس والده حقاً، فهذا يوضح أن هناك الكثير من الاضطراب داخل عقل الفتى.

- لو أنه قتل والده، ونحن لسنا واثقين من هذا، فلا بد أنه لم يملك خياراً آخر. لقد تدمرت عائلته بعد سنوات من الإساءة والإهمال، كما تلقى ضربة سكين في وجهه، أنا متأكد أنه كانت ستتم تبرئته.

- محتمل. لكن تبقى الحقيقة هي أنه قادر على القتل، وهذا لا ينطبق على كل الناس. ما رأيك يا "سكاري"؟

كان "سكاري" يعض قلمه ويهز رأسه. قال:

- أظن الفاعل أكبر سنّاً.

- لماذا؟

- كانت "آني" بآتم صحة وعافية، وزنها خمسة وستون كيلوجراماً، ومعظمها عضلات، و"هالفور" ثلاثة وستون كيلوجراماً، أي إنهما بالوزن نفسه تقريباً. لو أن "هالفور" دفع "آني" إلى الماء، لواجه منها مقاومة عنيفة، ولتركت علامات على جسدها، مثل جروح وخدوش. لكن كل الدلائل تشير إلى أن القاتل كان أكبر منها، وعلى الأرجح أثقل أيضاً. وفقاً لما رأيته، أظن أن "آني"

كانت أقوى من "هالفور" جسديًا، لا أنفي قدرته على فعلها، لكن أقول إنها مهمة صعبة جدًا عليه.

أوما "سيير" بصمت. قال "هولتهيمان":

- حسنًا، هذا منطقي. لكن لم يبقَ لدينا شيء، هل وجدنا أي أشخاص مقربين من "آني" ولديهم دافع لقتلها؟

- "هالفور" ليس لديه دافع واضح أيضًا.

- لديه الحقيبة وارتباط عاطفي قوي. أنا من يتولى المسؤولية هنا على الرغم من كرهى لهذا يا "كونراد". ماذا عن "أكسيل بيورك"؟ إنه محطم وسكير وسيئ المزاج، هل تحققتُم منه؟

- لا نملك أي دليل على وجود "بيورك" في "لوندباي" يوم الجريمة.

- فهمت. وفقًا للتقرير، فأنتما تبدوان مهتمين أكثر بوفاة طفلٍ في الثانية.

ابتسم لهما لكن ليس بسخرية واضحة.

- ليس في الطفل نفسه، بل في ردِّ فعل "آني". قد حاولنا أن نعرف سبب التغيير في شخصيتها، ربما يتعلق الأمر بالفتى، أو ربما بمرضها. كنت أتمنى أن أجد معلومة في هذا الخط.

- مثل ماذا؟

- لا أعرف. تكمن صعوبة القضية في أننا لا نعرف ماهية الرجل الذي نتعامل معه.

قال "هولتهيمان" بحدة:

- ربما قاتل عادي، لقد دفع رأسها تحت الماء حتى ماتت، لم نجد خدشًا واحدًا عليها.

- لهذا أظن أنهما كانا يجلسان جنبًا إلى جنبٍ على الضفة ويتحدثان بكل أريحية، ربما كان لديه ما يضغط به عليها، فجأة وضع يده على مؤخرة عنقها

ودفعها على بطنها في الماء، كل هذا في لحظة، لكن الفكرة خطرت له قبل ذلك، ربما في السيارة أو على الدراجة النارية.

قال "سكاري":

- لا بدّ أنه كان مبتلاً وموحلاً.

- ألم يرَ أحد دراجة نارية في "كوليفين"؟

- فقط سيارة مسرعة، لكن مالك محل "هورجين" رأى دراجة نارية، لم يرَ

"آني"، لم يرَها "يونس" تركب الدراجة، بل أنزلها من السيارة ورأى دراجة نارية، وظن أنها متجهة إليها.

- هل لديك خيوط جديدة تتبعها؟

- "ماني يونس".

- ماذا عنه؟

- ليس حقاً. يبدو مهووساً بالعضلات، وهو مهتم بـ"آني" منذ وقت، لكنها

لم تهتم به، ربما هو من النوع الذي لن يتسامح في هذا، إنه أيضاً يذهب إلى

"لوندباي" من آن إلى آخر لزيارة أصدقائه القدامى، وهو يقود دراجة نارية،

ويبدو أنه ارتبط بـ"سولفي" بدلاً من أختها الآن. لا يمكننا استبعاده بأي حال.

- أوماً "هولهيمن" وسأله:

- ماذا عن "رايموند" ووالده؟ هل صحيح أن "رايموند" كان خارج البيت

لوقتٍ طويل؟

- ذهب إلى المحل، وعندما عاد جلس وقتاً وشاهد "رانهيلد" وهي نائمة.

قال "هولتهيمن" ساخراً:

- يا لها من حجة غياب قوية يا "كونراد"، حسب فهمي فهو شخص

انفعالي وقوي البنية بعقلية ولد في الخامسة.

- بالضبط. ولا يوجد الكثير من القتلة في الخامسة من العمر.

هز "هولتهيمان" رأسه وقال:
- لكنه مهتم بالفتيات، صحيح؟
- نعم. لكن لا أظنه يعرف ماذا يجب أن يفعل معهن.
- لسنا متأكدين من صحة كلامك، لديك حدسٌ قوي، لكن عليك أن تدرك شيئاً.
ورفع إصبعه إلى "سير" وأضاف:
- أنت لست بطلاً في رواية بوليسية، حاول أن تظل حيادياً.
أرجع "سير" رأسه إلى الوراء وضحك بشدة لدرجة أن "هولتهيمان" انتفض.
- هل فاتني شيء؟
وضع إصبعه تحت نظارته وفرك عينيه ثم رمش بها وواصل كلامه:
- إن لم يحدث جديد في القضية، سأضطر إلى اتهام "هالفور". لكن لماذا قد يأخذ القاتل حقيبة "آني" إلى البيت معه؟
- لو ذهب بالسيارة، فبالتأكيد توقفاً عند المنعطف وخرجاً وتركاً الحقيبة في السيارة. بعدها سيكون غريباً أن يأخذها ويعود ليرميها في الماء.
- منطقي.
قال "سير" وهو ينظر إليه:
- سؤال واحد، لو أن البصمة التي على حزام "آني" ليست لـ "هالفور"، هل نطلق سراحه؟
- دعني أفكر في هذا.

ذهب "سير" إلى الخريطة المعلقة على الجدار، حيث الطريق من "كريستالين" كان معلماً بالأحمر، عبر الطريق الدائري، مروراً بمحل "هورجين" وحتى "كوليفيين"، وصولاً إلى البحيرة. هناك قطع مغناطيسية خضراء تحدد موقع كل مكان شوهدت فيه "آني"، كانت قطع المغناطيس

تشبه الرجل الأخضر في علامة "اعبر" في إشارة المرور، هناك مغناطيس عند بيت "آني" في "كريستالين"، وآخر عند تقاطع "نيسفيين" حيث عبرت الشارع لتأخذ طريقًا مختصرًا، وثالث عند الطريق الدائري حيث رأتها امرأة وهي تركب سيارة "يونااس"، ورابع عند محل "هورجين". تم وضع علامة أيضًا عند سيارة "يونااس" والدراجة التي كانت خارج المحل. أخذ "سيير" إحدى قطع المغناطيس التي تشير إلى مكان "آني"، والقطعة الخاصة بمحل البقالة، ثم وضعهما في جيبه.

- مَنْ كان الشخص الأقرب إليها؟ هل كان "هالفور"؟ ما احتمالات أن يتمكن شخص من اصطحابها في هذا الوقت القصير، عندما سارت من سيارة "يونااس" إلى المحل وحتى تم العثور عليها؟ لم تظهر الدراجة النارية في الأحداث، لم يرها أحد تركب عليها.

- لكنها كانت ستقابل شخصًا ما، أليس كذلك؟

- كانت ذاهبة إلى بيت "أنيت".

قال "هولتهيمان":

- هذا ما أخبرتنا به السيدة "هولاند". ربما كان لديها موعد آخر.

- إذا كانت ستخاطر بأن تتصل "أنيت" وتساءل عليها في المنزل.

- عرفت "آني" أن "أنيت" لن تتصل.

- أظن أنك محق. لكن ماذا لو أنها لم تخرج من سيارة "يونااس" أصلًا؟

ماذا لو أن الأمر بهذه البساطة؟

وقف وسار بضع خطوات بينما تدور أفكاره:

- طوال هذا الوقت اعتمدنا على كلمة "يونااس" لمعرفة ما فعلته.

- على حد علمي، إنه رجل أعمال محترم يملك معرضًا خاصًا وسمعته لا غبار عليها، كما أنه كان ممتنًا لـ "آني" لأنها كانت تساعدنا دائمًا في رعاية ابنهما المتعب.

- بالضبط، كانت تعرفه، وهو كان يَكُنُّ لها شعورًا طيبًا.
أغمض عينيهِ وقال:

- ربما أخطأت.

مال "هولتهيمان" للأمام وقال:

- ماذا تعني؟

كرر:

- أتساءل لو أنها قد أخطأت.

- بالطبع. لقد ذهبت وحدها مع قاتل إلى مكان معزول.

- وكيف لها أن تعلم أنه كذلك، لكن حتى لو كانت تعرفه، فلا بد أنه كان مقربًا منها بشدة حتى تذهب معه رغم حذرنا الشديد.

قال "سير":

- ربما تشاركا سرًا.

- ربما علاقة غرامية؟

وضع "سير" المغناطيس الذي يحدد مكان "آني" واستدار وعلى وجهه نظرة متشككة.

قال "هولتهيمان" مبتسمًا:

- لن تكون المرة الأولى. بعض الشابات ينجذبن إلى الرجال الأكبر سنًا، هل لاحظت هذا بنفسك يا "كونراد"؟

قال "سير":

- ينكر "هالفور" وجود رجل آخر في حياتها.

- بالطبع سيفعل، فهو لن يتحمل هذه الفكرة.
- ربما كانت على علاقة مع رجل له زوجة وأولاد ومرتب مغرٍ، وكانت ستكشفها، هل هذا ما تقصد؟

- أنا فقط أفكر بصوتٍ مسموع، قال "سنوراسون" إنها لم تكن عذراء.
أوماً "سير" وقال:

- هي و"هالفور" حاولا أن يمارسا الحب مرة أو مرتين رغم كل شيء، أظن أن كل رجل في "كريستالين" مرشح محتمل، فهم يرونها كل يوم كلما خرجت، صيفاً وشتاءً، شاهدوها وهي تكبر وتزداد جاذبية، كانوا يوصلونها بالسيارة كلما احتاجت، اعتنت بأطفالهم، دخلت بيوتهم وخرجت منها، وثقت بهم، كلهم رجال بالغون عرفتهم جيداً. هناك واحد وعشرون منزلاً في الحي، أي عشرون بخلاف منزلها "فريزنر" و"إرماك" و"سولبيرج" و"يوناك". إنهم عصابة، ربما أحدهم كان يطمع فيها سرّاً.

- يطمع فيها؟ ظننت أنه لم يحدث اعتداءً جنسي؟
- ربما قاطعه أحد.

نظر "سير" إلى الخريطة على الجدار، بدأت الاحتمالات تزداد، لكن كيف يمكن لأي شخص أن يقتل الفتاة ويتركها دون أن يلمسها؟ لم يعتد على الجثة، لم يبحث عن مجوهرات أو مال، لم يترك أي علامة تدل على إحباط أو غضب أو سلوك منحرف، بل أرقدها بحرصٍ واهتمام، وملابسها بجانبها. أخذ مغناطيساً آخر وضغطه بين أصابعه ثم أعاده إلى الخريطة على مضض.

لاحقاً، سار "سير" ببطء إلى البحيرة.

حاول أن يتخيلهما يسيران في هذا الطريق، "آني" ترتدي بنطلوناً جينزاً وكنزة زرقاء، وبجانبها رجل، ظهر ظله في مخيلة "سير"، ظل أسود، غالباً

أكبر وأضخم من "آني"، ربما خاضا مناقشة سرّية بينما يسيران في الغابة، ترك العنان لخياله ليتصور الأحداث، الرجل يشير ويوضح بينما تهز "آني" رأسها، فواصل بانفعالٍ أشدّ محاولاً إقناعها، اقتربا من البحيرة التي لمعت تحت الأشجار، جلس على صخرة ولم يلمسها بعد، جلست جانبه على مضض، كان الرجل معسول الكلام ولطيفاً وودوداً، أو ربما متوسلاً، لم يكن "سير" متأكداً، بعدها وقف الرجل فجأة ورمى نفسه عليها، فتناثر الماء بسبب سقوطها في الماء وهو فوقها، عندها استخدم الرجل ثقله ويديه ليغرقها، طارت العصافير بفزعٍ وهي تصرخ، ضمت "آني" شفّتيها بقوة حتى لا يدخل الماء رئتيها، قاومت وحفرت أظافرها في الوحل، بينما تفقد وعيها وتنساب منها الحياة إلى الماء المتلألئة. نظر "سير" إلى الشاطئ الصغير.

مضى وقت طويل، وتوقفت "آني" عن الركل والتلويح، وقف الرجل واستدار لينظر إلى الطريق، لم يَرهما أحد. كانت "آني" راقدة على بطنها في الماء الموحد، ربما شعر أنه من الخطأ تركها هكذا، لهذا سحبها من الماء، وبدأ يفكر، قد تجدها الشرطة، وتمشط المنطقة، وتستنتج ما حدث، شابة ميتة في الغابة. إذًا، فالفاعل مغتصب تجاوز الحد بالتأكيد، لذلك خلع ثيابها، لكن بحرص، فكّ الأزرار والسحاب والحزام، ووضع ملابسها بنظامٍ بجانبها، لم يحب وضعية الجثة الراقدة على ظهرها وساقاها متباعدتان، لكنها الطريقة الوحيدة التي مكنته من خلع البنطلون الجينز، أدارها على جانبها ووضع ذراعيها أمامها، لأن آخر صورة رآها لها ستظل عالقة في عقله إلى الأبد، والطريقة الوحيدة التي ستساعده على احتمال الأمر هي أن يجعل مرقدتها يبدو مسالماً وهادئاً بقدر الإمكان.

كيف جراً على قضاء كل هذا الوقت؟

ذهب "سير" إلى البحيرة ووقف على بعد سنتيمتراتٍ قليلة من الماء، وقف هكذا لوقتٍ طويل، تذكر كيف وُجدت، أول ما خطر بباله لم يكن الشرّ، بل

اليأس والحزن. تخيل رجلًا بائسًا يتخبط في ظلامٍ قاتم، الجو بارد وخانق، والرجل يخبط رأسه في جدار برميل بينما يتنفس بصعوبة ويعجز عن الهرب، وفجأة حطم الجدار وخرج، هذا البرميل كان "آني".

استدار "سير" وعاد ببطء. إن سيارة القاتل، أو ربما دراجته، كانت على الأرجح مركونة هنا حيث ترك سيارته الـ"بيجو"، فتح القاتل السيارة ولمح الحقيبة المدرسية، تردد للحظة لكنه لم يخرجها، بل قاد ومعه دليل الجريمة، مرَّ ببيت "رايموند" ورأى الفتى الغريب والفتاة الصغيرة مع عربة الدمية، رأيا سيارته، قال لنفسه إن بعض الأطفال يجيدون تذكر التفاصيل، فشعر بأول طعنة من الخوف، واصل القيادة ومر بثلاث مزارع حتى وصل إلى الطريق الرئيسي أخيرًا. عندها توقف خيال "سير".

ركب سيارته وقاد، لمح في المرأة سحابة من الدخان تخلفها سيارته، كان بيت "رايموند" هادئًا، يكاد يكون مهجورًا، هناك أرانب بيضاء وبنيّة جرت في أقفاصها عندما مرَّ، رأى الشاحنة المعطوبة مركونة في باحة البيت، شاحنة قديمة، وربما تكون إحدى أسطوانات المحرك معطلة. ذكرته عشة الدجاج خلف الشاحنة بطفولته، قبل سنوات من انتقالهم من الدنمارك إلى النرويج، كان يرَبُّون دجاجًا صغيرًا في قفص بجوار حديقة الخضراوات، كان يجمع البيض كل صباح، بيضًا صغيرًا جدًّا، كامل الاستدارة، لا يزيد حجمه على بلية كبيرة. ظن "سير" أنه رأى في مرآة الرؤية الخلفية ستارة تحركت، عند نافذة والد "رايموند".

استدار يمينًا ومر بمحل "هورجين" حيث وقفت الدراجة النارية. تقف مكانها الآن سيارة "شيفروليه" زرقاء و"بيتش باجي" أصفر، إنه علامة واضحة على بداية الربيع. فتح النافذة وشعر بالنسيم الدافئ على وجهه. قد يكون دافع الجريمة جنسيًا بالطبع، على الرغم من عدم وقوع اعتداء، ربما كان يكفي أن يخلع ملابسها ويراهها مستلقية عاجزة وعارية وساكنة، بينما يستمني

بعد طول انتظار ويتخيل ما كان يمكن أن يفعله لها لو أراد. تخيل القاتل أنها قد تتحمل أي شيء، كان يمكن أن يحدث هذا بالفعل. انزعج "سير" من كثرة الاحتمالات، واصل القيادة في الطريق الرئيسي، وتوقف عند المنعطف المؤدي إلى الكنيسة. سمح لجرار يحمل صناديق كرنب أن يتجاوزه، ثم استدار إلى المنعطف، اختفت الأزهار الذابلة على قبر "آني"، ووضعوا شاهد قبر بدلاً من الصليب الخشبي، مجرد حجر رمادي عادي، مستدير ولامع، وكأن البحر بنفسه قد غسله ولعنه، ربما جاء هذا الحجر من الشاطئ حيث كانت تنزلج "آني" في الصيف، قرأ النقش المكتوب:

"آني صوفي هولاند"، غفر الله لك".

صدمه الكلام قليلاً، فأخذ يفكر إن كان يعجبه أم لا، ثم قرر أنه لم يحبه، فلقد أوحى إليه أنها فعلت شيئاً خاطئاً يحتاج إلى طلب المغفرة، أثناء مغادرته مر بقبر بـ"إيسكيل يونس"، وضع شخصٌ ما باقة زهور على القبر، ربما بعض الأطفال.



الفصل الثاني عشر



احتاج "كولبيرج" إلى قضاء حاجته، أخذ "سيير" الكلب خلف البناية وتركه يفعل ما يريد بين الشجيرات، ثم استقل المصعد إلى الأعلى. ذهب إلى المطبخ ونظر في "الفريزر"، وجد علبة سجق صلب كالأسمنت، وبيتزا، وعلبة صغيرة مكتوب عليها "شرائح لحم"، ضغط عليها وهو يبتسم ويتذكر شيئاً. قرر أن يحضر بعض البيض بدلاً من شرائح اللحم، أربع بيضات مقلية مع ملح وفلفل له، وشرائح سجق للكلب. التهم "كولبيرج" طعامه ثم تمدد تحت الطاولة. أكل "سيير" البيض وشرب بعض الحليب بينما يرخي قدمه تحت صدر الكلب، استغرق عشر دقائق لإنهاء وجبته. فرد الصحيفة أمامه بجانب طبقه. "القبض على حبيب الضحية".

زفر بانزعاج، إنه لا يتحمل الصحافة وأسلوبهم في إظهار مآسي الناس، نظف الطاولة وشغل ماكينة القهوة، ربما "هالفور" قتل والده. ارتدى قفازاً ودفع البندقية داخل كيس النوم وضغطها بين يديه، وسحب الزناد، ثم مسح الأرض أمام كشك الأدوات، وعاد مسرعاً إلى غرفة النوم، إلى أخيه الذي كان يشعر بولاء شديد لـ "هالفور"، لدرجة أنه لن يقول أبداً إن "هالفور" لم يكن في السرير في لحظة إطلاق الرصاصة.

أخذ "سيير" قهوته إلى غرفة النوم. وعندما انتهى، استحم، وتصفح كتالوجًا عن الحمامات وملحقاتها، كانوا يعرضون خصمًا على بلاط الحمام، من بينهم بلاط أبيض عليه دلافين زرقاء، استلقى على الأريكة التي لم تكن مريحة جدًّا، كانت قصيرة عليه، فاضطر إلى رفع قدميه على المسند، منعتة الوضعية المتعبة من النوم، لو نام الآن فلن ينام بعمق في الليل، وهو لا يرغب في إفساد ليلته، فالنوم صعب بما فيه الكفاية بسبب الطفح الجلدي. نظر إلى النافذة ولاحظ أنها بحاجة إلى التنظيف، وجوده في الطابق الثالث عشر يعني أن نافذته لا تطل على شيء إلا السماء الزرقاء التي أصبحت بنفسجية في ضوء الغروب.

فجأة رأى ذبابة تزحف على الزجاج من الداخل، ذبابة زرقاء بدينة، هذه أيضًا إحدى علامات الربيع. ظهرت واحدة أخرى تزحف على الإطار، وتدور بالقرب من الأولى. إنه لا يبغض الذباب، لكن هناك شيء مقزز في طريقة فركه لأرجله، تبدو حركة خاصة للغاية، مثلما يحكُّ الشخص أعضائه الحميمة أمام أحد. بدا الذباب وكأنه يبحث عن شيء، جاءت واحدة أخرى، حلق فيهم بانزعاج، ثلاث ذبابات على نافذته في الوقت نفسه، من الغريب أنها لا تطير بعيدًا. إنهم يتجمعون واحدة تلو الأخرى، قريبًا ستمتلئ النافذة كلها بذباب أسود كبير. أخيرًا طاروا بعيدًا واختبئوا خلف الكرسي القريب من النافذة. تجمع الكثير منهم حتى أصبح بإمكانه سماع طنينهم، نهض على مضض تاركًا الأريكة، بالتأكيد هناك شيء ما خلف الكرسي يتغذون عليه. وقف وعبر الغرفة مقتربًا بحذر وقلق، أزاح الكرسي، فطار الذباب في كل اتجاه كالعاصفة، والباقي منهم على الأرض يأكل شيئًا، وخزه بإصبع قدمه، فوجده قلب تفاحة متعفنًا وطريًا.

فجأة نهض جالسًا وهو يشعر بالدوار، وجد نفسه ما زال على الأريكة وقميصه غارق بالعرق. فرك عينيه مرتبكا، نظر إلى النافذة فلم يجد شيئًا، لقد

كان يحلم. رأسه ثقيلة ومشوشة، وعنقه متيبس، وقدماه أيضًا. وقف ولم يقاوم رغبته في النظر خلف الكرسي، لم يجد شيئًا، ذهب إلى المطبخ ليحضر زجاجة ويسكي وعلبة من التبغ، لكن "كولبيرج" نظر إليه بلهفة، فغير رأيه وقال:
- حسنًا، لنتمشى قليلًا.

استغرقا ساعة للسير من المبنى السكني إلى الكنيسة في وسط المدينة. فكر في والدته، عليه زيارتها، لقد مضى وقتٌ طويل منذ رآها آخر مرة. فكر بحزن أن يومًا ما ستنظر ابنته "إنجريد" إلى التقويم وتفكر في الأمر نفسه: "عليّ زيارة والدي، لقد مر وقتٌ طويل". بلا سعادة، بدافع الواجب ليس إلا. ربما كان "سكاري" محققًا، ربما ليس منطقيًا أن تحيا حتى تصير عجوزًا كجذر شجرة وتستلقي على السرير كعبدٍ ثقيل. أسرع الخطى وهو مندهش من اتجاه أفكاره، ظل "كولبيرج" يقفز ويثب من حوله، لكن ليس جيدًا أن يترك الدنيا ببساطة، سوف يغير بلاط الحمام أولًا، لو كانت "إليز" موجودة لأحبت ذلك البلاط، إنه متأكد، لو عرفت أنه لم يصلحه بعد.. لا، لا يريد أن يعرف حتى ماذا كان سيحدث، لقد قضى ثماني سنوات مع البلاط المشابه للرخام. أخيرًا عاد وصب لنفسه كأس ويسكي استحققه عن جدارة. تأخر الوقت الآن، ربما يمكنه النوم بعمق، رن جرس الباب بمجرد أن أغلق الزجاجة. إنه "سكاري"، لكنه لم يكن خجولًا كالمرّة السابقة. جاء سيرًا على الأقدام، لكنه عبس عندما قدم له "سيير" ويسكي، وسأله:

- أليس لديك بيرة؟

- لا، لكن يمكنني أن أسأل "كولبيرج"، أحيانًا يكون لديه بضع زجاجات في الثلاجة.

ذهب "سيير" وعاد مع زجاجة.

- هل تعرف كيفية تركيب بلاط الحمام؟

- بالتأكيد، أخذت دورة تدريبية، سرُّ الصنعة هو ألا تبخل في التجهيزات.
هل تحتاج إلى مساعدة؟
- أشار "سير" إلى بلاط الدولفين الأزرق في الكتالوج، وسأله:
- ما رأيك في هذا؟
- جميل. ما البلاط الذي لديك الآن؟
- سيراميك على شكل رخام.
- أوماً "سكاري" بشفقةٍ ورفع البيرة وقال:
- لم تتطابق بصمات "هالفور" بالبصمات على حلقة حزام "آني". وافق
"هولتهيمان" على إطلاق سراحه حالياً.
- لم يجب "سير". شعر بمزيجٍ من الراحة والانزعاج، كان سعيداً لأن الفاعل ليس
"هالفور"، لكنه انزعج لأن ليس لديهم مشتبه به، ثم قال فجأة ببراءة أدهشته:
- رأيت كابوساً. حلمت بوجود تفاحة عفنة خلف ذلك الكرسي، وكانت
مغطاة بذياب أسود كبير.
- سأله "سكاري" وهو يبتسم:
- وهل تفقدت خلف الكرسي حين استيقظت؟
- أخذ "سير" رشفة من الويسكي وقال:
- مجرد غبار. هل تظن أن الأحلام تعني شيئاً؟
- ربما نسينا البحث خلف قطعة أثاث، ربما هناك دليل أمام أعيننا طوال الوقت
لكننا غفلنا عنه، إنه تحذير بالتأكيد، علينا فقط أن نعرف ماذا يمثل الكرسي.
- قال "سير" مازحاً:
- هل سنعمل في مجال الأثاث الآن؟
- ضحك على دعايته الخاصة، وهذا حدثٌ نادر. قال "سكاري":

- كنت آمل أن يكون لديك خطة مفاجئة، لا أصدق أننا لم نحقق أي تقدم، الأسباب تجري بسرعة، وقضية "آني" تتقدم، وأنت من عليه تقديم المشورة.
- ماذا تعني؟
- قال "سكاري":
- إنه اسمك. معنى "كونراد" هو الشخص الذي يعطي النصيحة.
- رفع "سير" حاجبه عاليًا بينما الآخر مستقر مكانه، وسأله:
- كيف عرفت هذا؟
- لديّ كتاب أبحث فيه عن معاني الأسماء كلما قابلت شخصًا جديدًا.
- سأله "سير" فورًا:
- ما معنى "آني"؟
- جميلة.
- يا إلهي! يبدو أنني لم أحقق معنى اسمي الآن. لكن لا تشعر بالإحباط يا "جايكوب".
- ثم سأله بفضول:
- بالمناسبة، ما معنى "هالفور"؟
- "هالفور" يعني "الحارس".
- انتبه "سكاري" بدهشة أنه ناداه "جايكوب"، إنها المرة الأولى التي يناديه فيها باسمه الأول.

شارفت الشمس على الغروب وهي تميل نحو الشرفة الجميلة، وتسقط ضوءها الدافئ عليها حتى يستطيعوا أن يخلعوا ستراتهم. انتظروا حتى تسخن الشواية، فاحت رائحة الفحم والوقود السائل مع رائحة الليمون من إصيص الزرع الذي سقته "إنجريد" للتو.

كان "سير" جالسًا وحفيده على حجره، ظل يؤرجحه حتى آلمته عضلات فخذيه، سيفتقد شيئًا مهمًا في حياته عندما يكبر هذا الولد، خلال بضع سنوات ليصبح أطول من جده وسيتغير صوته. لطالما شعر "سير" بنوعٍ من الحزن كلما حمل "ماتْيوس" على حجره، لكنه في الوقت نفسه يشعر بسعادة ملموسة لا يمكن وصفها.

التقطت "إنجريد" حَقَّها من على أرضية الشرفة، ونفضته ثلاث مرات، ثم ارتدته.

- لماذا تفعلين هذا؟

قالت وهي مبتسمة:

- إنها عادة قديمة، منذ عشت في الصومال.

- لكن ليس لدينا ثعابين أو عقارب هنا.

- لا أستطيع منع نفسي، كما أنه لدينا دبابير وأفاعي مجلجلة.

- هل تظنين أن أفعى مجلجلة قد تختبئ في حذائك؟

- لا أعرف.

عانق حفيده وداعب عنقه بأنفه. قال "ماتْيوس":

- هز ساقيك أكثر.

- لقد تعبنا. لم لا أقرأ لك كتابًا؟

قفز الولد وأسرع داخل الشقة، سألته "إنجريد" برقة كالأطفال:

- كيف أمورك حقًا يا بابا؟

حقًا.. ما تقصده هو "بصراحة"، "كيف أمورك بصراحة يا بابا؟". تعني

ماذا يشعر في أعماقه، أو ربما هي صيغة أخرى لتسأله إن كان قد حدث له شيء

جديد، مثل أن يجد حبيبة، أو يكون على علاقة رومانسية بعيدة المدى مع

شخصٍ ما، وهذا لم يحدث، لم يستطع أن يتخيل هذا.

قال محاولاً أن يبدو ساذجًا:

- بخير، لكن ماذا تقصدين؟
- كنت أتساءل لو أن الأيام لم تعد مملة بالنسبة لك.
كانت حذرة جدًا، خطر له أنها تنوي على شيء ما بالتأكيد. قال:
- كنت مشغولاً جدًا بالعمل، كما أنكم معي.
الجملة الأخيرة جعلتها تنفعل وهي تحضر السلطة، وتضع الطماطم والخيار بعصبية، ثم قالت بسرعة:
- نعم، لكننا نفكر في العودة إلى الجنوب لمدة أخيرة.
اختلست النظر إليه وبدأ عليها الشعور بالذنب، كرر:
- الجنوب؟ إلى الصومال؟
- حصل "إريك" على عرض، لم نعطيهم موافقتنا بعد لكننا نفكر جدياً،
"ماتئوس" هو جزء من السبب، فنحن نريده أن يرى بلده الأم ويتعلم اللغة، لو
غادرنا في أغسطس، فسنلحق ببداية العام الدراسي.
ثلاث سنوات، ثلاث سنوات بدون "إنجريد" و"ماتئوس"، لن يأتوا إلى
النرويج إلا في الكريسماس، سيتواصلون بالخطابات والبطاقات البريدية،
سيزداد حفيده طويلاً مع كل زيارة، وسيزداد عمره سنة كل مرة، يا لها من
تغيرات كثيرة.
- أنا متأكد أنهم بحاجة إليكما في الجنوب، بالتأكيد لا تظنين أن حاجتكِ إلى
الاعتناء بي ستمنعك من الذهاب، أليس كذلك؟ فأنا لست في التسعين من عمري
يا "إنجريد".
احمر وجهها حرجاً وقالت:
- أنا أفكر في جدتي أيضاً.
- سأعتني بأمي. احترسي، فأنتِ تسحقين السلطة تماماً.
- لا أحب أن أتركك بمفردك.

- معي "كولبيرج".
- لكنه مجرد كلب.
- لحسن حظك أنه لا يفهم ما تقولين.
- نظر "سير" إلى "كولبيرج" النائم بسلام تحت الطاولة.
- نحن نتدبر أمرنا، عليك الذهاب إن أردت، هل سئم "إريك" من معالجة الزائدة الدودية والتهاب اللوز؟
- الأمور مختلفة هناك، يمكننا أن نكون أكثر فائدة.
- ماذا عن "ماتْيوس"؟ ماذا ستفعلين معه؟
- سيذهب إلى حضانة أمريكية مع الكثير من الأطفال، بالإضافة إلى أن لديه أقارب هناك لم يقابلهم من قبل، وهذا لا يعجبني، أريده أن يعرف كل شيء.
- أمريكية؟ ماذا تعنين بـ "يعرف كل شيء"؟
- فكر في والدي "ماتْيوس" الحقيقيين ومصيرهما.
- لن نخبره عن والدته إلا عندما يكبر.
- عليكم الذهاب!
- نظرت إليه وابتسمت.
- ماذا كانت ستقول أمي يا ترى؟
- الشيء نفسه، ثم تبكي في سريرها لاحقاً.
- وأنت لا؟
- جاء "ماتْيوس" راكضاً ومعه كتاب مصور وتفاحة. قال "سير" وهو يقرأ:
- "كانت ليلة مظلمة وعاصفة"؟ أليس هذا مخيفاً قليلاً؟
- قال حفيده باستخفاف وهو يقفز على حجره:
- لا!
- قالت "إنجريد":

- لقد سخن الفحم، سأضع شرائح اللحم.
- افعلي.
- وضعت اللحم على الشواية، أربع قطع، ثم دخلت لتحضر المشروبات.
- همس "ماتْيوس" في أذنه:
- لديّ ثعبان مطاطي أخضر في غرفتي، هل نضعه في خفّها؟
- تردد "سيير":
- لا أعرف. هل تظنها فكرة جيدة؟
- ألا تعجبك؟
- بصراحة، لا.
- كبار السن جبّناء، أنا من ستلومه بأي حال.
- حسنًا، سأدير رأسي حتى لا أرى ما ستفعله.
- نزل "ماتْيوس" وجرى ليحضر ثعبانه ثم حشره بحذر في خفّ والدته،
- بعدها قال لـ "سيير":
- يمكنك أن تواصل القراءة الآن.
- ارتجف "سيير" عندما تخيل أصابع ابنته وهي تلامس الثعبان المطاطي.
- "كانت ليلةً مظلمة وعاصفة، امتلأت الجبال باللصوص والذئاب". هل
- أنت واثق أن هذه القصة ليست مخيفة بالنسبة لك؟
- لقد قرأتها لي ماما كثيرًا.
- ثم أخذ قضمّة كبيرة من التفاحة ومضغها بسعادة. قال "سيير":
- لا تأخذ قضمّة كبيرة حتى لا تنحشر في حلقك.
- اقرأ يا جدي!
- فكر "سيير" في أنه أصبح عجوزًا قلقًا بالتأكيد، كرر:
- "كانت ليلةً مظلمة وعاصفة".

عادت ابنته "إنجريد" حاملة ثلاث زجاجات بيرة وصودا، توقف ونظر مطولاً إليها، وإلى "ماتْيوس" أيضاً.
- لماذا تنظران إليّ هكذا؟ ما خطبكما؟
قالا معاً وهما ينظران في الكتاب:
- لا شيء.

وضعت الزجاجات على الطاولة، وفتحتها، ثم بحثت عن خُفّها، التقطته ونفضته ثلاث مرات، لكن لم يسقط شيء، لا بدّ أن الثعبان انحسر في الداخل، هكذا فكرا بمرح، وفجأة حدث كل شيء. جاء "إريك" زوج "إنجريد"، وقفز "ماتْيوس" من على حجر "سير" وأسرع إلى الغرفة، وخرج "كولبيرج" من تحت الطاولة وهز ذيله بشدة لدرجة أن الزجاجات وقعت على الأرض. وارتدت "إنجريد" خُفّها.

وقفت "سولفي" في غرفتها تخرج أشياء من صندوق. لوهلة اعتدلت ونظرت عبر النافذة إلى الجانب الآخر من الشارع، رأت "فريزنر" يقف عند نافذته ممسكاً بكأس، رفعه إليها وكأنه يقدم نخباً.
صحيح أنها لا تمانع أن ينظر إليها الرجال، لكن "فريزنر" كان أصلع، لم تستطع أن تتخيل حياتها مع رجل أصلع، إنها مثل الحياة مع شخص بدين، لا مكان لهما في حياتها، والدها أصلع لكنها لا تنزعج من هذا، يمكن لأي رجل أن يكون أصلع، لكن ليس الرجل الذي ترتبط به. نظرت إلى النافذة مجدداً فلم تره، لقد رحل، على الأرجح جلس في قاربه مجدداً، إنه غريب.
سمعت جرس الباب وذهبت لتفتح، كانت ترتدي بنطلوناً أزرق فاتحاً وحزاماً فضاً وحذاءً خفيفاً كأحذية الباليه.
قالت:

- هذا أنت! أنا أنظف غرفة "آني". تعال، سيصل ماما وبابا في أي لحظة.
تبعها "سير" عبر غرفة المعيشة إلى غرفتها المجاورة لغرفة "آني"، كانت أكبر قليلاً، ومزينة بلوحات زيتية، هناك صورة لأختها على طاولة السرير.
قالت بابتسامة معذرة:

- لقد ورثت بعض الأشياء منها، قطع ديكور صغيرة وثياب، ولو استطعت
إقناع أبي، أرغب في هدم الجدار الفاصل بين الغرفتين لأحصل على غرفة كبيرة.
- هذا لطيف.

شعر بالحرّج من نفسه عندما استنكر كلامها، فليس من حقه انتقاد الناس،
إنهم يعانون لمواصلة حياتهم، ولديهم كل الحق في فعل ذلك بطريقتهم
الخاصة، لا أحد يمكنه أن يأمر أحداً بكيفية الحزن، وبخ نفسه ثم نظر حوله،
لم يرَ غرفة بهذا العدد من قطع الديكور.
قالت:

- سأحصل على تليفزيون خاص أيضاً، بهوائي إضافي ليلتقط قناة
"تليفزيون النرويج".

انحنّت على صندوق على الأرض وبدأت تخرج المزيد من الأغراض وهي تضيف:
- معظمها كتب، لم تملك "آني" أي أدوات زينة أو مجوهرات وما شابه،
هناك أيضاً الكثير من الأسطوانات والشرائط.

- هل تحبين القراءة؟

- ليس حقاً. لكن رفوف الكتب تبدو جميلة وهي ممتلئة.
أوماً موافقاً.

- هل حدث شيء؟

- في الواقع، نعم. لكننا لا نعرف بعد ما معناه.
أخرجت شيئاً آخر من الصندوق، كان ملفوفاً بورق جرائد:

- إَذَا، هل تعرفين "ماني يوناس" يا "سولفي"؟
- نعم.
ظن أنه رأى حمرة خجل على وجهها، لكن خديها حمراوان بالفعل، لذلك هو ليس واثقًا.
- إنه يعيش في أوصلو الآن، ويعمل في "جيم أند جريير".
- هل تعرفين شيئًا كان يجمعه بـ "آني"؟
سألته بنظرة حائرة:
- شيء يجمعهما؟
- ربما كان بينهما علاقة رومانسية أو ربما كان "ماني" يحبها، أو ربما حاول الارتباط بها قبل علاقته بك؟
قالت ببساطة:
- لقد سخرت "آني" منه. على كل حال، "هالفور" ليس بالفتى الذي تتباهى به، على الأقل "ماني" يبدو رجوليًا، أعني أن لديه عضلات وما إلى ذلك.
سألها بحذر بينما يظهر شيء لامع ملفوف في ورق الجرائد:
- ألا تظنين أنه ربما شعر بالإهانة؟
- ربما. فكلمة "لا" لم تكن كافية لـ "آني"، كان يمكنها أن تكون فظة جدًا أحيانًا، ولم تكن تنبهر بالعضلات، يواصل الجميع التحدث عن روعتها ولطفها، لا أقصد أن أقول شيئًا سيئًا عن أختي غير الشقيقة، لقد كانت فظة عادةً، لكن لا أحد يجروء على ذكر هذا، لأنها ماتت، لا أفهم كيف تحملها "هالفور"، كانت "آني" صاحبة القرار دائمًا.
- حقًا؟
- لكنها كانت لطيفة معي، لطالما كانت كذلك.
لوهلة بدت مصدومة على ذكرى أختها وما حدث. سألتها:

- منذ متى وأنتِ و"ماني" معاً؟
- بضعة أسابيع فقط، نذهب إلى السينما وما إلى ذلك.
كان ردها سريعاً.
- إنه أصغر منك، صحيح؟
قالت على مضض:
- بأربع سنوات، لكنه ناضج جداً بالنسبة لسنة.
- فهمت.
رفعت شيئاً أمام الضوء ودققت النظر فيه، كان طائرًا برونزيًا يجلس على فرع، كائنًا صغيرًا مليئًا بالريش ويميل برأسه.
قالت بشك:
- إنه مكسور.
نظر "سير" بدهشة، صدمته رؤية الطائر البرونزي، إنه مثل التماثيل الصغيرة التي توضع على قبور الأطفال الصغار.
قالت "سولفي":
- يمكنني أن أصنع قاعدة من الصلصال ليقف عليه، ربما يمكن أن يساعدني بابا، هذا التمثال جميل جدًا.
بدأت صورة جديدة لـ "آني" تتشكل في عقله، صورة أكثر تعقيدًا عن التي قدمها له "هالفور" ووالداها.
سألها:
- ما هذا في رأيك؟
هزت كتفها وقالت:
- لا أعرف. مجرد قطعة ديكور مكسورة على ما أظن.
- ألم تريه من قبل؟

- لا، لم يكن مسموحًا لي بدخول غرفة "آني" في غيابها.
وضعت الطائر على مكتبها وانحنت على الصندوق مجددًا.
سألها وهو ما زال ينظر إلى الطائر وعقله يعمل بأقصى قوته:
- هل مضى وقتٌ طويل منذ رأيت والدك؟
اعتدلت ونظرت إليه بحيرة:
- والدي؟ هل تقصد والدي الذي يعيش في أمستردام؟
أوماً بنعم.
- لقد حضر جنازة "آني".
- لا بد أنك تفتقديه، أليس كذلك؟
لم تجب. بدا أنه خطأ على وتر حساس في حياتها، شيء حاولت نسيانه، ربما
شعور بالذنب لعدم زيارة والدها. شعر "سيير" أنه تحدث بعدوانية قليلًا،
يجب أن يحترم الناس أكثر وألا يتخطى حدوده.
سألها:
- بم تنادين "إيدي"؟
- أناديه بابا.
- وماذا عن والدك الحقيقي؟
ردت ببساطة:
- أناديه أبي. هذا ما ناديته به طوال عمري، هذا ما أراده، لقد كان قديم الطراز.
كان؟ تتحدثين وكأنه ليس موجودًا.
قالت بارتياح:
- أسمع صوت سيارة!
توقفت الـ"تويوتا" الخاصة بـ"هولاند" أمام البيت، رأى "سيير" "أدا
هولاند" تخطو على الممر وتنظر إلى النافذة.

قال بسرعة:

- هل يمكن أن آخذ هذا الطائر؟

- الطائر المكسور؟ بالطبع، خذه.

ناولته إياه بتساؤل.

- شكرًا. لن أزعجك أكثر.

غادر ووضع الطائر في جيبه وعاد إلى غرفة المعيشة، استند على الجدار وانتظر.

الطائر، إنه التمثال المأخوذ من شاهد قبر "إيسكيل"، لماذا هو في غرفة "آني"؟

دخل "هولاند" أولاً، أوماً بتحيةة ومد يده وهو يدير وجهه، بدا مختلفاً،

ذهبت السيدة "هولاند" إلى المطبخ لتحضر القهوة.

قال "هولاند":

- ستحصل "سولفي" على غرفة "آني"، حتى لا تظل خالية هكذا، سيكون

لدينا ما يشغلنا، سنهدم الجدار الفاصل ونضع ورق حائط جديد، سيكون

لدينا الكثير من العمل.

أوماً "سيير".

قال "هولاند":

- هناك ما أريد قوله لأرتاح، قرأت في الصحيفة أنكم قبضتم على فتى في

الثامنة عشرة، بالتأكيد لا يمكن أن يكون "هالفور" هو الفاعل، صحيح؟ لقد

عرفناه لعامين، صحيح أن التعامل معه صعب، لكن حدسي قوي تجاه الناس،

لا أقصد أنكم لا تجيدون عملكم، لكننا فقط لا نستطيع أن نتخيل "هالفور"

كقاتل، لا يمكننا أبداً.

أما "سيير" فيمكنه، القتلة مثل معظم الناس، ربما هو من فجر رأس والده

وقتله بدم بارد.

- هل "هالفور" هو المحتجز؟

- لقد أطلقنا سراحه.
- نعم، لكن لماذا قبضتم عليه في الأساس؟
- لم يكن لدينا خيار، ولا يمكنني قول المزيد.
- لكي لا تضر بالتحقيق؟
- صحيح.
- جاءت السيدة "هولاند" حاملة أربعة أكواب وبعض البسكويت.
- هل حدث أمر جديد؟
- نعم، لكن لا يمكنني قول الكثير الآن.
- نظر "سير" عبر النافذة باحثاً عن شيء يلهيها عنه.
- ابتسم له "هولاند" بحزن وقال:
- بالطبع لا، أظن أننا سنكون آخر من يعلم، عندما تمسكون بالقاتل ستعرف الصحف قبلنا بكثير.
- هذا ليس صحيحاً أبداً.
- نظر "سير" إلى عينيه مباشرة، كانتا كبيرتين ورماديتين مثل عيني "آني"، لكن الحزن يملأهما.
- لكن الصحافة في كل مكان، ولديهم اتصالات. إذا قرأت شيئاً في الجريدة، فهذا لا يعني أننا من أعطيناكم المعلومات. عندما نعتقل أحداً، سأخبرك، أعدك.
- قال بصوت خافت:
- لم يخبرنا أحد حين اعتقلتم "هالفور".
- لأننا بصراحة لم نظنه الفاعل.
- حين أفكر في الأمر الآن، لست واثقاً أنني أريد معرفة الفاعل أصلاً.
- نظرت إليه "أدا هولاند" باستنكار وقالت:
- ماذا تقول؟

- لم يعد يهَمَّا، وكأن الأمر كله حادثة أو شيء من المستحيل تفاديه.
سألته بيأس:
- لماذا تقول هذا؟
- لأنها كانت ستموت بأي حال. لذا لا يهم.
- نظر إلى كوبه الفارغ والتقطه وبدأ يحركه، وكأنه يحاول أن يبرد القهوة الساخنة التي لم تعد موجودة فيه.
- قال "سير" كاتمًا غضبه:
- بل يهم. لديك الحق في معرفة ماذا حدث، قد أستغرق وقتًا، لكنني سأجد الفاعل مهما طال الزمن.
- "طال الزمن"؟
- ابتسم "هولاند" بحزنٍ مجددًا وأضاف:
- جثة "آني" تتحلل تدريجيًا.
- هتفت السيدة "هولاند" بغضب:
- "إيدي"! ما زال لدينا "سولفي"!
- أنتِ لديكِ "سولفي".
- ثم وقف وغادر الغرفة إلى مكانٍ آخر في البيت، لم يذهب خلفه. هزت السيدة "هولاند" كتفيها باستنكار وقالت:
- "آني" كانت حبيبة أبيها.
- أعرف.
- أخشى أنه سيتغير إلى الأبد.
- صحيح. إنه الآن يحاول أن يعتاد على طبيعته الجديدة، سيحتاج إلى بعض الوقت، ربما سيكون الوضع أسهل حين نكتشف الحقيقة.
- لا أعرف إن كنت أجرؤ على معرفة الحقيقة.

- هل تخشي شيئاً؟
- أخشى كل شيء، كان يمكن أن يحدث أي شيء عند البحيرة.
- هلا أخبرتني مثل ماذا؟
- هزت رأسها وأخذت كوبها وقالت:
- لا، إنها مجرد خيالات في عقلي، لكن إن قلتها بصوت عالٍ فقد تتحقق.
قال مغيراً الموضوع:
- يبدو لي أن "سولفي" تتأقلم جيداً.
قالت بثقة مفاجئة:
- "سولفي" قوية.
قوية؟ نعم، ربما هذا هو التعبير المناسب، ربما كانت "آني" الأخت الضعيفة، بدأت الأفكار تدور في عقله بفوضى، ذهبت السيدة "هولاند" لتحضر كريمة وسكر، بينما دخلت "سولفي" وسألت:
- أين بابا؟
قالت السيدة "هولاند" من المطبخ:
- سوف يعود!
قالت بصوت قوي، ربما على أمل أن يسمعها "إيدي" ويأتي، يكفيها أن "آني" ماتت ورحلت إلى الأبد، والآن أصبحت عائلتها كسفينة غارقة، الدعامات تنهار، وهناك ثقب كبير في جسم السفينة، والماء يندفع إلى الداخل، وهي تحاول أن تسد الشقوق ببعض الجمل والأوامر لتبقي على السفينة طافية.
صبت القهوة، كانت أصابع "سير" كبيرة جداً على مقبض الكوب، فاضطر إلى أن يمسكه بكلتا يديه. قالت بتعب:
- أنت تواصل الحديث عن السبب، وكأن الفاعل يحتاج إلى سببٍ منطقي لفعل ما فعله.

- ليس منطقيًا، لكن القاتل كان لديه سبب. وفي تلك اللحظة بدا له أنه لا يملك خيارًا.
- من الواضح أنك تفهمهم، أعني هؤلاء الناس الذين تقبض عليهم بتهمة القتل والجرائم البشعة الأخرى.
- لا يمكنني الحفاظ على عملي إن لم أفعل.
- ثم شرب القهوة وفكر في "هالفور".
- لكن بالتأكيد هناك استثناءات.
- نادرًا.
- تنهدت ونظرت إلى ابنتها وسألتها:
- ما رأيك يا "سولفي"؟
- سألتها برفق، بنبرة مختلفة عن التي سمعها "سير" منها من قبل، وكأنها للمرة الأولى تحاول اختراق عقل ابنتها الشقراء البسيطة لتجد إجابة منطقية، وكأن الابنة المتبقية لديها قد تكون مختلفة عما تظن، وربما هي تشبه "آني" أكثر مما اعتقدت.
- نظرت "سولفي" إلى أمها بدهشة وقالت:
- أنا؟ بالنسبة إليّ، لم أحب أبدًا "فريزنر" الذي يعيش في المنزل المقابل، سمعت أنه يجلس في قاربه في غرفة المعيشة ويقرأ طوال الليل بينما يشرب الكثير من البيرة.

الفصل الثالث عشر



أطفأ "سكاري" معظم الأنوار في مكتبه، وترك فقط مصباح المكتب. لمبة ستون واثًا مسلطة على أوراقه.

أطلقت الطابعة طنينًا منتظمًا وهي تُخرج أوراقًا مليئة بالكتابة، بخط "بالاتينو" المفضل لديه، سمع صوتًا وكأنه قادم من بعيد، كان صوت الباب ليعلن عن دخول أحد، كان على وشك أن يرفع رأسه ليرى مَنْ، لكن الأوراق التي خرجت من المطبعة سقطت في تلك اللحظة، انحنى ليجمعها ثم اعتدل ولمح شيئًا يدخل مجال رؤيته فوق الورق الذي جمعه، طائرًا برونزيًا يجلس على فرع.

سأل فورًا:

- أين وجدته؟

جلس "سيير" وقال:

- في بيت "آني"، لقد ورثت "سولفي" ممتلكات أختها، وكان هذا بينها، ملفوف في ورق جرائد، ذهبت إلى المقبرة وجريته على الشاهد فناسبه تمامًا.

نظر إلى "سكاري" وأضاف:

- ربما أعطاه إياه أحدهم؟

- مَنْ؟

- لا أعرف. لكن إن ذهبت إلى هناك وأخذته بنفسها في جنح الظلام، واستخدمت أداة لخلعها عن الشاهد، فهذا تصرف طائش بحق.
- لكن "آني" لم تكن طائشة، أليس كذلك؟
- لست واثقًا تمامًا، لم أعد واثقًا من شيء.
- أدار "سكاري" المصباح بعيدًا عنه، فرمى نوره على الجدار وشكّل نصف هلال، جلسا ناظرين إليه، وفجأة أمسك "سكاري" الطائر من الفرع الذي يقف عليه، ورفع به إلى الضوء وهو يحركه، فألقى بظله على الجدار، بدا الظل مثل بطة ضخمة ثملة عائدة من حفل.
- قال "سكاري":
- استقال "جينسبول" من عمله كمدرّب فريق الفتيات.
- ماذا؟
- بدأت الشائعات تدور عنه وظهرت تهمة الاغتصاب، وبدأ الخبر ينتشر بين الناس، فتوقفت الفتيات عن الحضور.
- شعرت أن هذا سيحدث، كل شيء يجر الآخر.
- و"فريزنر" كان محقًا، ستصبح الأمور صعبة على الكثير من الناس حتى نقبض على القاتل، لكن سرعان ما سنفعل، لأنك فهمت كل شيء، أليس كذلك؟
- هز "سيير" رأسه وقال:
- يتعلق الأمر بـ"آني" و"يونا"، حدث شيء بينهما.
- ربما أرادت أن تحتفظ بشيء يذكرها بـ"إيسكيل".
- لو كان الحال هكذا، لذهبت إلى والديه وطلبت دمية مثلًا.
- هل تظن أنه فعل شيئًا لها؟
- إما لها، أو لشخص عزيز عليها، شخص أحبته.
- لم أعد أفهمك، هل تقصد "هالفور"؟

- أعني ابنه، "إيسكيل"، لقد مات لأن "يونا" كان يحلق في الحمام.
- لكن لا يمكنها أن تلومه لهذا.
- إلا إذا كان هناك شيء غامض في وفاة "إيسكيل".
- أطلق "سكاري" صغيراً وقال:
- لم يكن هناك أحد ليرى ما حدث، كل ما نستند إليه هي أقوال "يونا".
- أمسك "سيير" الطائر مجدداً ووخز منقاره الحاد برفق، وقال:
- ما رأيك يا "جاكوب"؟ ماذا حدث حقاً في ذلك الصباح من نوفمبر؟

غمرته الذكريات وهو يفتح الباب الزجاجي ويخطو بضع خطوات إلى الداخل. فاح من المستشفى مزيج من رائحة المهدئات والصابون، ورائحة الشوكولاتة من محل الهدايا، بالإضافة إلى رائحة القرنفل من محل الورد.

بدلاً من التفكير في وفاة زوجته، حاول "سيير" أن يفكر في ابنته "إنجريد" في يوم مولدها، يحمل هذا المستشفى أسوأ ذكرى وأحلى ذكرى. وقتها خطى عبر الأبواب نفسها، ولاحظ الروائح نفسه، قارن لإرادياً بين مولد ابنته "إنجريد" وباقي الأطفال حديثي الولادة، بدا له بعضهم أكثر حمرة وبدانة لدرجة أن أجسادهم مليئة بالثنيات، وبدا البعض الآخر شديد النحول وكأنهم ولدوا قبل موعدهم، فبدوا مصابين بسوء تغذية وكأنهم عجائز صغيرو الحجم، "إنجريد" وحدها بدت مثالية تماماً، ساعدته هذه الذكرى على الاسترخاء أخيراً.

لم يصل فجأة، لقد استغرق ثمانين دقائق على التلفون ليعرف مكان الطبيب الذي شرح جثة "إيسكيل يونا"، شرح لهم ما يريد مسبقاً حتى يُخرجوا له الملفات والتقارير التي يحتاج إليها بالضبط، أحد الأشياء التي يحبها في البيروقراطية، غير العملية المملة الصعبة التي تحكم كل الهيئات الحكومية، هو المبدأ الذي يقضي بتسجيل كل شيء وأرشفته، التواريخ، الوقت،

الأسماء، التشخيص، الإجراءات، الاستثناءات، كل شيء يجب وضعه في ملف، كل جانب من جوانب القضية يمكن عزله وفحصه على حدة من أشخاص آخرين، بدوافع مختلفة ووجهات نظر جديدة.

هذا ما فكر فيه بينما يخرج من المصعد، لاحظ رائحة المستشفى تزداد كثافة بينما يمشي في ممر الطابق الرابع، الطبيب الذي بدا رجلاً وقوراً في منتصف العمر في التليفون، اتضح أنه شاب بدين بنظارات سمكية ويدين ناعمتين وممتلئتين، استقر على مكتبه ملف أوراق وتليفون ورزمة أوراق وكتاب أحمر كبير عليه كتابة بالصينية.

قال الطبيب:

- أعترف أنني ألقيت نظرة سريعة على ملف القضية.

جعلته النظارة يبدو وكأنه في حالة رعبٍ دائمة.

- شعرت بالفضول، فأنت رئيس محققين. أليس هذا ما قلته؟
أوماً "سيير".

- افترض أن وفاته لم تكن عادية إذاً.

- لا رأي لي في المسألة.

- لكن أليس هذا سبب قدومك؟

نظر إليه "سيير" وطرف بعينه مرتين، لن يحصل الطبيب منه على أكثر من ذلك. عندما ظل صامتاً، بدأ الطبيب يتحدث. هذه الظاهرة لطالما أدهشت "سيير"، وساعدته على استخراج مئات الاعترافات على مدى سنوات.

قال الطبيب وهو ينظر إلى الأوراق:

- إنها قضية مأساوية، طفل في الثانية من عمره، توفي في حادثٍ في البيت، بقي دون إشراف لبضع دقائق، توفي عند وصول الإسعاف. عندما شرحنا الجثة، وجدنا انسداد تام في القصبة الهوائية بسبب قطعة طعام.

- ما نوع الطعام؟
- "وافل". قطعتان كاملتان مطويتان معًا في كتلة واحدة، حتى أننا فردناهما، كانتا على شكل قلب. إنها كمية كبيرة من الطعام بالنسبة لفم صغير، حتى لو كان فتىً قويًا. اتضح أنه كان ولدًا شرهًا ومفرط النشاط أيضًا.
- حاول "سير" أن يتخيل آلة "الوافل" التي كانت تملكها "إليز"، عبارة عن قوالب من خمسة قلوب مرصوفة في دائرة، أما آلة "إنجريد" فأحدث، لكنها تحتوي على أربعة قلوب ليست مرصوفة في شكل دائرة مستوية.
- أتذكر التشريح بوضوح، عادةً تتذكر القضايا الأشد حزنًا، فهي تعلق في ذاكرتك، معظم من نراهم يكونون بين الثمانين والتسعين، ما زلت أتذكر قطع "الوافل" في الوعاء، الأطفال وحلوى "الوافل" يناسبان بعضهما، لذلك من المؤسف أن تكون سببًا في موته، لقد كان يجلس ويستمتع بوقته.
- لقد تحدثت بصيغة الجمع، فهل عمل معك آخرون؟
- "أرنسين"، رئيس الأطباء، كان معي، كنت في بداية تعييني، وهو كان يحب الإشراف على الأطباء الجدد، لقد تقاعد الآن وتولت امرأة رئاسة القسم.
- نظر إلى يديه. سأله "سير":
- قطعتان كاملتان من "الوافل" على شكل قلب. هل مضغهما؟
- من الواضح لا، لقد كانتا سليمتين تقريبًا.
- هل لديك أطفال؟
- رد بسعادة:
- لدي أربعة.
- هل فكرت فيهم بينما كنت تقوم بالتشريح؟
- نظر الطبيب إلى "سير" بحيرة، وكأنه لم يفهم السؤال، ثم أجاب:
- نعم، أظنني فعلت، أو ربما فكرت في الأطفال بشكل عام وفي تصرفاتهم.

- أكمل.
- في ذلك الوقت كان ابني قد أتم الثالثة بالضبط، وهو يعيش حلوى "الوافل"، طوال الوقت أوبخه بخصوص حشر فمه بالطعام، كما يفعل كل الآباء.
- لكن في هذه القضية لم يكن هناك من يراقب الطفل.
- لا، وإلا ما حدث شيء.
- لم يجب "سيير". ثم سأله:
- هل يمكنك أن تتخيل ابنك عندما كان في السن نفسه وأمامه طبق من "الوافل"؟ هل تظن أنه كان سيأخذ قطعتين ويطبقهما ثم يحشر فمه بهما في الوقت نفسه؟
- صمت الطبيب طويلاً ثم قال:
- حسناً.. لقد كان طفلاً مختلفاً.
- وكيف عرفت أنه مختلف؟
- هذا ما قاله والده، لقد ظل في المستشفى طوال اليوم، وصلت والدته لاحقاً مع أخيه غير الشقيق. بالمناسبة، كل هذا موجود في الملف، لقد طبعت لك نسخة كما طلبت.
- نقر على الورق أمامه وأزاح الكتاب الصيني جانباً، تعرف "سيير" على الكلمة الأولى على الغلاف، إنها تعني "رجل".
- مما عرفته، كان والده في الحمام حين وقعت الحادث. صحيح؟
- نعم. كان يخلق، وكان الولد مقيداً في كرسيه، لهذا لم يستطع تحرير نفسه والركض طلباً للمساعدة. عندما عاد الأب إلى المطبخ، كان الولد ملقى على الطاولة التي أمامه، وقد أوقع طبقه على الأرض فانكسر. أسوأ ما في الأمر أن والده سمع صوت كسر الطبق.
- لماذا لم يأتِ مسرعاً إذاً؟

- يبدو أن الفتى كان معتادًا على كسر الأشياء طوال الوقت.
- مَنْ كان في البيت أيضًا حين حدث هذا؟
- الأم فقط، حسب ما فهمت. غادر الأخ الأكبر للتوّ ليلحق بحافلة المدرسة أو ما شابه، والأم كانت نائمة في الطابق العلوي.
- ولم تسمع شيئاً؟
- لم يكن هناك ما تسمعه، فالولد لم يستطع الصراخ.
- ليس وفمه محشو بقطعتين من "الوافل" على شكل قلب. لكن زوجها أيقظها في النهاية بالطبع، صحيح؟
- من المحتمل أنه صاح أو صرخ منادياً عليها، يختلف تصرف الناس في هذه المواقف، بعضهم لا يستطيع الصراخ بينما يتجمد آخرون تمامًا.
- لكن ألم تأتي مع سيارة الإسعاف؟
- بل وصلت لاحقاً، لقد ذهبت لتحضر الأخ الأكبر من المدرسة أولاً.
- متى وصلت؟
- لنرى.. بعد نصف ساعة حسب ما هو مذكور في التقرير.
- هل يمكن أن تخبرني قليلاً عن تصرف الأب؟
- صمت الطبيب وأغلق عينيه وكأنه يسترجع الذكرى.
- كان مصدوماً، لم يقل الكثير.
- مفهوم، لكن هل يمكن أن تتذكر ما قاله من كلام قليل؟ هل تتذكر كلمات محددة؟
- نظر إليه الضابط بتساؤلٍ وهز رأسه قائلاً:
- كان هذا منذ وقتٍ طويل، حوالي ثمانية أشهر.
- حاول.
- أظنه قال شيئاً مثل: "يا إلهي، لا! يا إلهي، لا!".
- هل الأب هو مَنْ اتصل بالإسعاف؟

- نعم، هذا هو المكتوب في الملف.
- هل تستغرق السيارة عشرين دقيقة حقاً من هنا إلى "لوندباي"؟
- للأسف نعم. وعشرون دقيقة أخرى للعودة، لم يكن معهم مسعفون ليقوموا بفتح قصبته الهوائية، لو كان معهم واحد، لربما أمكنهم إنقاذه.
- ماذا تقصد؟
- أقصد أن يقوم بشق فتحة بين غضروفين في القصب الهوائية.
- تقصد أن يفتح حنجرته من الخارج؟
- نعم، الأمر بسيط جداً، ولربما أنقذ حياته، لكننا لا نعرف كم مضى من وقت وهو فاقدٌ للوعي قبل أن يجده والده.
- الوقت المستغرق للحلاقة عادةً؟
- نعم، أظن هذا.
- تصفح الطبيب الأوراق ورفع نظارته وقال:
- هل تشكُّ في شبهةٍ.. جنائية؟
- ظل يكبح السؤال طويلاً حتى شعر بأن لديه الحق في سؤاله أخيراً.
- لا أعرف ماذا قد تكون. ما رأيك أنت؟
- وكيف يكون لي رأي في هذا؟
- أنت شرحت الجثة وفحصتها، هل وجدت شيئاً غير طبيعي في موته؟
- غير طبيعي؟ كل الأطفال يحشرون أشياء في فمهم، هذه طبيعتهم.
- لكن إن كان أمامه طبق مليء بـ "الوافل"، وهو يجلس وحيداً، وليس عليه أن يقلق من قدوم أحد يأخذه منه، فلماذا يحشر قطعتين مرة واحدة في فمه؟
- إلام تريد أن تصل بهذه الأسئلة؟
- لا أعرف.

جلس الطبيب حائراً. عاد بذاكرته إلى ذلك الصباح، حين رقد جسد "إيسكيل" العاري على الطاولة الباردة وهو مفتوح من الحنجرة إلى الأسفل، وحتى وقعت عينه على الكتلة التي تسد حنجرته وبعدها أدرك أنها قطعتين من "الوافل"، على شكل قلب، تحولتا إلى كتلة كبيرة دبقة من البيض والدقيق والزبد والحليب.

قال:

- أتذكر التشريح، أتذكره بالتفصيل، ربما أقصد أنني شعرت بالدهشة. لا، لا يمكنني قول هذا. لكن..
أضاف فجأة:

- كيف خمنت وجود شيء غريب في موته؟
غريب؟ كلمة مبهمة تضم احتمالات كثيرة.
قال "سير" وهو ينظر إلى الطبيب عن قرب:
- حسناً، كان لديه جليسة أطفال. دعني أقولها هكذا، لقد أعطتنا بعض الإشارات المتعلقة بموت الطفل، وتلك الإشارات جعلتني أتساءل.
- إشارات؟ يمكنك أن تسألها وحسب.
هز "سير" رأسه نفياً وقال:
- لا أستطيع. لقد فات الأوان.

حلوى "الوافل" على الفطور، لا بدّ أنها بقايا من اليوم السابق، لم يظن أن "يونا" قد استيقظ باكراً وأخذ يحضر "الوافل" خصيصاً، إذا كانت بائنة، فلا بدّ أنها كانت جامدة وباردة. زرّ سترته وركب سيارته، لن يتساءل أحد، فالأطفال دائماً يبتلعون مختلف الأشياء. أدار محرك السيارة وتجاوز "روزينكرانتز جايتن"، ثم قاد إلى النهر واستدار يساراً. لم يكن جائعاً، لكنه

قاد إلى المركز واستقل المصعد إلى الكافيتريا حيث يبيعون "الوافل"، اشترى طبقاً مع بعض المربى والقهوة، ثم جلس بجوار النافذة. فكَّ قطعتين من "وافل" القلب بحذر، كانتا طازجتين ومقرمشتين، طواهما نصفين مرتين وجلس ينظر إليهما، وضعهما في فمه ببعض المجهود واستطاع أن يمضغهما، وشعر بهما تنزلقان في المريء بسهولة، "الوافل" الطازج يكون زلقاً. شرب بعض القهوة وهز رأسه، اقتحمت مشاهد الجريمة عقله رغماً عنه، تخيل الولد الصغير بحلقه المسدود، تخيله وهو يلوح بذراعيه ويسقط الطبق ويحاول المقاومة للنجاة لكن لا أحد يسمعه. يسمع والده سقوط الطبق، لماذا لم يأت مسرعاً؟ لأن الولد كان يحطم الأشياء دائماً، كما قال الطبيب، لكن ولو. كان طفلاً صغيراً ومعه طبق محطم، حتى أنا كنت سأجري فوراً، كنت سأتخيل الكرسي مقلوباً وأن ابني مصاب، لكن هذا الأب أنهى حلاقتة أولاً، ماذا لو كانت الأم مستيقظة؟ هل كانت ستسمع صوت تحطم الطبق؟ شرب المزيد من القهوة ووضع المربى على باقي "الوافل"، ثم بدأ يقرأ التقرير، بعدها وقف وخرج إلى سيارته، فكر في "أستريد يوناس" التي كانت مستلقية في السرير وحدها بالأعلى، جاهلة بما يحدث.

أخذ "هالفور" شطيرة من الطبق، وشغل الكمبيوتر. إنه يحب صوت تشغيله، والضوء الأزرق الذي يعكسه في الغرفة حين يقوم النظام بالتحميل، كل نغمة بدت مثل لحظة مقدسة، وكأن جهازه يرحب بعودته. اليوم لديه خطة مميزة، كان في مزاجٍ عكر، مثل "آني"، لهذا قام بتجربة كلمات مثل: "دعني وشأني"، و"شأني الخاص"، و"ابتعد عني". إنها الكلمات التي كانت تقولها كلما وضع ذراعه على كتفها برفقٍ شديد وعاطفة خالصة، لكنها كانت تقولها دائماً بلطف، وعندما يجروُ على طلب قبلة منها، كانت تهدده بأن تعض

خدّه، لكن نبرتها كانت تقول شيئاً مختلفاً، هذا لا يعني أن يتجاهل كلامها، لكن على الأقل كان هذا يساعده على احتمال الجفاء. لم يكن مسموحاً له بلمسها، لكنها أرادته بقربها، اعتادا الاستلقاء بجوار بعضهما مستمتعين بالدفع. لم يكن هذا سيئاً، أي الاستلقاء في الظلام، بالقرب من "آني" في هدوء تام، بعيداً عن الكوابيس المرعبة التي تركها له والده. لم تستطع الأحلام البشعة أن تصل إليه، شعر بالأمان، كان يعتاد الاستلقاء بجوار أحد، مثلما كان يفعل مع أخيه لسنوات عديدة، اعتاد سماع صوت تنفس شخص آخر ويشعر بدفعه على وجهه.

لماذا كتبت شيئاً من الأساس؟ ما هو؟ هل سيفهمه إن وجدته؟ مضغ الخبز والكبد بينما يستمع إلى طنين التليفزيون في غرفة المعيشة، شعر بالذنب قليلاً لأن جدّته تقضي الأمسيات بمفردها، وستظل تفعل هذا حتى يفتح الملف ويعرف سرّ "آني"، قد يكون شيئاً مظلماً، بما أن الولوج إليه بهذه الصعوبة، شيء مظلّم وخطير لدرجة أنه لا يمكن قوله، بل فقط كتابته وإخفاؤه، وكأنها مسألة حياة أو موت، كتب "حياة أو موت"، لكن لم يحدث شيء.

كانت السيدة "يونا" في استراحة الغداء، نظرت إليه من مكتبها وهي تمسك بقطعة خبز في يدها، كانت ترتدي البذلة الحمراء التي ارتدتها سابقاً، بدت غير مرتاحة، وضعت الطعام على الورقة التي كانت تلفه، وكأنه من غير اللائق أن تجلس وتأكل بينما يتحدثان عن "آني"، لذلك أمسكت قهوتها بدلاً عن الطعام.

سألته وهي تأخذ رشفة من الكوب الحراري:

- هل حدث شيء؟

- اليوم، لا أريد التحدث عن "آني".

رفعت كوبها ونظرت إليه بعينين متسعيتين.
- اليوم، أريد التحدث عن "إيسكيل".
زمت شفيتها بضيق وقالت:
- عذراً؟ لقد انتهيت من هذا الأمر، وأخرجته من حياتي، وأعترف أنه كلفني الكثير.
- أعتذر، لكن لن أستطيع أن أكون مراعيًا الآن، هناك بعض التفاصيل
تهمني حول وفاة الطفل.
- ولماذا؟
قال "سير" برفق:
- لست مضطراً إلى إخبارك يا سيدة "يونا"، فقط أجيبني عن أسئلتني.
- وماذا لو رفضت؟ ماذا لو لم أتحمّل التحدث عن الأمر؟
- عندها سأغادر لأتركك تفكرين، وبعدها أعود في يوم آخر.
أزاحت قهوتها جانباً ووضعت يديها في حجرها، وكأنها توقعت هذا وعليها
أن تستعد. قالت:
- لا أحب هذا، عندما أتيت إلى هنا من قبل لتتحدث عن "آني"، لم يخطر
ببالي أن أرفض التعاون، لكن إن تعلق الأمر بـ "إيسكيل"، قل ما تريد معرفته
ثم ارحل.
أخذت تفرك يديها، ثم شبكتها معاً وكأن هناك ما يخيفها. قال "سير"
وهو ينظر إليها:
- قبل وفاته بالضبط، أسقط طبقه على الأرض فتحطم، هل سمعت الصوت؟
فاجأها السؤال، فنظرت إليه بدهشة وكأنها كانت تتوقع شيئاً آخر، ربما أسوأ.
- نعم.
- سمعته؟ كنت مستيقظة إذًا؟
تفحص ملامحها، ولاحظ الظل الصغير الذي خيم على وجهها، ثم واصل:

- هل سمعتِ ماكينة الحلاقة؟
- حنت رأسها وقالت:
- سمعته يدخل الحمام وسمعت صوت الباب.
- كيف عرفتِ أنه باب الحمام؟
- عرفت فقط، لقد عشت في ذلك المنزل طويلاً، كل باب له صوت مختلف.
- وقبل ذلك؟ أعني قبل أن يدخل الحمام؟
- ترددت قليلاً وهي تحاول التذكر، ثم قالت:
- سمعت أصواتهما في المطبخ، كانا يتناولان الفطور.
- قال بحذرٍ بابتسامةٍ ودودة:
- تناول "إيسكيل" حلوى "الوافل"، هل كان معتاداً في بيتكم أن تتناولوا حلوى "الوافل" على الفطور؟
- قالت بضجر:
- لا بدّ أنه توسل من أجلها، عادةً كان يحصل على ما يريد، لم يكن سهلاً أن ترفض له طلباً لأنه يغضب بشدة، ما كان يقبل الرفض قط، وكأنك تنفخ في جمرٍ ساخن، و"هينينج" لم يكن صبوراً، كان يكره صراخه.
- هل سمعته يصرخ؟
- فكت يديها وأمسكت بكوبها الحراري، نظرت إلى بخار القهوة وقالت:
- كان صاحباً دائماً.
- هل كانا يتشاجران يا سيدة "يونا"؟
- ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت:
- كانا يتشاجران طوال الوقت، طلب "إيسكيل" "الوافل"، لكن "هينينج" أعد خبزاً بالزبد وأراده أن يأكله، تعلم أن الآباء يفعلون أي شيء لجعلوا

أبناءهم يأكلون، لا بدَّ أنه أخرج حلوى "الوافل"، ورآها "إيسكيل"، كانت على طاولة المطبخ، مغطاة بغطاءٍ من البلاستيك من الليلة الماضية.

- هل سمعتِ أي كلمات قالها لبعضهما؟

اندفعت في وجهه وقد أظلم وجهها:

- ما الغرض من أسئلتك؟ يجب أن تتحدث مع "هينينج" بشأن هذا، فأنا لم أكن موجودة، كنت بالأعلى.

- هل تظنين أن لديه ما يخبرني به؟

صمتت وطوت ذراعيها، وكأنها تريد إبعاده عنها، ففهم أن خوفها بدأ يزداد.

- لا أستطيع التحدث بالنيابة عن "هينينج"، فهو لم يعد زوجي.

- هل فقدان طفلكما هو سبب انفصالكما؟

- ليس حقًا، كنا سننفضل بأي حال، فنحن كنا نتجادل كثيرًا.

- هل أنتِ من أردتِ الرحيل؟

- هل لهذا علاقة بأي شيء؟

- على الأرجح لا، إنه مجرد سؤال.

وضع يديه على الطاولة وسألها:

- ماذا فعل "هينينج" عندما وجد "إيسكيل"؟ هل ناداك؟

- لقد فتح باب غرفة النوم ووقف هناك يحدق بي، تفاجأت من الصمت التام، لم أسمع صوتًا من المطبخ، جلست في السرير وصرخت.

- هل لاحظتِ أي شيء غريب في وفاة ابنك؟

- ماذا؟

- هل تحدثتِ مع زوجك عما حدث؟ هل سألته؟

لمح "سيير" نظرة خوفٍ في عينيها.

قالت بحذر:

- لقد أخبرني بكل شيء، لم أستطع مواساته، لقد لام نفسه على ما حدث لأنه لم ينتبه له جيداً، ليس سهلاً العيش مع ذنب كهذا، لم يحتمله، وأنا أيضاً. لذا اضطررنا إلى الانفصال.

- لكن لا شيء غريب أو غامض في الوفاة نفسها؟
نظر "سير" إليها بعينيه الرماديتين برفق شديد، لأنه علم أنها على وشك قول شيء، ولو كان محظوظاً، ستقله فعلاً.
ارتجف كتفها، فجلس بصبر للحظات، عالماً أنه لا يجب عليه أن يكسر صمتها، فهي على وشك الاعتراف. لقد عرف ذلك، شعر به، هناك ما يزعجها، شيء لم تجرؤ على التفكير فيه.
أخيراً همست:

- سمعتهم يصرخان في بعضهما، كان "هيننج" عصبياً وسريع الغضب، كنت مستلقية في السرير وأضع وسادة على رأسي، لم أحتمل سماعهما.
- أكمل.

- سمعت "إسكيل" يصدر صخباً شديداً، على الأرجح كان يضرب كوبه في الطاولة، أما "هيننج" فكان يصيح ويخبط الأدرج وأبواب الدواليب.
- هل سمعت أي كلمة مما قالوا؟

ارتجفت شفتها السفلية وهي تقول:
- جملة واحدة، هي آخر ما سمعت قبل أن يندفع إلى الحمام، صرخ عالياً جداً لدرجة أنني خشيت مما سيظنه الجيران إذا سمعوه، لكن حياتنا كانت صعبة، فلقد حظينا بطفل لم يتصرف كما توقعنا، فنحن لدينا ابن أكبر منه كما تعلم، لطالما كان "ماني" هادئاً، وما زال، لم يواجهنا متاعب معه، كان يفعل ما نطلبه منه.

- ماذا سمعت؟ ماذا قال؟

رن الجرس فجأة في المحل، وانفتح الباب. دخلت امرأتان ونظرتا حولهما إلى الصوف بإعجاب، انتفضت السيدة "يونا" وأسرعت إلى المحل، لكن "سير" وضع يده على كتفها ليووقفها وقال:

- ماذا قال؟

أحنت رأسها وكأنها خجلت من نفسها وقالت:

- لقد دمرت الحادثة "هيننج"، لم يسامح نفسه أبدًا، وأنا لم أستطع العيش معه بعدها.

- أخبريني ماذا قال!

- لا أريد أن يعرف أحد، وهذا لم يعد مهمًا بأي حال، فـ"إيسكيل" مات.

- لكنه لم يعد زوجك.

- لكنه ما زال والد "ماني"، لقد أخبرني كيف ظل واقفًا في الحمام يرتجف من اليأس لأنه لم يستطع أن يتصرف كما ينبغي، ظل واقفًا حتى هدا، كان سيعود ويعتذر على غضبه، فهو ما كان سيطيق أن يذهب إلى العمل بدون أن يتصافى، أخيرًا عاد إلى المطبخ، وأنت تعرف الباقي.

- أخبريني ماذا قال.

- مستحيل! لن أخبر أحدًا أبدًا.

بدأت الفكرة البشعة التي تكونت في عقله تكبر وتتبلور، لقد رأى الكثير في عمله، لدرجة أنه صار لا يندهش، ربما كان من المريح أن يتخلصا من طفل مثل "إيسكيل يونا".

مر على "سكاري" في مكتبه واصطحبه عبر الممر، وقال:

- لنذهب ونشاهد بعض السجاد الشرقي.

- لماذا؟

- لقد عدت للتو من عند "أستريد يونس"، أظن أن هناك شكوك مرعبة تعذبها، نفس ما خطر لي، وهو أن "يونس" مسؤول جزئياً عن وفاة الولد، أظنها تركته لهذا السبب.

- لكن كيف يكون له يد في هذا؟

- لا أعرف، لكن الفكرة ترعبها، كما أنني تذكرت شيئاً، لم يقل "يونس" كلمة واحدة عن وفاة الصبي حين تحدثنا معه.

- هذا ليس غريباً. فنحن ذهبنا للتحدث عن "آني" في الأساس.

- يظل من الغريب ألا يذكر شيئاً عنه، لقد قال إن "آني" توقفت عن القدوم، لأنه لم يبقَ هناك أطفال تعتني بهم بعد رحيل زوجته، ولم يذكر وفاة الطفل الذي كانت تعتني به "آني"، ليس حتى عندما علقت على صورته المعلقة على الجدار.

- على الأرجح لم يحتمل التحدث في الأمر، عليك أن تعذره في هذا.

ثم أضاف بصوت خافت:

- لقد فقدت شخصاً عزيزاً عليك، هل كان سهلاً عليك التحدث في الأمر؟
تفاجأ "سيير" بشدة لدرجة أنه توقف عن السير، شحب وجهه، وكأن شخصاً امتص منه اللون. قال:

- بالطبع يمكنني التحدث عنها.. إن شعرت أن الموقف استدعى ذلك لا محالة، إن ظهرت اعتبارات أهم من مشاعري.

"رائحتها، رائحة شعرها وبشرتها، مزيج العلاج الكيميائي مع عرقها، جبهتها اللامعة من حبات العرق، تدمرت مينا أسنانها من كثرة الأقراص، ومال لونها إلى الزرقة، حتى بياض عينيها تحول إلى الأصفر تدريجياً".

وقف "سكاري" أمامه رافعاً رأسه، غير نادم على كلامه، توقع "سيير" هذا، لقد ثرثر كثيراً، وتجاوز الحدود وأصبح ودوداً جداً مع "سكاري"، أليس كذلك؟ ألا يجب عليه الاعتذار؟

قال "سكاري":

- لكنك لم تشعر أبدًا بالحاجة إلى ذلك، صحيح؟
- وقف ينظر إلى الشاب الذي أمامه، بدا وكأنه بالكاد يمنع نفسه من لكمه، قال بصرامة وهو يهز رأسه:
- لا.
- ثم بدأ يسير مجددًا، قال "سكاري" بثبات:
- فهمت. ماذا قالت السيدة "يونا"؟
- لقد تشاجرا، سمعتهما يصرخان في بعضهما، بعدها سمعت صوت باب الحمام ينغلق وصوت الطبق يتحطم، كان "يونا" عصبي المزاج، قالت إنه يلوم نفسه.
- لو مكانه لفعلت أيضًا.
- أليس لديك معلومة مفيدة؟
- نوعًا ما، حقيقة "آني" المدرسية.
- ماذا بها؟
- هل تذكر أننا وجدنا مادة دهنية عليها؟ على الأرجح تم استخدامها لمحو البصمات.
- ثم؟
- لقد تعرفنا على المادة، إنها نوعٌ من المراهم تحتوي على القطران ومواد أخرى.
- لدي واحدٌ مثله لعلاج الطفح الجلدي.
- لا، إنه مرهم خاص بالكلاب، لعلاج الكفوف المصابة.
- أومًا "سيير" وقال:
- "يونا" لديه كلب.
- و"أكسيل بيورك" لديه "جيرمان شيبارد"، وأنت لديك أسد.
- فتح الباب لرئيسه بسرعة، عبر رئيس المحققين وهو يشعر بالحيرة.

الفصل الرابع عشر



وضع "أكسيل بيورك" طوقًا على كلبه، وتركه ينزل من السيارة. نظر إلى الاتجاهين، ولم ير أحدًا. عبر الميدان وهو يخرج مفتاحًا رئيسيًا من زي العمل. استدار مجددًا ونظر إلى سيارته المركونة بوضوح أمام البوابة الرئيسية، "بيجو" رمادية، وعلى سقفها صندوق لمعدات التزلج، وشعار الشركة على الباب وغطاء المحرك. انتظر الكلب ببساطة بينما يغلق القفل، لقد فعلا هذا كثيرًا عند الدخول والخروج من السيارة أو الأبواب والمصاعد، إنه يشم آلاف الروائح المختلفة بينما يتبع صاحبه بإخلاص، حياته منعمة يعيشها الكلب، يتدرب كثيرًا، يرى مشاهد مختلفة، ويحصل على طعام مشبع. كان المصنع هادئًا وخاليًا، توقف عن العمل، وأصبح مخزنًا، أكوام من الصناديق والعلب والأشولة مكدسة من الأرض إلى السقف، رائحة الصناديق المصنوعة من الورق المقوى والغبار والخشب العفن تفوح في المكان، لم يشعل "بيورك" الأنوار، فهناك مصباح معلق في حزامه، ولقد أضاءه بينما يسير في الممر المظلم. رنت خطوات حذائه على الأرض الصلبة، كل خطوة تردد صداها في عقله، واحدة تلو الأخرى وسط الصمت. لم يكن يؤمن بوجود إله، لذلك كان كلبه هو الوحيد الذي يسمعه. سار "أخيليس" معه بسلاسة وبخطوات محسوبة ومدربة، توقع الكلب هدوءًا وليس خَطَرًا، وكان يحب صاحبه.

اقتربا من ماكينة دوارة عملاقة، حشر "بيورك" نفسه ليمر من خلفها، وجذب الكلب معه، ربط حزام الطوق في قضيب معدني، وأمره بالجلوس، جلس الكلب لكن بقي منتبهاً. بدأت رائحة تنتشر في الغرفة، رائحة أصبحت مألوفة، وبدأت تصبح روتيناً ثابتاً في حياتهما اليومية شيئاً فشيئاً، لكن هناك شيء آخر، إنها رائحة الخوف. جلس "بيورك" على الأرض، لا يوجد صوتٌ مسموع غير صوت زي العمل النايلون ولهات الكلب، أخرج زجاجة من جيبه وفتحها وبدأ يشرب.

انتظر الكلب، بعينين لامعتين وأذنين منتهيتين، كان يعرف أنه لن يحصل على بسكويتٍ بعد، لكنه جلس هناك بأي حال وهو ينتظر ويرهف سمعه. نظر "بيورك" إلى عيني الكلب بصمت، بدأ التوتر يزداد في الممر المظلم، شعر بالكلب يراقبه كما يراقبه، كان معه مسدس في جيبه.

زمجر "هالفور" باستياء، فكر بضيق أنه لن يستطيع مخلوق أن يفتح هذا الملف، بدأ صوت الشاشة يزعجه، لم يعد صوتاً هادئاً، بل طنيناً متواصلاً، وكأنه قادم من ماكينة ضخمة بعيدة، ظل يسمعه طوال اليوم، في نهاية كل يوم يشعر وكأنه عارٍ كلما أغلق الشاشة، وساد السكون قبل أن يعود الصوت مجدداً لكن في عقله: أخبريني يا "آني"، تحدثي معي! عاد بعقله إلى إحدى الذكريات..

كانت السينما تعرض فيلماً عن السفاري، اشترت "آني" حلوى من كرات الشوكولاتة، وأقراص الليمون من الكشك، بينما كان ينتظرها عند مدخل السينما ومعه التذاكر.

سألته:

هل تريد أن تشرب شيئاً؟

هز رأسه نفيًا بصمت، فلقد كان مشغولًا بالنظر إليها ومقارنتها مع كل الرواد المزدحمين عند المدخل، وقف المشرف مرتديًا زيًا أسود ويحمل خرامة ليخرم تذاكر الجميع، معظم الشباب كانوا ينظرون في الأرض لأنهم تحت السن المسموح به للفيلم، فيلم لـ "جيمس بوند"، أول فيلم يشاهده معًا، في أول موعدٍ لهما كحبيين، شعر بفخرٍ شديد، وكان الفيلم ممتعًا، على الأقل بالنسبة لـ "آني"، فهو لم يتابعه جيدًا، لأنه انشغل بالنظر إلى "آني"، وسماع كل همسة منها في الظلام. لكنه يتذكر العنوان جيدًا: "من أجل عينيك".

كتب العنوان في المربع وانتظر، لكن لم يحدث شيء، نفذ صبره ونهض. سار بضع خطوات وفتح غطاء برطمان تبغ على حافة النافذة، هذا بلا فائدة. أزاح شعوره بالذنب جانبًا، إلى مكانٍ سرّيٍّ في عقله، حيث يخفي ماضيه، لقد اتخذ قراره، عبر المطبخ وذهب إلى غرفة المعيشة، ثم سار إلى رف الكتب حيث يوجد التليفون، بحث في الدليل عن متجر لمستلزمات الكمبيوتر حتى وجد الرقم الذي يريده واتصل به.

- متجر "را داتا"، "سولفيج" يتحدث.

- أهلاً، أتصل بخصوص ملف مغلق بكلمة سرّ.

بدأ يتلعثم واختفت شجاعته. شعر بأنه وضع، مثل لص أو متلصص. لكن الألوان قد فات على التراجع.

- لا يمكنك الولوج؟

- لا. لا أتذكر كلمة السر.

- أخشى أن التقني قد غادر، لكن انتظر لحظة، سأسأل شخصًا ما.

كان يضغط السماعة على أذنه بقوة حتى تخدرت، سمع أصوات مهمات وتليفونات على الجانب الآخر، نظر إلى جدّته التي تقرأ الجريدة بعدسة مكبرة وتمنى لو عرفت "آني" أن جدّته يمكنها ذلك.

- هل ما زلت على الخط؟
- نعم.
- هل تعيش بعيداً؟
- في "لوندبايسفينجين".
- أنت محظوظ، يمكنه المرور بك في طريقه إلى المنزل. ما عنوانك؟
- جلس في غرفة المعيشة وانتظر بقلبٍ مضطرب، فتح الستائر ليرى السيارة بمجرد وصولها، مرت ثلاثون دقيقة قبل أن يظهر بسيارة "كاديت كومبي" بيضاء وعلى بابها شعار "را داتا"، خرج شابٌ صغير من السيارة ونظر إلى البيت بتردد.
- جرى "هالفور" ليفتح الباب، وجده شاباً لطيفاً، ممتلئاً وله غمازات واضحة. شكره "هالفور" لقدمه ثم ذهباً إلى الغرفة.
- فتح التقني الحقيبة وأخرج مجموعة من الرسومات البيانية، وسأله:
 - هل كلمة السرّ مكونة من حروف أم أرقام؟
 - احمر وجه "هالفور". قال الرجل بدهشة:
 - ألا تذكر هذا حتى؟
 - تمتم "هالفور":
 - لقد استخدمت كلمات كثيرة. فأنا أغيرها بانتظام.
 - أي ملفٍ تريد؟
 - هذا.
 - "آني"؟
- لم يسأل أكثر، فالوظيفة تقتضي قواعد لياقة محددة، وهو يريد الحفاظ على عمله. وقف "هالفور" عند النافذة، وجهه أحمر من الحرج والتوتر، وقلبه ينبض بقوة كالطبول. سمع التقني يضرب المفاتيح بسرعة، كان شاردًا فبدأ

صوتها مثل طرقاتٍ بعيدة، لم يسمع إلا صوت طبل وطرق، مر الوقت كالدهر قبل أن ينهض التقني من على الكرسي أخيرًا وقال:

- حسنًا يا رجل، ها هي!

استدار "هالفور" ببطء ونظر إلى الشاشة، أخذ الوصل ليوقعه، ثم قال بدهشة:
- ماذا؟ 750 كرونة؟

رد مبتسمًا:

- في الساعة وما أقل.

وقّع "هالفور" بيدٍ مرتجفة على السطر المنقط في آخر الورقة، وطلب أن يرسل إليه الفاتورة.

قال الخبير التقني وهو يبتسم مجددًا:

- كان الرمز السري رقمًا، واحد سبعة واحد واحد تسعة أربعة. إنه تاريخ وسنة، صحيح؟

ابتسم أكثر فبرزت غمازاته وهو يضيف:

- لكن بالطبع ليس عيد ميلادك وإلا فستكون بعمر ثمانية أشهر!

رافقه "هالفور" إلى الخارج وشكره، ثم عاد مسرعًا وجلس أمام الشاشة، ظهر أمرٌ جديد يقول: "تقدم، من فضلك".

وضع يده على قلبه لأنه كان يخفق بشدة، ظهرت الكلمات أمامه وبدأ يقرأ، مال على المكتب وطرف بعينه مرات عديدة بينما يلتهم الكلمات، شيءٌ ما قد حدث وكتبته "آني"، والآن وجده أخيرًا. أخذ يقرأ بعينين واسعتين وبشكٍّ مخيف يعرّب في أعماقه.

شرب "بيورك" حتى ارتفعت نسبة الكحول في دمه.

كان الكلب ما زال جالسًا ويلهث بنفاد صبر بينما تدور عيناه بتوتر، بعد وقتٍ نهض "بيورك" بتثاقل ووضع الزجاجة على الأرض الباردة، أنتابه الفواقبضع مرات وسقط مجددًا فاردًا ساقيه، نهض الكلب أيضًا وهو ينظر إليه بعينه الصفراوين، هز ذيله بانفعال مرتين أو ثلاثة. مد "بيورك" يده إلى مسدسه الذي كان محشورًا في جيبه، أخرجه وحلَّ زر الأمان، نظر إلى الكلب طوال الوقت بينما يسمع صوت ساقية المسدس وهي تدور، ترنح وارتجفت يده لكنه قاوم الدوار ورفع ذراعه وسحب الزناد، تردد صوت الطلقة بين الجدران، انشقت جمجمته نصفين، وتناثرت محتوياتها على الحائط، وعلق بعضها على أنف الكلب، ظل صوت الطلقة يتردد حتى بدأ يخفت تدريجيًا وكأنه رعدٌ بعيد، قفز الكلب مبتعدًا لكن اللجام ثبته مكانه، حاول التحرر حتى تعب واستسلم ووقف مكانه يئن.

يقع معرض في شارعٍ هادئ، ليس بعيدًا عن الكنيسة الكاثوليكية. تقف خارجة سيارة "سيتروين"، موديل قديم لها مصابيح أمامية مائلة. فكر "سير" في أنها تشبه أعين الصينيين، كانت السيارة مغطاة بالغبار، ذهب "سكاري" إليها ليتفحصها، كان السقف أنظف من باقي السيارة، وكأن شيئًا كان عليه وحمى سطحه، كان لونها أخضر مشوب بالزرقة. قال "سير":

- لا يوجد عليها صندوق لمعدات التزلج.

- لا. لقد تمت إزالته، هناك آثار للتثبيت.

فتحا باب المعرض ودخلا، بدت رائحته مشابهة لرائحة محل السيدة "يونا"، رائحة صوف ونشا، مع رائحة خفيفة جدًا للقار الدهان العازل على السقف. لمحا كاميرا مراقبة تطل عليهما من الزاوية، توقف "سير" ونظر إلى

العدسة، هناك أكوام من السجاد في كل مكان، هناك سلم حجري كبير يقود إلى الطوابق العليا، هناك العديد من السجاد المفروش على الأرض، وبعضه معلق على قوائم مثبتة بالجدران. كان "يونا" ينزل السلم مرتدياً ملابس من الصوف الناعم والقطيفة، وبألوان أحمر وأخضر ووردي وأسود، وكان مظهره يليق بشغفه بالسجاد، خاصةً مع ملابسه الملونة وشعره المموج الأسود، هناك هالة من الرقة واللفظ تحيط به. لو أن هذا الرجل عكر المزاج حقاً، فهو يجيد إخفاء ذلك، كانت عيناه داكنتين، وتميلان إلى السواد، وكل تصرفاته تصرفات تاجر بارع، ودود، متملق، مُرَحَّب. قال:

- مرحباً! تريدان شراء سجاد؟

لوح لهما بذراعه، وكأنهما صديقان عزيزان لم يَرهما منذ زمنٍ طويل، أو زبائن محتملين يحبون هذا النوع من الفن، العُقد، الألوان، والنقوش ذات الرموز الدينية، تعبيرات عن الميلاد والحياة والموت والألم والانتصارات والكبرياء. كل هذه النقوش تستقر تحت طاولة الطعام أو أمام التلفزيون، إنه فن فريد ولا يمكن تدميره.

قال "سيير" وهو ينظر حوله:

- المكان واسع.

- طابقان كاملان بالإضافة إلى العلية. صدقني، لقد استثمرت كثيراً، بذلت كل قرشٍ لدي في هذا المكان، لم يبدُ هكذا في البداية حين اشتريته، كان عفناً وكثيباً، لكنني نظفته وغسلت الجدران، كان هذا كل ما احتاج إليه، كان عبارة عن فيلا قديمة، اتبعاني من فضلكما.

أشار إلى السلالم وقادهما إلى ما يسميه مكتبه، لكنه كان أقرب إلى مطبخٍ واسع، هناك طاولة من الصلب وبوتاجاز وماكينة قهوة وثلاجة صغيرة، هناك بلاط جميل على الجدار فوق الطاولة عليه رسومات لفتيات هولنديات بأزياء

محتشمة، وطواحين هواء، وعشب كثيف، يوجد أباريق ديكور متدلية من السقف، وفيها تعاريج من باب الزينة، كانت حواف طاولة المطبخ مغطاة بشرائح من النحاس، وكأنها آتية من سفينة قديمة.

جلسوا حول الطاولة، وذهب "يونا" إلى الثلاجة دون أن يسألها وصب عصير عنب في ثلاثة كؤوس.

سأله "سكاري":

- كيف حال الجراء؟

- ستحتفظ "هيرا" بواحدٍ منها، وهناك من سيأخذ الاثنين الباقيين، لذلك فات الأوان إن أردت تغيير رأيك.

ثم ابتسم وأخذ رشفة عصير، أدرك "سيير" أن سلوكه الودود سرعان ما سيتبخر.

- لدينا بضعة أسئلة عن "آني" أخشى أننا سنراجع الأقوال نفسها مجددًا.

مسح فمه وقال:

- قلت إنك اصطحبتها من الطريق الدائري، صحيح؟

اختيار "سيير" للكلمات وإيحائها، ولحظة الشك في أقواله السابقة، كلها أشياء أثارت انتباه "يونا".

- هذا ما قلته وما فعلته بالضبط.

- لكنها كانت تفضل السير، أليس كذلك؟

- عذرًا؟

- لقد احتجت إلى إقناعها لكي تركب معك، هل هذا صحيح؟

ضاقت عينا "يونا"، لكنه ظل صامتًا. قال "سيير":

- كانت تفضل السير، لذلك رفضت عرضك. هل أنا محقٌّ؟

أومأ "يونا" فجأة وابتسم قائلاً:

- لطالما فعلت ذلك، كانت بسيطة جدًا، لكنني رأيت أن المسافة طويلة جدًا حتى محل "هورجين"، إنه بعيد.
- إذا، هل أقنعتها؟
- لا، لا.
- هز رأسه بقوة وغيّر جلسته في الكرسي ثم قال:
- لقد ساورتها قليلًا، بعض الناس لديهم عادة متعبة في جعل الآخرين مساورتهم طوال الوقت.
- إذا لم تكن المشكلة في أنها لم ترغب في ركوب سيارتك أنت بالتحديد؟
- سمع "يونا" بوضوح تشديد "سير" على كلمة "سيارتك".
- هكذا كانت "آني"، ربما مترفعة قليلًا. إلى من تحدثتم؟
- بضع مئات من الناس، وأحدهم رآها تركب سيارتك بعد نقاش طويل، أنت آخر من رآها على قيد الحياة، وعلينا التركيز على هذا، ألا توافقني؟
- ابتسم "يونا" بدبلوماسية، وكأنهما يلعبان لعبة هو مستعد تمامًا للمشاركة فيها. قال:
- لم أكن آخر من رآها على قيد الحياة، بل من قتلها.
- قال "سير" بسخرية متعمدة:
- من الواضح أن الإمساك به صعب، وليس لدينا ما يثبت أن الرجل صاحب الدراجة النارية التي كانت بانتظار "آني"، كل ما لدينا هو أنت.
- عذرًا؟ ما الذي تريد قوله؟
- قال "سير" فاردًا ذراعيه:
- في الواقع، أحاول أن أفهم القضية، من طبيعة عملي أن أشك في أقوال الناس.
- هل تتهمني بالكذب؟

- أخشى أن هذا ما عليّ التفكير به، أرجو أن تعذرني، لماذا لم ترغب في الركوب معك؟

بدا "يوناَس" منزعجاً بوضوح وهو يقول:

- بالطبع أرادت الركوب!

لقد أبدى أول علامات الغضب، ثم كبّح نفسه بسرعة.

- لقد ركبت وأوصلتها إلى محل "هورجين".

- ليس أبعد من ذلك؟

- لا. لقد خرجت إلى المحل كما أخبرتك، ظننت أنها ستشتري شيئاً، لم أقد حتى الباب، بل توقفت على الطريق وأنزلتها.

وقف وأخذ سجائر من على الطاولة وأضاف:

- لم أرها بعد ذلك.

غيّر "سيير" مجرى الاستجواب وقال:

- لقد فقدت طفلاً يا "يوناَس"، أنت تعرف الشعور المصاحب لذلك، هل تحدثت مع "إيدي" في هذا الأمر؟

بدا "يوناَس" متفاجئاً لوهلة ثم قال:

- لا، لا. إنه يفضل الخصوصية، لذلك لم أرد إزعاجه، بالإضافة إلى أنه ليس سهلاً عليّ التحدث في الأمر.

- كم مضى على وفاة طفلك؟

- لقد تحدثت مع "أستريد"، أليس كذلك؟ حوالي ثمانية أشهر، لكنه ليس شيئاً هيناً لتنساه بسهولة.

أخرج سيجارة من العلبة وأشعلها ودخنها بطريقة أنثوية جداً، سجائر "ميريتس" وفي طرفها "فلتر". نظر إلى "سيير" بكآبة وقال:

- يحاول الناس أن يتخيلوا هذا الشعور بنوايا طيبة، يتخيلون السرير الخالي، وهم واقفون بجانبه ينظرون إليه، لقد فعلت ذلك كثيرًا، لكن السرير الخالي ما هو إلا جزء من الأمر، كنت أنهض كل صباح وأدخل الحمام، فأرى فرشاة أسنانه على الحوض، من النوع الذي يتغير لونه حين يسخن، البطة المطاطية على حوض الاستحمام، خُفّه تحت السرير، لقد وجدت نفسي أحضّر أماكن حول طاولة الطعام دون أن أشعر، فعلت ذلك لأيام، لقد ترك دمي قطنية كثيرة في السيارة، بعد شهور وجدت ضمادة جروح تحت الأريكة.

كان "يونا" يتكلم بغضبٍ مكتوم وعلى مضض، فلقد شعر أنه يكشف لهما الكثير مما ليس لهما الحق في معرفته.

- رميت الأغراض تدريجيًا، وشعرت أنني أرتكب جريمة، كان النظر إليها مؤلمًا، وكذلك حزمها للتخلص منها مرة واحدة، لقد طاردتني الذكرى كل يوم، وما زالت. هل تعرف كم تظل رائحة الإنسان عالقة في المنامة القطنية؟ صمت، وتحول وجهه الأسمر إلى رمادي. لم ينطق "سير" بكلمة، فجأة تذكر خفّ "إليز" الذي كانت تضعه أمام الباب في حال اضطرت إلى إخراج القمامة، أو إحضار البريد من الصندوق. تذكر بحزن شديد عندما كانت تفتح الباب، وتلتقط الخفّ لتلبسه، ثم تعيده إلى الداخل. قال "سير":

- ذهبنا إلى المقبرة منذ وقت قصير، هل مضى وقتٌ طويل على ذهابك؟
سأله "يونا" بصوتٍ أجش:

- ما هذا السؤال؟

- أردت فقط أن أعرف إذا كنت على علمٍ بفقدان شيءٍ من على الشاهد.

- هل تقصد الطائر الصغير؟ لقد اختفى بعد الجنازة مباشرةً.

- هل فكرت في استبداله؟

- أنت تريد أن تعرف الكثير بالفعل. نعم، بالطبع فكرت في ذلك، لكن لم أحتمل تكرار التجربة. فتركته كما هو.

- هل تعرف من أخذ التمثال؟

رد بحدة:

- بالطبع لا! لو عرفته، لأبلغت عنه فوراً، ولو حظيت بالفرصة للقنته درساً مؤلماً.

- هل تقصد كلاماً قاسياً؟

ابتسم بمرارة وقال:

- لا. بل أقصد ضرباً مبرحاً.

قال "سيير" ببساطة:

- "آني" أخذته.

اتسعت عينا "يونا س" بدهشة.

- وجدناه بين أغراضها، هل هذا هو؟

وضع يده في جيبه وأخرج الطائر، أخذه "يونا س" بأصابع مرتجفة، وقال:

- يبدو مثله، أظنه هو. لكن لماذا..

- لا نعرف، ظننا أنك قد تساعدنا.

- أنا؟ يا إلهي! لا فكرة لدي. لماذا قد تأخذه؟ لم تكن من الأشخاص الذين يميلون إلى السرقة، ليست "آني"، أنا متأكد.

- لهذا لا بد أنه كان لديها سبب أهم بكثير من مجرد الرغبة في سرقة شيء، هل كانت غاضبة منك على شيء؟

جلس "يونا س" ونظر إلى الطائر بدهشة بالغة.

أدرك "سيير" أنه لم يكن يعرف بهذا الشأن بالفعل، ونظر إلى "سكاري" الجالس بجانبه بعينين زرقاوين يراقب أدق حركات الرجل.

قال "يونا س" أخيراً:

- هل يعرف والداها بهذا؟
- لا نظن ذلك.
- ألم تكن "سولفي" من أخذته؟ فهي مختلفة قليلاً كما تعلم، إنها مثل الغراب الذي يخطف كل ما يلمع.
- لم تكن "سولفي".
- رفع "سير" كأسه وشرب عصير العنب، بدا طعمه مشوباً بالنبيذ.
- قال "يونا":
- حسناً، أظنها كان لديها بعض الأسرار، كلنا كذلك، كانت كتومة قليلاً، خاصة حين كبرت.
- لم تتقبل موت "إيسكيل" بسهولة، أليس كذلك؟
- لم تحتمل زيارتنا من وقتها، أتفهم ذلك، فأنا لم أستطع البقاء مع الناس وقتاً طويلاً، "أستريد" و"ماني" تركاني، وحدث الكثير في الوقت نفسه.
- أضاف بحزن على الذكرى:
- يا لها من فترة بائسة.
- لا بد أنكما تحدثتما مع بعضكما، صحيح؟
- مجرد تحيات موجزة إذا تقابلنا في الشارع، فقد كنا جيران بأي حال.
- هل حاولت تجنبك؟
- بدت محرجة، لقد كان الوضع صعباً على كلينا.
- قال "سير" وكأنه تذكّر للتو:
- والأسوأ أنك تشاجرت مع "إيسكيل" قبل وفاته مباشرة، لا بد أن ذلك صعب الأمور أكثر.
- قال بضيق:
- دع "إيسكيل" خارج الموضوع!

- هل تعرف "رايموند ليك"؟
- هل تقصد الفتى الغريب الساكن بالقرب من "كولين"؟
- سألتك إن كنت تعرفه أم لا.
- الجميع يعرف "رايموند".
- فقط أجب بنعم أو لا.
- أنا لا أعرفه.
- لكنك تعرف أين يعيش.
- نعم. في ذلك البيت القديم المتهالك، لكن لا بدَّ أنه يعجبه، بما أنه يبدو سعيدًا بحماقة.
- "سعيدًا بحماقة"؟
- نهض "سير" وأزاح كأسه جانبًا وقال:
- أظن أن الحمقى هم من يعتمدون على نوايا الآخرين الطيبة ليشعرون بالسعادة مثل باقي الناس. ولعلمك، على الرغم من أن إدراكه للأمور يختلف عن إدراكك، إلا أن بصره سليم تمامًا.
- تجمد وجه "يونا" قليلًا، ثم رافقهما إلى الخارج. نزلوا إلى الطابق الأول، وشعر "سير" بعدسة الكاميرا وكأنها شعاع ليزر موجه نحوه.

- ذهبوا إلى شقة "سير" ليأخذوا "كولبيرج" ويجلساه في المقعد الخلفي بالسيارة، الكلب ضخمٌ بحق، أعطاه "سير" قطعة إضافية من السمك المجفف، لا بدَّ أنه لهذا السبب بالتحديد يزداد حجمه.
- هل تظن أن رائحته سيئة؟
- أومأ "سكاري" وقال:
- عليك أن تعطيه حبة نعناع.

قادا نحو "لوندباي"، وانعطفا في الطريق الدائري، ثم ركنا بجانب صناديق البريد، سار "سيير" في الشارع مدرّكاً أن السكان حول المنزل (21) كلهم يمكنهم رؤيته، سيظن الجميع أنه ذاهبٌ لرؤية "هولاند"، لكنه توقف في نهاية الطريق ونظر خلفه نحو بيت "يوناَس"، بدا شبه خالٍ، كانت معظم الستائر مسدلة، سار عائداً ببطء.

- تغادر حافلة المدرسة الطريق الدائري في السابعة وعشر دقائق كل صباح، كل الأطفال في "كريستالين" يستقلونها، لذلك يغادرون بيوتهم في السابعة للحاق بها.

مر نسيماً خفيفاً، لكن لم تتحرك شعرة في رأسه.

- كان "ماني يوناَس" قد ذهب إلى المدرسة للتوّ عندما انحشر الطعام في حلق "إيسكيل".

انتظر "سكاري" وهو يحث نفسه على الصبر حتى يكمل "سيير" كلامه.

- غادرت "آني" متأخراً قليلاً عن الآخرين، فقد قال "هولاند" إنهم استيقظوا متأخراً، مرت ببيته، وربما أثناء تناول "إيسكيل" لفطوره.

نظر "سكاري" إلى بيت "يوناَس" وقال:

- نعم. وماذا في ذلك؟ فقط نوافذ غرفتي المعيشة والنوم هي المواجهة للشارع، والولد ووالده كان في المطبخ.

رد "سيير" بغیظ:

- أعلم، أعلم.

واصل السير واقتربا من البيت، وحاولا أن يتخيلا ما حدث ذلك اليوم من

نوفمبر السابعة صباحاً، يكون الجو مظلماً في الصباح الباكر من نوفمبر.

- هل تظن أنها ربما دخلت المنزل؟

- لا أعرف.

توقفا ونظرا إلى البيت لوهلة، تقع نافذة المطبخ في جانب البيت، وتواجه بيت الجيران.
سأله "سكاري":

- من يعيش في البيت الأحمر؟

- "إيرماك" مع زوجته وابنه. انظر، يوجد ممر بين البيتين.

نظر "سكاري" وقال:

- نعم، إنه كذلك. هناك شخصٌ قادم.

ظهر ولد بين البيتين، كان يسير خافضاً رأسه ولم يلحظ الرجلين الواقفين في الطريق، إنه "ثوربيورن هوجين"، الفتى الذي ساعد في البحث عن "رانهيلد".

وقف "سيير" وانتظره بينما يسير بخطوات واسعة في الممر الفاصل، كان يحمل حقيبة سوداء على كتفه، ويربط حول رأسه الربطة المنقوشة التي ارتداها من قبل، راقباه بينما يمر ببيت "يونااس"، كان "ثوربيورن" طويلاً، وخطواته واسعة، لذلك وصل إلى نافذة المطبخ.

سأله "سيير":

- هل تأخذ طريقاً مختصراً؟

توقف "ثوربيورن" وقال:

- ماذا؟ هذا الطريق يؤدي مباشرةً إلى "نيسفيين"؟

- هل يأخذ معظم الناس هذا الطريق؟

- بالطبع، فهو يوفر خمس دقائق.

سار "سيير" بضع خطوات في الطريق ثم توقف خارج النافذة، إنه أطول من "ثوربيورن"، ويمكنه الرؤية بوضوح عبر نافذة المطبخ، لم يعد هناك كرسي أطفال عالٍ الآن، بل كرسيان عاديان، وعلى الطاولة منفضة سجائر وكوب قهوة، عدا ذلك بدا المنزل مهجوراً تماماً. فكر في السابع من نوفمبر، كان

الجو مظلماً في الخارج، ومنيراً في الداخل، وهكذا من الخارج يمكنه رؤية الداخل، لكن من الداخل لا يمكنه رؤية من الخارج.

قال "ثوربيورن":

- يغضب "يونااس" كلما سرنا من هنا، قال إنه سئم من هذا الطريق المختصر الذي يمر بمنزله، لكنه سينتقل بأي حال.

- هل كل الشباب يأخذون هذا الطريق لركوب حافلة المدرسة؟
كل من يرتاد المدرسة الإعدادية والثانوية.

أوماً "سيير" إلى "ثوربيورن" واستدار إلى "سكاري" قائلاً:

- تذكرت شيئاً قاله "هولاند" حين تحدثنا في مكتبي. يوم وفاة "إيسكيل"، عادت "آني" من المدرسة أبكر من المعتاد لأنها كانت مريضة، وذهبت إلى السرير مباشرة، فاضطر إلى أن يلحقها إلى غرفتها لإخبارها بالحادث.

سأل "سكاري" بفضول:

- مريضة؟ ظننتهم قالوا إنها لا تمرض أبداً.

- قال إنها لم تكن بخير.

- هل تظن أنها رأت شيئاً من النافذة؟

- لا أعرف. ربما.

- لكن لماذا لم تقل شيئاً؟

- ربما لم تجرؤ، أو ربما لم تفهم تماماً ماذا رأت، ربما صارحت "هالفور"، لطالما شعرت أنه يعرف أكثر مما يخبرنا.

قال "سكاري":

- "كونراد"، ألا تظن أنه كان سيخبرنا؟

- لست واثقاً مما كان سيفعل، إنه شخص غريب. لنذهب ونتحدث معه.

في تلك اللحظة، رن جهاز الاستدعاء الخاص به، فذهب إلى السيارة ليطلب الرقم، رد عليه "هولتهيمان" وقال:

- أطلق "أكسيل بيورك" النار على رأسه بمسدس قديم الطراز، من نوع الساقية الدوارة.

استند "سير" على السيارة من وقع الخبر الذي يشبه الدواء المر حين يترك أثرًا مزعجًا في الحلق.

- هل وجدتم رسالة انتحار؟

- ليس مع الجثة، إننا نبحت في شقته، لكن من الواضح أن الرجل كان يعاني من تأنيب الضمير؟ ألا تظن؟

- لا أعرف. لقد كان لديه مشكلات كثيرة.

- كان مدمن كحول، ويضمّر ضغينة لـ "أدا هولاند" التي كانت حادة كأنياب القرش.

- كان فقط تعيسًا.

- الكراهية واليأس يتشابهان عادةً، يُظهر الناس ما يناسبهما أكثر.

- أظنك مخطئًا، لقد استسلم أخيرًا، لهذا أنهى حياته على الأرجح.

- ربما أراد أن يقتل "أدا" أيضًا؟

هز "سير" رأسه نفياً، ونظر إلى الشارع نحو بيت "هولاند"، وقال:

- ما كان ليفعل هذا لـ "سولفي" و "إيدي".

- هل تريد أن تجد القاتل أم لا؟

- أريد أن أجد القاتل الحقيقي.

أغلق الخط ونظر إلى "سكاري"، وقال:

- "أكسيل بيورك" مات، أتساءل فيم ستفكر "أدا" الآن، ربما نفس ما فكر فيه "هالفور" حين مات والده، أنها ارتاحت.

الفصل الخامس عشر



نهض "هالفور" بفزع، حتى أن كرسيه قد وقع، اتجه إلى النافذة فجأة ونظر إلى الحديقة الخالية، وقف هكذا لوقت طويل. رأى بطرف عينه الكرسي المقلوب وصورة "آني" بجانب السرير، هذا ما حدث إذًا، هذا ما رأيته "آني". جلس أمام الشاشة وقرأ الملف من البداية إلى النهاية، وجد أيضًا قصة حياته ضمن ما كتبه "آني"، ما ائتمنها عليه، أعمق أسرارها، والده الغاضب، طلقة النار في كشك الأدوات، في الثالث عشر من ديسمبر، لا علاقة للأمر بموت "آني". أخذ نفسًا عميقًا، وظلل هذا الجزء من النص وحذفه من الملف إلى الأبد، ثم أدخل قرصًا مرئيًا ونسخ الملف. عندما انتهى، خرج من الغرفة بهدوء، وذهب إلى المطبخ.

نادته جدته بينما يدخل غرفة المعيشة ويأخذ سترته الجينز:

- ما الأمر يا "هالفور"؟ هل ستخرج؟

لم يجب. سمع صوتها، لكن الكلمات لم تدخل عقله.

- إلى أين تذهب؟ هل ستذهب إلى السينما؟

بدأ يزرر سترته ويفكر في دراجته النارية، وما إذا كانت ستدور هذه المرة. لو لم تفعل، سيضطر إلى ركوب الحافلة، وهذا سيكلفه ساعة للوصول إلى وجهته، ليس لديه ساعة، يجب أن يصل بسرعة.

- متى ستعود؟ هل ستعود في وقت العشاء؟

توقف ونظر إليها، وكأنه لاحظ وجودها للمرة الأولى وهي تتقف أمامه وتسأله.

- العشاء؟

- إلى أين ستذهب يا "هالفور"؟ اقترب وقت العشاء.

- سأذهب لمقابلة شخص ما.

- مَنْ هو؟ تبدو شاحبًا، أتساءل إن كنت مصابًا بالأنيميا، متى كانت آخر مرة ذهبت لرؤية الطبيب؟ على الأرجح لا تتذكر حتى، قلت ما اسمه؟
- لم أقل. اسمه "يونا".

بدا صوت "هالفور" عازمًا على غير العادة، خرج وأغلق الباب، وحين نظرت عبر النافذة، رأيته منحنيًا على دراجته النارية يحاول تشغيلها بغضب.

لم تكن الكاميرا في الطابق الأول في مكان جيد، فالضوء منعكس على العدسة، ومن ثم لا يظهر من الناس إلا ظلالًا مبهمة كالأشباح، يحب أن يرى زبائنه قبل أن يخرج لتحتيتهم. في الأعلى حيث الضوء جيدًا، يمكنه أن يميز وجوه الزبائن ويخضّر نفسه قبل مغادرة المكتب، وإن كانوا زبائن معتادين، يمكنه أن يستعد بالأسلوب الذي يناسب كل زبون. نظر إلى الشاشة مرة أخرى، رأى خيال شخص واقف، كان رجلًا أو مراهقًا يرتدي سترة قصيرة، هذا كل ما استطاع تمييزه، لا يبدو الأمر مهمًا، لكن مع ذلك عليه أن يبدو رجلًا محترمًا وخدمًا كالعادة، ليحافظ على سمعة المعرض الذي يذيع صيته، بالإضافة إلى أنه من المستحيل أن يعرف من خلال الملابس فقط إذا كان الشخص غنيًا أم فقيرًا، ليس هذه الأيام على كل حال، كل ما يعرفه هو أن هذا الشخص قد يكون فاحش الثراء. نزل السلم بهدوء. كان يسير بخطوات بالكاد مسموعة، كانت خطواته خفيفة وحذرة، فليست من عادته أن يسير بسرعة وتهور وكأنه في محل لعب أطفال، هذا معرض، حيث يتحدث الناس بصوت خافت، لا يوجد بطاقات سعر أو ماكينة دفع، قاعدة المكان هي أن يتم إرسال الفاتورة، أو أن يتم الدفع بالبطاقة الائتمانية. وصل إلى آخر السلم وتوقف قائلاً:

- مساء الخير.
- كان الشاب واقفًا مديراً ظهره، واستدار على صوته، لاح الشكُّ في عينيه مختلطاً بالدهشة. لم يقل كلمة، بل ببساطة نظر إليه وكأنه يبحث عن شيء ما، ربما سر أو حل لغز.
- تعرف "يوناثاس" عليه، ولبضع لحظات فكر في ألا ينكر هذا.
- هل يمكنني مساعدتك؟
- لم يجب "هالفور"، كان يتفحص الرجل، أدرك أنه تعرف عليه، لقد رآه "يوناثاس" مرات عديدة، لقد ذهب إلى منزله مع "آني"، وتقابلا في الشارع، والآن أصبح "يوناثاس" دفاعيًا، أصبح جامدًا ككتلة من الصخر.
- قال "هالفور":
- بالتأكيد يمكنك.
- سار بضع خطوات وعبر الغرفة ليقترّب من "يوناثاس" الذي ما زال واقفًا على السلم ويده على الدرابزين.
- نظر حوله وقال:
- أنت تبّيع السجاد، أليس كذلك؟
- هذا صحيح.
- أريد أن أشتري سجادة.
- قال مبتسمًا:
- رائع! هذا ما ظننت. عم تبحث؟ هل تفكر في شيء محدد؟
- أدرك "يوناثاس" أنه لا يبحث عن سجاد حقًا، بالإضافة إلى أنه لا يستطيع أن يتحمل تكلفة واحدة، إنه يسعى إلى شيء آخر، ربما جاء بدافع الفضول، مجرد نزوة لحظية، على الأرجح لا يعرف تكلفة السجاد، لكنه سيعرف بسرعة، نعم.
- قال وهو ينزل آخر درجة:
- صغيرة أم كبيرة؟

كان الشاب أقصر منه بمقدار رأس، وأنحف أيضًا.
- أريد سجادة كبيرة كفاية لتغطية الأرض كلها، حتى لا توضع الكراسي على الأرض مباشرةً، فالتنظيف مزعج.
أوماً "يونا" وقال وهو يبدأ بالصعود:
- تعالِ إلى الأعلى حيث أحتفظ بالسجاد الكبير.
تبعه "هالفور"، لم يخطر بباله أن يستغل الفرصة ويوجه أسئلة، شعر وكأن قوة مجهولة هي ما توجهه، وتحركه نحو جبلٍ مظلم.
أضاء "يونا" نجفة سداسية طلبها من معرضٍ للزجاج في "فينيسيا"، تتدلى من دعائم السقف وتضفي ضوءًا دافئًا لكن قويًا في الغرفة الواسعة.
- ما اللون الذي تريده؟
توقف "هالفور" أعلى السلم ونظر إلى الغرفة وتمتم:
- كلها حمراء.
ابتسم "يونا" وقال بنبرةٍ ودية:
- لا أريد أن أبدو محرّجًا، لكن هل تدرك سعر هذا السجاد؟
نظر إليه "هالفور" بعينين ضيقتين، وتذكر شيئًا من ماضيه، شيئًا لم يشعر به منذ زمنٍ طويل. رد بنبرةٍ فاترة:
- أظنني لا أبدو فاحش الثراء، هل تريد رؤية حسابي البنكي؟
قال "يونا" بتردد:
- أعذرني من فضلك، لكن الكثير من الناس يتجولون في المكان ثم يشعرون بالحرج عند معرفة السعر، لذلك أردت أن أعفيك من هذا الشعور.
قال "هالفور":
- يا للمراعاة!

خطا إلى الغرفة ومر بـ"يوناث" وتوجه مباشرةً إلى سجادة كبيرة معلقة على الجدار، مد يده وعبث بالشراشيب، نظر إلى النقوش، فميّز رجالاً وأحصنة وأسلحة. قال "يوناث":

- متران ونصف في ثلاثة أمتار، اختيار ممتاز إن سمحت لي بإبداء رأيي، تصور النقوش صراعاً بين قبيلتين، إنها ثقيلة جداً. سأله "هالفور":

- يمكنك توصيلها، أليس كذلك؟
- بالطبع. لديّ شاحنة توصيل، لكن كنت أفكر في صعوبة تنظيفها، إنها تحتاج إلى رجال كثيرين لتنفيذها فقط.
- سأخذها.

- عذراً؟
اقترح "يوناث" بضع خطوات ونظر إليه بريبة، هذا الشاب غريب.
- إنها تقريباً أعلى سجادة لديّ، ثمنها سبعون ألف كرونة.
راقب الفتى من كثب بينما يقول السعر، لكن "هالفور" لم يطرّف بعينه حتى، بل قال:

- أنا واثق بأنها تستحق.
لم يحب "يوناث" الأمر، زحف الشكُّ في أعماقه مثل ثعبانٍ بارد، لم يعرف ماذا يريد هذا الشاب، أو لماذا يتصرف بغرابة. من المستحيل أن يملك هذا القدر من المال، ولو ملكه، فلن يصرفه على سجادة.

قال "هالفور":
- غلّفها من أجلي.
ثم شبك ذراعيه واستند على طاولة من خشب الماهوجني، فأطلقت صريراً مقلّماً تحت ثقله.

- أغلفها؟ أنا ألفها ثم أحيطها بالبلاستيك وبعدها أضع شريطاً لاصقاً على الأطراف.
- حسناً، لا بأس.
- انتظر "هالفور".
- يستغرق الأمر بعض المجهود لإنزالها من على الجدار، أقترح أن أوصلها إليك هذا المساء، عندها يمكنني مساعدتك في فرشها.
- قال "هالفور":
- لا، لا. أريد أن آخذها الآن.
- تردد "يوناك" وقال:
- تريد أن تأخذها الآن؟ أعذر وقاحتي، لكن كيف تنوي الدفع؟
- نقدًا، إن كان ممكنًا.
- ربّت على جيبه الخلفي، كان يرتدي جينزًا شاحبًا بأطراف أكمام مهترئة.
- وقف "يوناك" أمامه مرتبًا.
- سأله "هالفور":
- هل من مشكلة؟
- لا أعرف. ربما.
- وما هي؟
- قرر "يوناك" أن يأخذ موقفًا ويتوقف عن التظاهر، فقال:
- أعرف من أنت.
- وهل نعرف بعضنا؟
- أومأ "يوناك" وهو يقف مكانه واضعًا يديه في خصره.
- نعم يا "هالفور"، بالطبع نعرف بعضنا، أظن أنه من الأفضل أن تغادر فورًا.
- لماذا؟ هل من مشكلة؟
- قال "يوناك" بغيظٍ مكتوم:

- كفى هراء الآن!
اندفع "هالفور" قائلاً:
- أوافق! أنزل تلك السجادة وجهزها فوراً!
- بعد تفكير، لا أظنني أريد بيعها، سأنتقل من المنزل وأريد الاحتفاظ بها
لنفسي، بالإضافة إلى أنها غالية جداً عليك. كن صادقاً، كلانا يعرف أنك لا
تستطيع شراءها.
قال "هالفور" وهو يستدير:
- تريد الاحتفاظ بها إذاً؟ حسناً، أتفهم ذلك، سأختار غيرها.
نظر إلى الجدار مجدداً وأشار فوراً إلى سجادة باللونين الأخضر والوردي، ثم
قال ببساطة:
- سأخذ هذه، أنزلها من أجلي وأعطني الوصل.
- تكلفتها أربعة وأربعون ألف كرونة.
- لا بأس.
- حقاً؟
ظل واقفاً شابكاً ذراعيه وينظر إليه بعينين جامدتين كالحجر.
- هل سأكون وقحاً إن طلبت رؤية المال لأتأكد من أنك تملكه؟
هز "هالفور" رأسه نفياً وقال:
- بالطبع لا، أدرك أنه من المستحيل معرفة ثراء الشخص من مجرد النظر
إليه هذه الأيام.
وضع يده في جيب بنطلونه، وأخرج محفظة قديمة متهاكة ومسطحة
كالفتيرة، أدخل أصابعه فيها وحرك بعض العملات المعدنية، ثم أخرج القليل
منها ووضعها على الطاولة.

نظر "يوناَس" بشكُّ إلى العملات من فئة خمسة وعشرة وواحد كرونة في كومة صغيرة، ثم قال بحدة:

- حسنًا، هذا يكفي. لقد أخذت الكثير من وقتي بالفعل، والآن اخرج من هنا! توقف "هالفور" ونظر إليه، وبدا وكأنه شعر بالإهانة. وضع أصابعه في المحفظة مجددًا وقال:

- لم أنتهِ بعد، معي المزيد.

- كلا، لا تملك شيئًا! أنت تعيش في بيت قديم متهاك مع جدِّك، وتعمل في توصيل الآيس كريم! تكلفة السجادة أربعة وأربعون ألف كرونة، فلتخرج المال الآن إن كنت تستطيع!

- إذًا، تعرف أين أعيش؟

نظر إليه "هالفور"، بدأ الأمر يزداد خطورة، لكنه لم يكن خائفًا، لسبب ما لم يشعر بذرة خوف.

قال فجأة وهو يسحب شيئًا من محفظته:

- لديّ هذا.

نظر "يوناَس" إليه بشكُّ ثم نظر برييةً إلى ما يمسكه بين أصابعه.

قال "هالفور":

- إنه قرص كمبيوتر.

قال "يوناَس" بغضب وهو يشعر بالخوف يعربد في أعماقه:

- لا أريد قرصًا، بل أربعين ألف كرونة.

قال "هالفور" وهو يلوح بالقرص:

- إنها مذكرات "آني"، لقد بدأت تكتب مذكراتها منذ وقت، بدءًا من نوفمبر في الواقع، كنا نبحث عنها، أشخاص عديدون، تعرف كم تحب الفتيات كتابة أسرارهن. تصاعدت أنفاس "يوناَس"، ونظر إلى "هالفور" وكأنما يطعنه.

قال "هالفور":

- لقد قرأتها، إنها عنك.

- أعطني إياه!

- في أحلامك!

اندفع "يونا" نحو، تغيرت نبرة "هالفور" فجأة وصار عميقًا، وكأنما صوت روح شريرة يخرج من فم طفل.

- لقد صنعت منها نسخًا عديدة لكي أشتري ما أريد من سجاد، كلما رغبت في شراء سجادة جديدة، سأصنع نسخة أخرى. هل تفهم ما أقول؟
- أيها الحقير المخبول! هل هربت من مستشفى المجانين؟

استعد "يونا" واندفع نحو "هالفور"، الذي رأى صدره ينتفخ في جزء من الثانية وعرف أنه سينقض عليه، كان وزنه يزيد على وزن "هالفور" بعشرين كيلوجرامًا، بالإضافة إلى أنه كان غاضبًا. ارتدى "هالفور" جانبًا ليتفاداه، ففقد "يونا" هدفه ووقع على الأرض وصدم رأسه بالطاولة، تبعثرت العملات المعدنية في كل مكان وهي ترن على الأرض، بدأ "يونا" يتفوه بأقذر السباب الذي سمعه "هالفور" في حياته، حتى بالمقارنة مع سباب والده المكثف. عاد واقفًا في ثانيتين، وعندما رأى الوجه الأسمر أمامه أدرك أنه خسر المعركة، لقد كان أضخم منه. أسرع "هالفور" نحو السلم، لكن "يونا" طارده ونزل ثلاث أو أربع درجات قبل أن يقفز نحوه ويصطدم بظهره، حاول "هالفور" أن يرفع رأسه لكن جسده اصطدم بالأرض بعنف.

- أبعد يديك القذرتين عني!

أداره "يونا" نحوه، وشعر "هالفور" بنفس الرجل على وجهه، وبقبضتيه تحكمان على رقبته.

- لقد جننت! قضي عليك! لا يهمني ما ستفعله بي، لكن انتهى أمرك بالفعل!

أصبح "يوناَس" كالأصم والأعمى من شدة الغضب، رفع قبضته ووجهها نحو الفتى، تعرض "هالفور" للضرب من قبل، لذلك يعرف ما سيحدث له. لكمة بضربة قوية تحت ذقنه، فتحطم فكُّه الضعيف، اصطدمت أسنانه ببعضها بعنف، واختلطت شظايا من أسنانه الصناعية بالدم الذي خرج من فمه. واصل "يوناَس" ضرب الفتى بلا هوادة، وظل "هالفور" يتحرك يمينًا ويسارًا حتى أفلت من إحدى لكمات "يوناَس"، وارتطمت قبضته بالأرض الصلبة وصرخ، نهض واقفًا ونظر إلى يده لاهتًا، وجدها غارقة في الدماء، ثم نظر إلى الجسد الملقى على الأرض وسحب نفسًا عميقًا. بعد بضع دقائق، هدأت نبضات قلبه وصفا ذهنه.

قالت الجدَّة بدهشة حين وجدت "سير" و"سكاري" على بابها:
- إنه ليس هنا، كان سيزور شخصًا ما، أظن أن اسمه "يوناَس". كان غاضبًا أيضًا، ولم يأكل شيئًا. لا أعرف ماذا يحدث، أصبحت مسنَّة ولم أعد أستطيع مجارة الأمور.

غضب "سير" من الخبر وضرب قبضته مرتين في إطار الباب.
- هل تلقى اتصالًا مثلًا؟
- لا أحد يتصل بنا، "آني" كانت الوحيدة التي كانت تتصل بين حين وآخر، كان يجلس في غرفته طوال الظهيرة، يلعب بالكمبيوتر، وفجأة خرج مسرعًا واختفى.
- أنا واثق بأننا سنجده. أعذرنا، نحن في عجلة.
قال لـ "سكاري" وهو يغلق باب السيارة بعنف:
- من بين كل الأمور، هذا أسوأ ما يمكن أن يفعله.
قال "سكاري" بانفعالٍ مكتوم وهو يدور بالسيارة:
- سنعرف قريبًا ماذا حدث.

لا أرى دراجة "هالفور".

خرج "سكاري" من السيارة بسرعة. استدار "سيير" إلى "كولبيرج" الذي ما زال مستلقياً في المقعد الخلفي، وأخرج بسكويته كلاب من جيبه. جذبا الباب الذي انفتح ببطء، فوجدا نفسيهما يحدقان بكاميرا مراقبة مثبتة في السقف، رآهما "يوناك" من المطبخ. لوهلة ظل جالساً على الطاولة يتنفس بهدوء وينفخ على مفاصله المصابة، لا داعي للعجلة، كل شيء في دوره. صحيح أن أموراً عديدة حدثت في الوقت نفسه، لكنه اعتاد التعامل مع كل شيء. كان رجلاً قادراً على فعل الكثير، يحلُّ المشكلات كل واحدة على حدة حين تأتيه، هذه إحدى مهاراته الخاصة. وقف بهدوء شديد وتقدم لينزل السلم.

قال:

- ما زلتما تدوران في البلدة؟ بدأتما تزعجان الناس.

- هل تظن هذا حقاً؟

ظهر "سيير" أمامه كعامودٍ ضخمة، كل شيء يبدو عادياً في المعرض. لا أثر لزوار آخرين.

- نحن نبحت عن شخص ما، وظننا أننا قد نجده هنا.

نظر إليهما "يوناك" بتساؤل ثم استدار إلى الغرفة وفرد ذراعيه قائلاً:

- أنا الوحيد هنا، وكنت على وشك الإغلاق لأن الوقت قد تأخر.

- نود أن نلقي نظرة، لن نتأخر بالطبع.

- بصراحة..

- ربما تسلل إلى الداخل بينما لا تنظر، واختبأ في مكان ما. من يدري.

كان "سيير" يرتجف من الانفعال، حتى ظن "سكاري" أن هناك عاصفة عاتية تحت قميصه.

- قال "يوناَس":
- لكنني أغلق المعرض!
تجاوزاه وصعدا السلم، دخلا المكتب، وفتحا باب الحمام، وبحثا في العلية،
لكن لم يريا أحد.
- عمن تبحثان؟
كان "يوناَس" يستند على الدرايزين وينظر إليهما بحاجِبٍ مرفوع، بينما
لاحظا صدره الذي يعلو ويهبط بوضوح مع كل نفس.
- "هالفور مانتز".
- ومَن هو؟
- حبيب "آني".
- ولماذا قد يأتي إلى هنا؟
- لست واثقًا.
تجول "سيير" في المعرض بهدوء وقال:
- لكنه لَحَّ إلى قدمه إلى هنا، لقد كان يلعب دور المحقق لبعض الوقت،
وأظن أنه علينا إيقافه.
قال بابتسامة لزجة:
- أوافقك تمامًا، لكن لم يأتني أي شاب للتحقيق معي.
ركل "سيير" بعض السجاجيد الملفوفة بطرف حذائه وقال:
- هل يوجد قبو في المبنى؟
لا.
- ماذا تفعل بالسجاد ليلاً؟ هل تتركه هكذا؟
- معظمه، لكن الغالي منه أضعه في الخزانة.

فجأة لمح "سير" الطاولة الماهوجني الصغيرة وتحتها العملات المعدنية المتناثرة. قال:

- هل تتعامل دائماً بإهمال مع النقود البسيطة؟
هز "يونا" كتفيه، لم يحب "سير" هدوءه الشديد، لم يحب التعبير المرسوم على وجه تاجر السجاد. فجأة لمح "سير" في ركن الغرفة دلوًا وردي اللون وبجانبه فرشاة بلاط، كانت الأرض رطبة، فسأله:

- هل كنت تمسح الأرضية؟
- هذا آخر ما فعله قبل الإغلاق، أوفر الكثير من المال حين أفعّلها بنفسى.
ثم أضاف:

- كما ترى، لا أحد هنا.

نظر "سير" وقال:

- أرنا الخزانة.

لوهلة بدا "يونا" وكأنه سيرفض، ثم غيّر رأيه وبدأ ينزل السلم.
إنها في الطابق الأرضي، يمكنك رؤيتها بالطبع، على الرغم من أنها مغلقة بطبيعة الحال ومن المستحيل الاختباء فيها.

تبعاه إلى الطابق الأول إلى زاوية تحت السلم، حيث رأيا بابًا معدنيًا. كان منخفض الارتفاع لكنه أوسع من الأبواب العادية. ذهب "يونا" إلى الخزانة وأدار قرص الرقم السري يمينًا ويسارًا، ومع كل حركة يصدر القرص صوت تكة مسموعة، كان يستخدم يده اليسرى، لذلك كان يحرك القرص بصعوبة لأنه أيمن وليس أعسر.

- هل هذا الولد مهم للغاية لدرجة أنكما تظنان أنني قد أخفيه هنا؟

قال "سير" وهو ينظر إلى حركة يده اليسرى الغريبة:

- هذا محتمل.

أمسك "يوناى" قبضة الباب الثقيل وجذبه بكل قوته.
قال "سير":

- بالتأكيد سيكون أسهل لو استخدمت يديك معًا.
رفع "يوناى" حاجبه وكأنه لم يفهم. نظر "سير" إلى المساحة الضيقة
التي احتوت على خزانة صغيرة، ولوحتين أو ثلاث تستند إلى الجدار ومجموعة
من السجاد الملفوف والمرصوص مثل جذوع الأشجار.
- هذا كل ما هناك.

نظر إليهما بعدائية، كانت الخزانة مضاءة بشدة بلمبتين من النيون في
السقف، أما الجدران فملساء.

ابتسم "سير" وقال:

- لكنه كان هنا، أليس كذلك؟ ماذا أراد؟

- لم يأت أحد غيركما.

أوماً "سير" وخرج من الخزانة، نظر إليه "سكاري" بشكٍّ لكنه تبعه إلى الخارج.
- لو أنه جاء، هلا تتصل بنا فوراً؟ إنه يمر بوقتٍ صعب مؤخراً بعد كل ما
حدث، إنه يحتاج إلى المساعدة.

- بالطبع.

ثم أغلق باب الخزانة.

في موقف السيارات بالخارج، أشار "سير" إلى "سكاري" بالقيادة.

قد أعلى التلّ وتوقف عند الطريق الجانبى هذا، هل تراه؟

أوماً "سكاري".

- توقف هناك، سننتظر حتى يغادر ثم نتبعه، أريد أن أعرف إلى أين سيذهب.

لم ينتظرا طويلاً، لم تمر أكثر من خمس دقائق قبل أن يظهر "يونا" فجأة أمام الباب، أغلق المعرض وشغل الإنذار، مرّ بسيارته الـ"سيتروين" الرمادية وغاب في الباحة الخلفية لبضع دقائق، ثم ظهر وهو يقود شاحنة نقل قديمة، توقف في الشارع ثم انعطف يساراً، استطاع "سيير" أن يسمع صوت المحرك بوضوح.

قال "سكاري":

- بالطبع لديه شاحنة توصيل.
- ومحركها به أسطوانة معطوبة، إنه يئن مثل قارب صيد قديم. لنذهب، لكن كن حذراً، إنه متجه إلى التقاطع، لا تقترب كثيراً.

قال "سكاري":

- هل ترى ما إذا كان ينظر إلى مرآة الرؤية الخلفية أم لا؟
- لا ينظر. دع تلك الـ"فولفو" تتخطاك يا "سكاري"، تلك الخضراء.
توقفت الـ"فولفو"، لكن "سكاري" أشار للسائق بأن يتقدم، فحياه السائق بإيماءة شكر.

- سيستدير إلى اليمين، اذهب إلى الحارة اليمنى! أين سيذهب في رأيك؟
- ربما إلى "أوسكارجارتن"، الرجل على وشك الانتقال من منزله، أليس كذلك؟ احذر، إنه يبطئ سرعته، انتبه لشاحنة البيرة تلك، لو تقدمت عليك، فقدنا أثره!

- القول أسهل من الفعل، متى ستشتري سيارة قوية؟
- إنه يبطئ مجدداً، أراهن أنه متجه إلى "بوريسينجاتن"، لنأمل أن تكون الـ"فولفو" ذاهبة في الاتجاه نفسه.

قاد "يوناى" شاحنته برفق وسلاسة عبر المدينة، وكأنه لا يريد لفت الانتباه، أشار بالتوقف وأبطأ سرعته عندما اقترب من "أوسكار جارتن"، والآن رأياه بوضوح وهو ينظر إلى مرآة الرؤية الخلفية مرات عديدة.

- سيتوقف عند المبنى الأصفر، إنه العقار رقم خمسة عشر، توقف يا "سكاري"! - هنا؟

- أطفئ المحرك، سيخرج من الشاحنة الآن.

خرج "يوناى" من الشاحنة ونظر حوله وعبر الشارع بخطوات واسعة، نظر "سير" و"سكاري" إلى الباب حيث وقف يعبث بمفتاح، كان يحمل صندوق أدوات. - سيصعد إلى شقته، سننتظره هنا الآن. بمجرد أن يدخل، تسلل بسرعة إلى شاحنته، أريدك أن تختلس النظر من النافذة الخلفية.

- ماذا بالداخل في رأيك؟

- لا أجرؤ حتى على التخمين. حسنًا، اذهب الآن، بسرعة يا "سكاري"!

ركض "سكاري" وهو منحني كرجل عجوز ويختبئ خلف صف من السيارات المركونة، ثم ظهر فجأة عند مؤخرة الشاحنة ووضع يديه على جانبي وجهه على الزجاج لكي يرى جيدًا، وفي ثوانٍ استدار عائدًا بسرعة، ألقي بنفسه في مقعد السائق وأغلق الباب بعنف.

- رأيت كومة من السجاد، وما يبدو مثل دراجة "هالفور" الـ "سوزوكي"، إنها في مؤخرة الشاحنة ومعها الخوذة على المقود، هل نصدع إليه؟

- بالطبع لا. سننتظر هنا، لو أنني على حق، فلن يتأخر.

- وهل سنواصل تتبعه؟

- على حسب.

- هل يوجد أنوار مضاءة؟

- لا أرى شيئًا مضاءً، ها هو!

انخفضا ونظرا إلى "يونا" الذي توقف ونظر إلى جهتي الشارع، إلى صف طويل من السيارات المكونة على اليسار، لم يَرهما، ذهب إلى شاحنة النقل، وركبها وشغل المحرك، ثم بدأ يقود إلى الخلف، رفع "سكاري" رأسه فوق لوحة العدادات بالضبط. سأله "سيير":

- ماذا يفعل الآن؟

- إنه يقود إلى الخلف، ثم إلى الأمام، يحاول أن يركن أمام المدخل بالضبط، خرج وذهب إلى الباب الخلفي، والآن يفتحه ويخرج سجادة ملفوفة، انحنى ووضعها على كتفه، إنه يترنح تحت ثقلها، يبدو أنها ثقيلة للغاية!

- يا إلهي! سوف يقع!

ترنح "يونا" بشدة تحت وزن السجادة الثقيلة، بدت ركبتاه على وشك الاستسلام. وضع "سيير" يده على مقبض الباب وقال:

- سيعود إلى الداخل. إنه يحاول وضعها في المصعد على الأرجح. راقب واجهة المبنى يا "سكاري" في حال أشعل ضوءاً! بدأ "كولبيرج" يئن.

قال "سيير" وهو يستدير ويربت على الكلب:

- اصمت يا فتى!

انتظرا وراقبا المبنى والنوافذ المظلمة.

- هناك ضوء في الطابق الرابع، شقته هناك، تحت ذلك البروز مباشرة. هل تراها؟ نظر "سيير" إلى الواجهة حتى وجد النافذة الصفراء التي بلا نوافذ.

سأله "سكاري":

- ألا يجب أن نصعد؟

- لا تتسرع، "يونا" ذكي. علينا الانتظار قليلاً.

- ننتظر ماذا؟

- انطفأ النور مجدداً، ربما سيخرج، انخفض يا "سكاري"!

انخفضا وبدأ "كولبيرج" يئن مجدداً.

همس له "سيير" بغيظ:
- لو نبحت، فلن أعطيك طعاماً لمدة أسبوع!
خرج "يونا" وبدأ منهكاً، هذه المرة لم ينظر يميناً ويساراً، بل ركب
الشاحنة وأغلق الباب وشغل المحرك.
فتح "سيير" الباب وقال:
- اتبعه أنت، وحافظ على المسافة بينكما، وأنا سأصعد إلى شقته.
- كيف ستدخل الشقة؟
- لقد تدربت على فتح الأقفال. ألم تفعل؟
- بالطبع، بالطبع.
- لا تفقد أثره! لا تتحرك حتى ينعطف عند الناصية، عندها اتبعه، على
الأرجح سينتظر حتى حلول الظلام، عندما تجده عائداً إلى البيت، اذهب إلى
المركز واحضر الدعم، اعتقله في بيته، لا تعطه الفرصة لتغيير ملابسه أو لإخفاء
شيء، ولا تقل شيئاً عن الشقة! لو توقف في الطريق للتخلص من الدراجة
النارية، لا تعتقله. هل تفهم؟
سأله "سكاري":
- نعم، لكن لم لا؟
- لأنه ضعيف حجمك!
أمسك "سيير" بطوق "كولبيرج" وخرج من السيارة ساحباً الكلب، انحنى
خلف السيارة بينما يتحرك "يونا" بالشاحنة، انتظر بضع ثوانٍ ثم قاد
خلفه، لكن لم يشعر بثقة بالغة.
عبر "سيير" الشارع، وضرب جرساً عشوائياً في جهاز الاتصال الداخلي،
وقال بحزم:
- الشرطة.

أصدر الباب أزيزًا وهو يُفتح، دخل وتجاهل المصعد وأسرع على السلالم حتى الطابق الرابع. هناك بابان، لكنه استدار مباشرةً إلى الشقة المطلة على واجهة المبنى، لأنه رأى ضوء نافذتها من الشارع. لم يجد لافتة لاسم المالك، نظر إلى القفل، فوجده قفلًا بسيطًا، فتح محفظته وبحث عن البطاقة الائتمانية، كان مترددًا في استخدام بطاقته البنكية، لكن وجد بجانبها بطاقة المكتبة ومكتوب عليها اسمه ورقمه، وعلى ظهرها مطبوع "الكتب تفتح كل الأبواب". حشر البطاقة في شق الباب، وانفتح الباب، كان القفل بلا فائدة فعليًا، لكن ربما سيغيره. الشقة خالية حاليًا، فأشعل الأضواء، لمح صندوق الأدوات في وسط الأرضية، وكرسيتين بجانب النافذة، هناك هرم صغير من علب الطلاء، وزجاجة خمسة لترات من زيت التربنتين تحت حوض المطبخ. كان "يونس" يجدد الديكور، تسلل "سير" إلى الداخل، واستمع، كانت الشقة مضيئة ومفتوحة على الخارج بنوافذها الضخمة المطلة على الشارع، كما أنها عالية كفاية لتبتعد عن صخب الشارع، كانت بناية قديمة من مطلع القرن، بواجهة جميلة وسقف مزين بورود من الجبس تنعكس على النهر القريب.

سار بهدوء من غرفة إلى أخرى وهو ينظر حوله، لم يتم تركيب التليفون، ولم يفرش الأثاث، هناك صناديق من الورق المقوى مكدسة بجانب الجدران، ومكتوب عليها بقلم أسود "غرفة النوم" و"المطبخ" و"غرفة المعيشة" و"الصالة"، ولوحتان، وزجاجة نصف فارغة على طاولة المطبخ، والكثير من السجاد الملفوف والمرصوص تحت نافذة غرفة المعيشة. تشمم "كولبيرج" الهواء، تعرف على رائحة الطلاء والمعجون وزيت التربنتين. أخذ "سير" جولة أخرى في الشقة وتوقف عند النافذة لينظر منها، كان "كولبيرج" متوترًا، ظل يتجول في الشقة بنفسه. تبعه "سير" وهو يفتح الصناديق عشوائيًا، لم يرَ السجادة الثقيلة، بدأ الكلب ينبج بصوتٍ مكتوم، وتجول أكثر في الشقة، فتبعه "سير".

أخيرًا توقف الكلب أمام باب، وأخذ يחדش فيه بمخالبه. نظر "سير" حوله، لا يعرف لماذا يشعر بأن أحدًا بالقرب منه. وضع يده على مقبض الباب وفتحه، تفاجأ بشخص يضربه في صدره بقوة شديدة، ثم سمع صخبًا ممزوجًا بصوت ألم وصياح وزمجرة ونباح عنيف، بينما يغرز الحيوان الضخم مخالبه في صدره. قفز "كولبيرج" فاتحًا فمه بينما تعرف "سير" على كلب "الدوبرمان" الخاص بـ"يونا"، بعدها سقط على الأرض وعليه الكلبان، انقلب على بطنه تلقائيًا وهو يغطي رأسه بيديه، تدرج الكلبان على الأرض بينما ينظر حوله باحثًا عما يمكن استخدامه كسلاح، لكن لم يجد شيئًا. أسرع إلى الحمام ولح مكنسة، فأخذها وعاد إلى حيث ترك الكلبين على بعد بضعة أمتار من بعضهما بينما يزمجران ويظهران أسنانهما.

هتف "سير":

- "كولبيرج"! إنها قوية، اللعنة!

لمعت عينا "هيرا" الصفراوان مثل مصباحين وسط وجهها الأسود، تراخت أذنا "كولبيرج" بينما ظلت الكلبة الأخرى واقفة كالفهد المستعد للانقضاض. رفع "سير" المكنسة وتقدم خطوات، وهو يشعر بالعرق والدماء يجريان على جسده تحت قميصه، نظر إليه "كولبيرج"، وأبعد عينيه عن خصمه للحظة، فاندفعت الكلبة كالصاروخ بفم مفتوح، أغمض "سير" عينيه وضربها، أصاب "هيرا" في مؤخرة عنقها وأغمض عينيه بيأس بينما سقطت الكلبة، رقدت على الأرض متألمة. اندفع "سير" وأمسك بطوق الكلبة وسحبها إلى غرفة النوم، فتح الباب ودفعها بقوة إلى الداخل وأغلق الباب خلفه، ثم استند على الجدار وانهار على الأرض، وهو ينظر إلى "كولبيرج" الذي كان ما زال يقف في وضعية دفاعية وسط الغرفة.

مسح جبهته وقال:

- اللعنة يا "كولبيرج". إنها قوية!

جاءه "كولبيرج" ولحق وجهه. على الجانب الآخر من الباب، سمعا "هيرا" تن، لوهلة جلس "سير" وهو يخفي وجهه بين يديه حتى يهدأ من الصدمة، نظر إلى نفسه، كانت ثيابه مغطاة بفراء كلاب ودماء، و"كولبيرج" كان ينزف من أذنه.

نهض وذهب إلى الحمام، وجد بطانية على الأرض في ركن الاستحمام، ولمح فيها شيئاً ناعماً لونه أسود وبيكي بضعف.

قال "سير" هامساً:

- لا عجب في أنها هاجمتنا بشراسة، كانت تحمي جرائها.

وجد السجادة الملفوفة راقدة بجانب أحد الجدران، انحنى ونظر إليها، كانت ملفوفة بإحكام ومغلقة بالبلاستيك ومربوطة بشريط لاصق عريض وقوي. يعلم "سير" أن من الصعب نزع هذا النوع، بدأ يجذب ويشد بينما يتعرق بشدة، ساعده "كولبيرج" وأخذ يخرش ويخدش الغلاف، أخيراً تمكن من نزع الشريط وبدأ يمزق البلاستيك، وقف وسحب السجادة إلى غرفة المعيشة، سمعا "هيرا" وهي تن في غرفة النوم، انحنى ودفع السجادة بقوة، فانفردت ببطء وثقل، وجد بداخلها جسداً مضغوطاً، كان وجهه محطماً، وفمه ملصقاً بشريط، وأنفه أيضاً، أو بالأحرى ما تبقى من أنفه. ترنح "سير" قليلاً من الصدمة عندما وجد نفسه ينظر إلى "هالفور"، استدار واستند على الجدار قليلاً، ثم أخرج التليفون المعلق في حزامه، وقف عند النافذة وهو يطلب الرقم وينظر إلى مركب يتحرك في النهر، اسمه "هيكساجون"، ويبحر من "بريمين". سمع صوت صفارة ثم رنيناً حزيناً طويلاً، وكأنه يقول انتظر ولا داعي للعجلة.

قال في التليفون:

- "كونراد سير"، في عقار رقم 15 في أوسكارجاتين". أحتاج إلى الدعم.

الفصل السادس عشر



- "هينينج يوناى" ؟
- أدار "سىر" قلمًا بين إصبعية ونظر إليه.
- هل تعرف سبب وجودك هنا؟
- قال بصوتٍ خشن:
- أى سؤال هذا؟ دعنى أقول شيئًا واحدًا. لصبرى حدود، إن لم يكن الأمر يتعلق بـ"أنى"، فليس لى ما أقوله.
- قال "سىر":
- لن نتحدث عن "أنى".
- فهمت.
- هز نفسه برفق فى كرسيه إلى الأمام والخلف، شعر "سىر" أنه لاحظ لحظة ارتياح على وجهه.
- اختفى "هالفور مانتز" من على وجه الأرض، هل ما زلت مصرًا على أنك لم تراه؟
- زم "يوناى" شففيه وقال:
- بالطبع. أنا لا أعرفه أصلًا.
- هل أنت واثق؟
- قد لا تصدق، لكننى ما زلت سليم العقل، على الرغم من مضايقات الشرطة المستمرة.

- نحن نتساءل عن سبب وجود دراجة "هالفور" في شاحنتك.
- أقلت من "يوناكس" صوتًا وكأنه خائف، ثم قال:
- عذرًا؟ ماذا قلت؟
- دراجة "هالفور".
- إنها دراجة "ماني"، أنا أساعده في إصلاحها.
- تحدث بسرعة بدون أن ينظر إلى "سيير".
- دراجة "ماني" من نوع "كاوازاكي"، بالإضافة إلى أنك لا تعرف شيئًا عن الدراجات النارية، فهي خارج مجالك تمامًا بصراحة. جرب شيئًا آخر يا "يوناكس".
- حسنًا، حسنًا!
- ظهر غضبه وفقد أعصابه وأمسك الطاولة بيديه.
- لقد أتى إلى معرضي وبدأ يزعجني. يا إلهي! لقد ضايقني بشدة! تصرف وكأنه تعاطى مخدرات، وتعلل بأنه يريد شراء سجادة، لكنه بالطبع لا يملك المال الكافي. الكثير من الناس غربيي الأطوار يدخلون ويخرجون من معرضي ويفقدوني أعصابي، صفعته، فركض مثل طفلٍ صغير تاركًا دراجته النارية وكل شيء، حملتها في شاحنتي، وكعقابٍ له، عليه أن يأتي ليأخذها بنفسه ويرجوني لأعيدها له.
- نظر "سيير" إلى مفاصله المتورمة وقال:
- لكن لماذا تبدو يدك مصابة بشدة إن كنت أعطيتَه فقط صفقة بسيطة؟ المشكلة هي أن لا أحد يعرف مكانه.
- لا بدَّ أنه هرب إذنًا، على الأرجح يؤنبه ضميره بشأن شيء ما.
- مثل ماذا؟
- أنت تحقق في مقتل حبيبته، ربما يجب أن تتبع هذا الخيط.
- لا تنس يا "يوناكس" أنك تعيش في بلدة صغيرة، الشائعات تنتشر بسرعة.

تعرق "يونا" بغزارة حتى أن قميصه التصق بجسده.
- لا يهم، فأنا سأرحل على أي حال.
- أخبرتنا بالفعل، ستذهب إلى وسط المدينة، أليس كذلك؟ إذاً، لقنت
"هالفور" درساً، ربما علينا أن نتركه وقتاً؟
لم يكن "سيير" سعيداً، هذا ما بدا.
- هل يمكن أنك تفقد أعصابك بسرعة يا "يونا"؟ لننتحدث عن هذا.
أدار القلم بين أصابعه وأضاف:
- لنبدأ بالحديث عن "إيسكيل".
كان "يونا" محظوظاً، لقد انحنى للتو ليخرج سجائره من جيب سترته،
فأخذ وقته وهو يعتدل. قال بغضب:
- لا. لا أقوى على التحدث عن "إيسكيل".
قال "سيير":
- لدينا كل ما نحتاج إليه من وقت، ابدأ من ذلك اليوم في نوفمبر، من اللحظة
التي استيقظت فيها مع ابنك.
هز "يونا" رأسه بعصبية ولعق شفتيه، فكل ما يفكر فيه هو القرص
المرن الذي لم يتمكن من قراءته بعد، ربما أخذه "سيير" وقرأ كل ما كتبته
"آني"، كانت الفكرة كفيلة بإصابته بدوار.
- من الصعب أن أتحدث عن الأمر، لطالما حاولت أن أنساه، لماذا تهتم كثيراً
بمأساة قديمة؟ أليس لديك أمور أكثر أهمية تشغل وقتك؟
- أدرك صعوبة الأمر، لكن حاول على كل حال. أعلم أنك مررت بوقتٍ قاسٍ،
وأنك كنت بحاجة ماسة إلى مساعدة من خبير نفسي، أخبرني عنه.
- لماذا تريد التحدث عن "إيسكيل"؟
- كان الطفل جزءاً مهماً من حياة "آني"، وعلينا التحقيق في كل ما يتعلق بها.

- أفهم هذا حقًا، لكنني في حيرة، لوهلة ظننتك تشتهه في.. كما تعلم.. في كوني متورطًا في وفاة "آني".

ابتسم "سير" ابتسامة واسعة نادرًا ما تظهر، ثم نظر إلى "يونا" بدهشة مصطنعة وقال وهو يهز رأسه:

- وهل لديك أي دافع لقتل "آني"؟

- بالطبع لا. لكن بصراحة، لقد استغرقت وقتًا حتى اتصلت بك وأخبرتك أنها ركبت معي، وأعلم أنني خاطرت بنفسي هكذا.

- كنا سنكتشف بأي حال، لقد رآك شخص ما.

- هذا ما ظننت، لذلك اتصلت بك.

قال "سير" بلامبالاة:

- أخبرني عن "إيسكيل".

مال "يونا" إلى الأمام وسحب نفسًا من سيجارته، بدا مرتبكا، تحركت شفاته لكن لم يخرج منهما صوت.

في البداية كان عقله صافيا، لكن الآن شعر بأن الغرفة تضيق عليه، وكل ما يسمعه هو صوت تنفس الرجل الجالس مقابله. نظر إلى الساعة المعلقة على الجدار لكي يرتب أفكاره، كانت السادسة مساءً.

استيقظ "إيسكيل" بهتاف فرح في السادسة صباحًا، أخذ يتقلب في سريره في كل اتجاه، أراد أن ينهض فورًا، احتاجت "أستريد" إلى أن تواصل النوم قليلاً لأنها لم تنم جيدًا. لذلك اضطرت إلى أن أنهض أنا معه، تبعني خارج الغرفة وإلى الحمام وهو يتعلق ببنطلون بيجامتي، كان متعلقًا بي بيديه ورجليه، وظل يثرثر بلا توقف، شلال مندفع من الصخب والصياح. ظل يتململ مثل السمك خارج المياه وهو يلبسه ثيابه، لم يرغب في ارتداء حفاظات، لم يرغب في ارتداء الملابس التي أحضرتها له، ظل يعبث بكل شيء يمكن تحريكه من مكانه.

وأخيراً صعد على غطاء كرسي الحمام، وبدأ يجذب الأغراض الموضوعة على الرف أسفل المرأة. وقعت علب وزجاجات "أستريد" وتحطمت على الأرض، أنزلته على الأرض وانجرفنا في الحوار المعهود، وبخّته برفق في البداية، ثم وضعت قرص "ريتالين" مهدئاً في فمه، لكنه بصقه وجذب ستارة الحمام وأسقطها، حاولت أن أرتدي ثيابي بينما أمنعه من تدمير وتحطيم شيء آخر، أخيراً ارتدينا ملابسنا. حملته إلى المطبخ لأضعه في كرسیه، لكن بينما أسير به، دفع رأسه إلى الخلف وصدمني في فكي، انشقت شفتي وبدأت تنزف. وضعته في كرسیه وربطته بالحزام، ثم وضعت له بعض الزبد على الخبز، لكنه لم يرد أن يأكله، هزّ رأسه ورمى الطبق بينما يصرخ طالباً سجّاً".

قال "سير" مخرجاً إياه من ذكرياته:

- "يونس"؟ أخبرني عن "إيسكيل".

- حسناً، إن كان هذا ما تريد. بدأ السابع من نوفمبر كأني يوم، أي لا يحتمل، كان كالقنبلة، يدمر العائلة بأكملها مدة استيقاظه، تدنت درجات "ماني" أكثر وأكثر، ولم يحتمل البقاء في البيت، فأصبح يخرج مع أصحابه ظهراً ومساءً، لم تحصل "أستريد" على نوم كافٍ قط، وأنا لم أستطع المكوث بانتظام في المعرض، كل وجبة كانت عذاباً.

ابتسم فجأة بحزن وهو يقول:

- "آني" كانت بارقة السعادة الوحيدة، كانت تأتي وتأخذه كلما سمح وقتها، عندها يحل صمتٌ مفاجئ وعنيف على البيت، كنا ننهار في مكاننا فاقدين الوعي، سواء جالسين أو مستلقين. كنا مجهدين ويائسين، ولم يساعدنا أحد. أخبرنا الطبيب بصراحة أنه سيعاني من مشكلات في التركيز وفرط النشاط طوال حياته، العائلة بأكملها كانت ستضطر إلى تحمله لسنواتٍ قادمة. سنوات، هل تتخيل؟

- وفي ذلك اليوم تشاجرت معه؟

ضحك "يونااس" بفضاظّة وقال:

- كنا نتشاجر دائماً، فالعائلة كلها مصابة باضطرابٍ عصبي على ما يبدو. لا شكّ في أننا شاركنّا في زيادة الوضع سوءاً بالنسبة له، لم نعرف كيف نتعامل معه، صرخنا وصحنا، تكونت حياتنا من سلسلة متواصلة من السباب والاستياء. - أخبرني ماذا حدث.

- أطل "ماني" برأسه ليقول وداعاً، ثم ذهب ليلحق بحافلة المدرسة حاملاً حقيبتّه على ظهره، كان الجو ما زال مظلماً بالخارج، وضعتُ الزبد على قطعة خبزٍ جديدة ووضعت عليها بعض السجق، ثم قطعت الشطيرة إلى قطعٍ صغيرة، على الرغم من إنه كان يستطيع بسهولة أن يأكل حواف الخبز الجامدة. طوال الوقت ظل يخبط كوبه على الطاولة المغطاة بالمفرش بينما يصرخ ويصيح، ليس بضحكٍ أو غضب، بل بسيل متواصل من الأصوات. فجأة لمح حلوى "الوافل" على الطاولة من اليوم السابق، وبدأ يلح في طلبها، لكنني رفضت على الرغم من علمي بأنه سيفوز في النهاية. تلك الكلمة كانت بمثابة إشارة له لكي يرفض الاستسلام، ظل يخبط كوبه ويهتز في كرسيه حتى كاد يقع. وقفتُ عند الطاولة وأدّرت ظهري له بينما أرتجف، أخيراً أخذت الطبق وفتحت الغطاء البلاستيك، ثم سحبت قطع "الوافل" المتصلة ببعضها، رميت قطع السجق في القمامة ووضعت "الوافل" أمامه. فصلت قطعتين على شكل قلب، علمت أنه لن يأكلها بهدوء، ما زال ينتظرني الكثير من الصخب، فأنا أعرفه جيداً. طلب "إيسكيل" بعض المربى عليها، وضعت مربى التوت على "الوافل" بغضب، عندها ابتسم. أتذكرها جيداً، آخر ابتسامة، كان فخوراً بنفسه، لم أحتمل شعوره بالسعادة بينما أنا على وشك الإصابة بانهايارٍ عصبي. أخذ الطبق وبدأ يضربه على الطاولة، لم يرغب في "الوافل" بعد كل هذا، إنه لا

يحبها حقًا، كل ما أراده "إيسكيل" هو الفوز. وقعت قطع "الوافل" على الأرض، فبحثت عن قطعة قماش، بحثت في كل مكان لكن لم أجد، رفعت "الوافل" بيدي وفردتها. أخذ يراقبني بفضول بينما أضغط قطع "الوافل" وأحولها إلى كتلة كبيرة، لم يحمل وجهه الصغير ذرة خوف مما هو آتٍ. كنت أغلي من الغضب، وعليّ أن أفرج عن بعض منه، لكن لم أعرف كيف. فجأة انحنييت على الطاولة وحشرت "الوافل" في فمه ودفعته إلى أقصى ما أستطيع، ما زلت أتذكر نظرة الدهشة التي علت وجهه، والدموع التي تكونت في عينيه. صرخت بغضب: "الآن! ستأكل "الوافل" اللعين الآن!".

انهار "يونا" مثل عصا مكسورة، وقال:

- لم أقصد فعلها!

كانت سيجارته مشتعلة في المنفضة، ابتلع "سير" ريقه ونظر إلى النافذة، لكنه لم ير شيئًا يمكنه أن يمحي الصورة من خياله، الولد الصغير بفمٍ محشو بالحلوى، وعيناه متسعتان من الخوف.

نظر إلى "يونا" وقال:

- علينا أن نرضى بأطفالنا كما هم، ألا توافقني؟

- هذا ما قاله الجميع، كلهم لا يعرفون شيئًا، لم يعرف أحد ما مررنا به، والآن سألتقى تهمة القتل من خلال العنف المنزلي، لقد أدنت نفسي منذ وقتٍ طويل، لن تستطيع أن تجعل الأمر أسوأ.

نظر إليه "سير" وقال:

- بماذا أدنت نفسك بالضبط؟

- وفاة "إيسكيل" هي غلطتي بالكامل، كنت مسؤولاً عنه، لا يوجد أي مبررٍ أو عذر، الشيء الوحيد الذي لم أتعمد هو وفاته، كانت حادثة!

قال "سير":

- لا بدّ أن الأمر كان صعباً عليك، لم يكن لديك مَنْ تذهب إليه مع شعورك باليأس، في الوقت نفسه لم تشعر أنك عوقبت كفاية على فعلتك، أليس كذلك؟ صمت "يونا" ودارت عيناه في الغرفة.

- أولاً فقدت ابنك الصغير، بعدها هجرتك زوجتك وأخذت معها ابنك الكبير، أصبحت وحيداً تماماً.

بدأ "يونا" بالبكاء بصوتٍ متحشرج.

- ومع ذلك أنت تواصل حياتك، لديك كلب يسليك، وعمل يزدهر، تحتاج إلى الكثير من الطاقة لكي تبدأ من جديد.

أوماً "يونا" وقد بدأ يهدأ من كلامه.

عندها ضرب "سير" ضربته وقال:

- وعندما بدأت تستعيد حياتك الطبيعية، ظهرت "آني". أليس كذلك؟ انتفض "يونا".

- ربما نظرت إليك بنظرة اتهام عندما قابلتها في الشارع، لا بدّ أنك تساءلت عن سبب كونها باردة، عندما رأيته تركض حاملة حقيبتها المدرسي، أردت أن تعرف ما الأمر بشكلٍ حاسم. صحيح؟

رأيت فتاة تركض على التلّ، وعندما ميزت هي مَنْ أنا، توقفت فوراً، تجمد وجهها ونظرت إليّ ببرود، كانت لغة جسدها توحى برفض تام لي، سلوكها العدائي أقلقني.

بدأت تسير مجدداً بخطوات واسعة دون أن تنظر خلفها، رفضت الاستسلام وناديتها، كان عليّ أن أفهم ما المشكلة. أخيراً ركبت على مضض، جلست شابكةً ذراعيها حول حقيبة المدرسة التي حملتها أمامها. قدت ببطء، أردت أن أتكلم

لكن لم أعرف من أين أبدأ، وخشيت أن أكون على وشك القيام بشيء خطير
لكلينا، لهذا واصلت القيادة. لمحتها بطرف عيني وهي جالسة بجمود، وحولها
هالة من الاتهامات العنيفة الموجهة إليّ.

قلت بتردد وأنا أقبض على المقود بقوة:

- أحتاج إلى شخصٍ أتحدث معه، الوضع كان صعباً عليّ.

ردت:

- أعلم ذلك.

كانت تنظر إلى النافذة، لكنها فجأة استدارت ونظرت إليّ للحظة، شعرت
بفرصةٍ تظهر، وحاولت أن أسترخي، لم أفقد الفرصة للتراجع وترك الأمر،
لكنها كانت جالسة بجانبني وتستمع إليّ. ربما كانت كبيرة بما يكفي لتفهم كل
شيء، وربما كل ما أرادته هو أن أعترف وأتوسل طالباً الغفران، فحسُ العدالة
لدى "آني" عالٍ جداً.

- هل يمكن أن نذهب إلى مكانٍ ما لنحدث قليلاً يا "آني"؟ من الصعب فعل
ذلك في السيارة، بضع دقائق فقط إن كان وقتك يسمح، ثم سأوصلك إلى أين
مكان تريدينه.

كان صوتي ضعيفاً ومتوسلاً، فلاحظت أنها تأثرت، أومأت ببطء وبدا أنها
استرخت قليلاً، تراجع في كرسيها ونظرت عبر النافذة مجدداً. بعد وقت
تجاوزنا محل "هورجين"، ورأيت دراجة نارية مركونة بجانبه، كان السائق
منحنياً على المقود ويدقق في شيء ما، ربما كانت خريطة. قدت ببطء وحذر على
الطريق الوعر وصعوداً إلى قمة "كولين"، وركنت عند المنعطف. بدت "آني"
متوترة فجأة، تركت حقيبتها على أرضية سيارتي. أحاول أن أتذكر فيم كنت
أفكر وقتها، لكنني لا أستطيع، كل ما أذكره هو أننا مشينا إلى القمة. كانت
"آني" طويلة وممشوقة وهي تسير بجانبني، كانت شابة قوية، وواثقة بنفسها.

ذهبت معي إلى البحيرة وجلست بترديدٍ على صخرة، أخذت تجذب أصابعها لوهلة. أتذكر أظافرها القصيرة، والخاتم الصغير في يدها اليسرى.

قالت بخفوت:

- لقد رأيْتُكَ، رأيْتُكَ عبر النافذة، ركضت حين ملت إلى الطاولة، ولاحقًا أخبرني أبي بوفاة "إيسكيل".

قلت بحزن:

- كنت أعرف أنك تتهميني من تصرفاتك، كلما التقينا في الشارع يوميًا أو عند صناديق البريد بجوار المرأب، كنت تتهميني بسلوكك.

بدأت أبكي، ملت إلى الأمام وبكيت في حجري بينما جلست "آني" ساكنة بجانبني، لم تقل شيئًا، لكن حين انتهيت اختلست النظر نحوها، فوجدتها كانت تبكي أيضًا، شعرت بتحسّن كبير لم أشعر به منذ وقتٍ طويل. لامس نسيْمٌ دافئ وجهي، وشعرت بأن هناك أمل.

همست لها:

- ماذا يجب أن أفعل؟ ماذا يجب أن أفعل لكي أرمي هذا الثقل خلف ظهري؟

نظرت إليّ بعينيها الرماديتين نظرة دهشة، وقالت:

- سلّم نفسك للشرطة بالطبع، اعترف بالحقيقة وإلا لن تشعر بالسلام أبدًا!

في تلك اللحظة نظرت إليّ، تحول قلبي إلى حجر، وضعت يدي في جيبتي

لأتمالك نفسي، ثم سألتها:

- هل أخبرت أي شخص؟

- لا، ليس بعد.

صرخت بيأس:

- اهتمي بشؤونك يا "آني"!

فجأة شعرت بأنني أنهض من قاعٍ عميق، وأخرج من الظلام إلى النور. فكرة واحدة سيطرت عليّ، وهي أن "آني" هي الوحيدة في العالم التي تعرف الحقيقة. شعرت بالرياح تهدر في أذني، عرفت أنني خسرت كل شيء. ارتسمت على وجهها الدهشة نفسها التي علت وجه "إيسكيل"، بعدها سرت بخفة في الغابة ولم أستدر لأنظر إليها ولو مرة.

نظر "يوناثان" إلى الستائر واللمبة النيون في السقف، بينما يحاول أن ينطق بكلمات ترفض الخروج، نظر إليه "سيير" وقال:
- لقد فتشنا بيتك وحصلنا على أدلة جنائية، ستتلقى تهمة القتل بسبب الإهمال لابنك "إيسكيل يوناثان"، والقتل العمد لـ "آني صوفي هولاند". هل تفهم ما أقول؟

- أنت مخطئ!

كان صوته هشاً، وعيناه حمراوين.

- لست أنا من سيحكم.

وضع "يوناثان" أصابعه في جيب قميصه بحثاً عن شيء، كان يرتجف بعنف مثل رجلٍ عجوز، أخيراً أخرج علبة معدنية مسطحة صغيرة.

- فمي جاف جداً.

نظر "سيير" إلى العلبة وقال:

- لم تكن مضطراً إلى قتلها كما تعلم.

قال بضعف:

- عم تتحدث؟

- لم تكن مضطراً إلى قتل آني"، كانت ستموت من تلقاء نفسها إن انتظرت قليلاً.

- هل تمزح؟

- لا. ما كنت لأمزح أبداً بشأن سرطان الكبد.
- أنت مخطئ، لا أحد كان أكثر صحةً من "آني". كانت تقف عند الماء حين وقفت وغادرت، وآخر ما سمعت كان صوت حجرٍ رمته في الماء، لم أجرؤ على إخبارك في البداية أنها صعدت معي إلى البحيرة، لكن هذا ما حدث! لم ترغب في الركوب معي في طريق العودة، بل أرادت أن تسير. ألم تظن أن شخصاً ما قد ذهب إليها بالتأكيد عندما وجدها واقفة عند البحيرة؟ فتاة وحدها في الغابة، تزدحم قمة "كولين" بالسيّاح، ألا يخطر ببالك أنك قد تكون مخطئاً؟
- بل يخطر ببالي في أحيانٍ نادرة، لكن يجب أن تفهم أنك خسرت المعركة، لقد وجدنا "هالفور" بالفعل.
تجد وجه "يوناثان" وكأن شخصاً خزه بإبرة في أذنه.
قال "سيير":
- خبر محزن، أليس كذلك؟

جلس "سيير" ساكناً ويداه في حجره، وجد نفسه مرات عديدة يفرك إصبعه الذي يحمل خاتم زواجه لاشعورياً، لم يكن لديه ما يفعله، إضافةً إلى أن الغرفة الصغيرة كانت هادئة ومظلمة جداً. بين حينٍ وآخر كان ينظر إلى وجه "هالفور" المحطم، لقد غسله شخصٌ ما واعتنى به، لكنه تشوه تماماً بالفعل، كانت شفتاه مفترقتين قليلاً، فرأى أن الكثير من أسنانه قد تحطمت، اختفت الندبة التي كانت قرب فمه، فوجهه بالكامل قد انشق مثل ثمرة فاكهه شديدة النضج، لكن جبهته ما زالت سليمة، أحدهم مشط شعره إلى الوراء حتى يظهر جلده الناعم، لمحة بسيطة تُظهر وسامته السابقة. أحنى "سيير" وجهه ووضع يديه على الملاءة بحذر، كان المصباح العلوي يسلط ضوءه عليهما في دائرة، لم يسمع إلا صوت أنفاسه، وصوت مصعدٍ عن بعد. جفل حين شعر بحركةٍ

مفاجئة تحت يده، فتح "هالفور" عيناً واحدة ونظر إليه، الأخرى كانت مغطاة بكتلة كثيفة من الضمادات بدت مثل قنديل البحر. أراد أن يتحدث، لكن "سير" وضع إصبعه على شفتيه، وهز رأسه في إشارة لكي يصمت.
- من اللطيف أن أرى ابتسامتك، لكن لا يجب أن تتكلم وإلا ستفتح جروحك.
قال "هالفور" بحروف غير واضحة:
- "تُكرًا".

نظرا إلى بعضهما لوقتٍ طويل، أوماً "سير" بضع مرات بينما طرف "هالفور" بعينه الخضراء.
قال "سير":

- هل القرص الذي وجدناه في بيت "يونا" نسخة طبق الأصل من مذكرات "آني"؟

- أمم.

- لم يُحذف شيء؟

هز رأسه نفياً.

- ألم تغير أو تعدل شيئاً؟

هز رأسه نفياً مجدداً.

- حسناً إذاً.

- "تُكرًا".

امتلاّت عينا "هالفور" بالدموع وبدأت أنفه تسيل.

قال "سير":

- لا تنفعل وإلا انفتحت جروحك، وها هي أنفك تسيل، سأبحث عن منديل.

وقف ووجد بعض المناديل عند الحوض، حاول أن يمسح المخاط والدم

اللذين يسيلان من أنف الفتى.

- أظنك وجدت تصرفات "آني" صعبة في بعض الأوقات، لكنك عرفت السبب الآن، كلنا لدينا أسبابنا، كان الحمل ثقيلاً عليها.
نظر إلى الفتى وحاول أن يخفف عنه لأنه أشفق عليه وهو يرد في السرير بوجهٍ مهشم. فقال:
- أعلم أن كلامي سيبدو سخيًّا، لكنك ما زلت شابًا، لقد خسرت الكثير الآن، لأنك تشعر بأن "آني" هي الوحيدة التي أردتها، لكن ستتغير الأمور بمرور الوقت، سيتغير تفكيرك يوماً ما.
يا إلهي! يا لها من خطبة.
لم يجب "هالفور". نظر إلى يدي "سير" على الملاءة، ولاحظ خاتم الزواج الذهبي العريض. فنظر إليه باتهام.
قال "سير":
- أعلم فيم تفكر، إنه من السهل لي أن أتحدث بينما أرتدي خاتم زواجي الكبير وأتباهى به، خاتمًا بعرض عشرة مليمترات.
أضاف بحزن:
- لكنهما في الواقع خاتمان، كل واحد بسُمك خمسة مليمترات، لقد لحمتها معًا.
أدار الخاتم وقال:
- زوجتي متوفاة. هل تفهم؟
أغمض "هالفور" عينيه، وسالت على وجهه بعض الدموع المختلطة بالدماء.
فتح فمه، فرأى "سير" بقايا أسنانه المحطمة. وقال:
- "أ.. نا آثف".

أشرقَت الشمس بدفءٍ أخيراً، وتمشى "سير" و"سكاري" في الشارع وبينهما الكلب. سار "كولبيرج" بفرحٍ وهو يرفع ذيله مثل الراية.

كان يحمل بعض الورود، ملفوفة في مناديل ورقية ومربوطة بخيط يلف حول معصمه، زهور شقائق النعمان، حمراء وزرقاء، وكان يضع سترته على كتفيه. تحسن الطفح الجلدي لأول مرة منذ وقتٍ طويل، سار بخطواتٍ رشيقة وسلسلة بينما كان "سكاري" يتعثر بجانبه، أما الكلب فسار بحيويةٍ غير معتادة منه، لكنهما لم يسرعا السير لأنهما كانا يرتديان قميصين مكويين، ولم يرغباً في أن يتعرقا قبل الوصول إلى وجهتهما.

كان "ماتْيوس" يجري في الأنحاء بحماس، وهو يحمل دمية على شكل حوت قاتل بلونيه الأبيض والأسود بين ذراعيه، اسمه "فري ويلي"، وكان كبيراً بحجم الطفل تقريباً، كانت غريزته الأولى أن يركض نحوه ويحمله ليسمع ضحكته الرنانة، هكذا يجب أن تكون تحية كل الأطفال، تشع بفرح غامر، لكن هذه ليست طبيعة "سيير"، لقد حمل الطفل بحرصٍ إلى حجره، ونظر إلى "إنجريد" التي كانت ترتدي فستاناً صيفياً جديداً أصفر اللون وعليه ثمر توت، تمنى لها عيد ميلاد سعيد، وضغط على يدها بحب، قريباً سيسافران إلى الطرف الآخر من العالم، إلى الحرّ والحرب، سيغيبان طويلاً. صافح زوج ابنته بينما يضم "ماتْيوس" بقوة، وجلسوا بهدوء في انتظار الطعام.

لم يلح "ماتْيوس"، كان حسن الأخلاق، لا يعرف العناد والعصيان، الشيء الوحيد الذي لم يره "سيير" في عائلته هو سوء السلوك، حياة "ماتْيوس" اليومية مليئة بالابتسامات والحب. ويبدو أن أصوله التي لا يعرفون عنها الكثير، لم تعطه جينات تؤدي إلى سلوكيات غريبة تُرهق أفراد الأسرة حتى يفقدوا صوابهم. عاد بذاكرته إلى "جاملي موليفي" في ضواحي "روسكيلدي"، حين كان طفلاً، انغمس في ذكرياته لوقتٍ طويل، ثم انتبه إلى أن ابنته تكلمه، فقال:

- ماذا قلتِ يا "إنجريد"؟

نظر بدهشةٍ إلى ابنته وراها تزيح خصلةً شقراء بعيداً عن جبهتها بينما
تبتسم ابتسامة خاصة لها تُظهرها إلا له.

كررت كلامها:

- صودا يا بابا؟ هل تريد صودا؟

في الوقت نفسه لكن في مكان آخر، تحركت شاحنة قبيحة بصعوبة على
الطريق بسرعةٍ منخفضة، يقودها رجلٌ ضخم بشعرٍ أشعث، توقف أسفل التلّ
ليسمح لفتاة صغيرة بعبور الطريق، كانت قد خطت خطوتين وحسب لكنها
توقفت فجأة حين رأت الشاحنة.

هتف السائق:

- أهلاً يا "رانهيلد"!

كانت تحمل حبلاً للقفز بإحدى يديها، فلوحت باليد الأخرى.

- هل تتمشين؟

قالت بحزم:

- أنا في طريقي إلى المنزل.

قال "رايموند" بصوتٍ عالٍ لكي تسمعه فوق صوت المحرك:

- "سيزر" مات، لكن "باشان" أنجب أرانب صغيرة!

- لكنه ذكر!

- ليس سهلاً أن تعرفي الذكر من الأنثى في الأرانب بسبب الفراء الكثيف. لكن

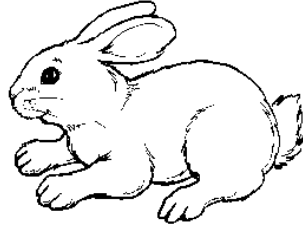
بأي حال، لقد أنجب خمسة أرانب، يمكنك أن تأتي وترىهم إن أردت.

قالت بإحباط:

- لن يسمحوا لي.

نظرت إلى الطريق وأملت أن يأتي من ينقذها من هذا الإغراء الشديد. أرانب رضيعة.

- هل نما فراؤها؟
- نعم، نما فراؤها وفتحت أعينها. سأوصلكِ إلى البيت بعدها يا "رانهيلد".
هيا، إنها تنمو بسرعة!
نظرت إلى الطريق مرة أخرى. ثم أغمضت عينيها وفتحتهما مجددًا، بعدها
أسرعت إلى السيارة وركبت. كانت "رانهيلد" ترتدي بلوزة بيضاء بياقة ذات
ثقوب و"شورت" أحمر صغير. لم يرها أحد وهي تركب، الجميع في باحاتهم
الخلفية، مشغولين بالزراعة وإزالة الحشائش ورعاية الورود والنبات المتسلق.
كان "رايموند" مرتاحًا وهو يرتدي سترة "سيير" القديمة المضادة للرياح،
تحرك بالشاحنة بينما الفتاة الصغيرة تجلس بجواره، صفراً بسعادة ونظر
حوله، لم يلحظهما أحد.



صدر من سلسلة #جريمة_العربي:

#سلسلة_إيفرت_جرينز / أندرس روزلوند وبيرجي هليستروم (السويد)	#ثلاثية_ريكيافيك / ليليا سيجورادوتير (آيسلندا)
- ثلاث ثوان	- الفخ (1)
- ثلاث دقائق	- المصيدة (2)
- ثلاث ساعات	- القفص (3)
#سلسلة_كبير_المفتشين_كيرت_فالاندر / هينينج مانكل (السويد)	#سلسلة_للحقق_كونراد_سير / كارين فوسم (النرويج)
- جريمة المانكل (السويد)	- جريمة في الظلام (1)
- جريمة الذئب الوحيد (3)	- جريمة جليسة الأطفال (2)
- جريمة الرجل الذي ابتسم (4)	- جريمة العروس الهندية (5)
	- جريمة على حافة البحيرة (8)
#فرقة_الضباط_المنبذين / صوفي إيناف (فرنسا)	#سلسلة_ألكسندر_بلكس_وايما_رام / يورن لير هورست وتوماس إنجر (النرويج)
- جريمة في باريس (1)	- مستحق للموت (1)
- فريق تحقيقات باريس (2)	- شاشة من الدخان (2)
#سلسلة_المحقق_ألبير_كامو / ألبير جانيجور (تركيا)	#سلسلة_المحقق_المتقاعد_إيفرت_جرينز / أندرس روزلوند (السويد)
- جريمة الأخ الصغير (2)	- جريمة عيد الميلاد (1)
#سلسلة_الصحفية_أنیکا_بنجستون / ليزا ماركلوند (السويد)	#سلسلة_المحققة_ماريا_كاليو / لينا ليهتولاينين (فنلندا)
- جريمة تفجير الأوليبياد (1)	- جريمة الأولى (1)
- جريمة الملهى الليلي (2)	- من عدوها؟ (2)
#سلسلة_المحققة_جانا_برسيلوس / إميلي شيب (السويد)	#سلسلة_كاتي_هيرشيل / أسمهان أيكول (تركيا)
- الوسم (1)	- جريمة في البوسفور (1)
- الانتقام (2)	- جريمة في إسطنبول (2)
	- الطلاق على الطريقة التركية (3)
	- تانجو إسطنبول (4)
#سلسلة_سيباستيان_برجمان / مايكل هيورث وهانز روزينفلت (السويد)	#سلسلة_المحققين_فريدريكا_برجمان_واليكس ريجت / كريستينا أولسون (السويد)
- أسرار قاتلة (1)	- غير مرغوب فيها (1)
- الرجل الذي يراقب النساء (2)	- الصمت (2)
#أختي قاتلة متسلسلة / أويينكان بريثويت (نيجيريا)	#القضية لم تنته بعد / ميخال سيكورا (التشيك)
#توباز / هاكان جنيد (تركيا)	#الجريمة المنسية / فيكتوريا هانيشوا (التشيك)
#سارق الجثث / باتريسيا ميلو (البرازيل)	#سأنتقم لموتك / كارمي ريرا (إسبانيا)
#بارد كالجيم / ليليا سيجورادوتير (آيسلندا)	#الغرق (6) / كاميللا لأكبيرج (السويد)

- # جريمة الابن الصالح / جونج يو جونج (كوريا الجنوبية)
- # سبع سنوات في الظلام / جونج يو جونج (كوريا الجنوبية)
- # الجريمة المكسيكية / إيكاتور أجيلار كامين (المكسيك)
- # الحارسة الشخصية / لينا ليهتولاينين (فنلندا)
- # جريمة في بوينس آيرس / كلاوديا بينيرو (الأرجنتين)
- # أرامل الخميس / كلاوديا بينيرو (الأرجنتين)
- # كلي لك / كلاوديا بينيرو (الأرجنتين)
- # شرخ في الحائط / كلاوديا بينيرو (الأرجنتين)
- # ذبابة بشرية (1) / هانز أولاف (النرويج)
- # جريمة الساحر / آرني ثوارينسون (آيسلندا)
- # عملية البنك الأيرلندي / ريتشارد أوراو (أيرلندا)
- # العملية الأخيرة للقائلة المأجورة / بيير لوميتز (فرنسا)
- # امرأة في حقيبة / رفاييل موننتيز (البرازيل)
- # الروليت الروسي / رفاييل موننتيز (البرازيل)
- # امرأة في الظلام / رفاييل موننتيز (البرازيل)
- # جريمة في المنزل المفتوح / كايتي سايس (أمريكا)
- # جرائم براج / ميلوش أوربان (التشيك)

أماكن توزيع إصداراتنا



قائمة إصداراتنا الكاملة

